أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحُوِّلت إلى **مجلّة بيبليا** سنة ١٩٩٩.

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوراسقف بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش
الأخت روز أبي عاد

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
المطران نقولا أنتيبا
الأب سمير بشاره
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنس حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الأرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمة الله الخوري
الأب لويس الخوند
القسّ عيسى دياب
الأب اندره رزق الله
الأخت دولي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري ميشال صقر
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
المونسنيور يوسف فخري
الأخت ياره متّى
الأب هادي محفوظ
الخوراسقف أنطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
الأب بيار نجم
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة
مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠

في هذا العدد

الافتتاحيّة

إرميا وأنبياء الربّ، بين الاحتقار وردّ الاعتبار ..... **رئيس التحرير** **٢**

كلمات العهد في إرميا النبيّ ..... **الخوراسقف بولس الفغالي** **٩**

العدالة والتوبة في سفر إرميا ..... **الأب لويس الخوند** **١٧**

ارميا ٢٣: ١–٤٠: الملوك الفاسدون شتّتوا، وأنبياء الكذب أضَلّوا ..... **الأب أيوب شهوان** **٣١**

إر ٢٧: ١–٢٢: "ضعوا أعناقكم تحت نير ملك بابل" ..... **الخوري غزوان بحو** **٥١**

إر ٣٨: ١–١٣: إرميا يُطْرَحُ في الجبّ ..... **الأخت روز أبي عاد** **٦٣**

إيشوعداد المروزيّ حول العهد القديم. تفسير الطوباويّ إرميا النبيّ ..... **الخوراسقف بولس الفغالي** **٦٩**

العنوان

كلّيّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠
البريد الإلكترونيّ: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb
mimigerges@usek.edu.lb

ثمن العدد

في لبنان: ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنويّ (٤ أعداد)

في لبنان: ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

طباعة
Daccache Printing House s.a.r.l
عمشيت – لبنان

رمز الغلاف: إرميا النبيّ متروكًا في البئر. منمنة للفنّان ماركو دي بِرْلِنْجِيِرو، القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنيّة، لَوكّا، إيطاليا.

الافتتاحيّة

إرميا وأنبياء الربّ
بين الاحتقار وردّ الاعتبار

رئيس التحرير

مقدّمة

يستوقف قارئَ أقوالِ إرميا النبيّ الكمُّ الكبيرُ من المواجهات التي حصلت بينه وبين العديد من متبوّئيّ المراكز في أيّامه، بدءًا بالملوك الفاسدين، وأنبياء الكَذِب، والكهنة الأردياء، والقضاة الظالمين، مرورًا بالأغنياء المستغلّين، والمترفين الخانعين، وصولاً إلى الشعب القابع في ظلام الجهل وفي غيبوبة عن الإدراك.

لقد شكّل إرميا، ومعه البقيّة الوفيّة لله والأمينة على حفظ وصاياه، فريقًا معترضًا ورفضيًا بكلّ ما أوتِيَ وأوتو من عزم وتصميم وقوّة، مقابل الآخَرين الذين كانوا بالتأكيد يصرّون بأسنانهم حقدًا، منتظرين أيّ فرصة للانقضاض على النبيّ ومناصريه للتخلّص منه ومنهم بأيّة وسيلة تتوفّر لهم، بدءًا بالاحتقار، مرورًا بالافتراءات، وصولاً إلى الاضطهاد الفعلي بكلّ ما للكلمة من معنى. لكنّ كلمة الله التي هي أمضى من سيف ذي حدَّين لا ترجع ما لم يتحقّق مراد الله من خلالها؛ لذلك عاجلاً أم آجلاً يُرَدُّ الاعتبار إليها وإلى النبيّ حاملها، كما نتبيّن من خلال بعض الأفكار التي نوردها ادناه.

أوّلاً: احتقار إرميا وسائر الأنبياء

يربط إرميا احتقارَ الأنبياء بـ**نكران الله**، وكأنّ في الأمر رفضًا متعمَّدًا لحضور يهوه بالذات، كما يؤكّد هو ذاته في إر ٥: ١٣:

"والأنبياءُ إنّما هم ريح، والكَلِمَةُ لَيست فيهم،
فَليَكُنْ ذلك نصيبَهم".

هناك خطيئة مماثلة، هي **كَمُّ أفواه أنبياء الله**، التي يورد ذكرَها **عاموسُ** النبيّ، رجُلُ الحقّ والعدل، وحاملُ لواء الكلمةِ، إذ يقول:

"لقد أمرتُم الأنبياء قائلين: لا تتنبّأوا" (عا ٢: ١٢).

بالمقابل، هناك مقاطع نرى فيها الربَّ نفسَه يتدخّل بأقوال ماثلة شكلاً، ومختلفة مضمونًا، موجَّهَة إلى أنبياء الكَذِب وضدَّهم، الذين يجعلون الشعبَ ينحرف بسبب ضلالهم وتضليلهم، وبإعلانهم أقوالاً ليست من عند الله بل من نسج خيالهم ومن خداعهم المُهلِك، كما نقرأ في إر ٢٣: ٣٠–٣٢:

٣٠ لذلك هاءَنَذا على الأنبياء، يقولُ الربّ، الذينَ يَسرقونَ كلامي كُلٌّ واحدٍ مِن صاحبِه.

٣١ هاءَنَذا على الأنبياء، يقولُ الربّ، الذينَ يَستَخدِمونَ ألسنتَهم ويقولونَ أقوالاً نبويّة.

٣٢ هاءَنَذا على الذينَ يَتَنَبّأُونَ بأحلام كاذبة، يقولُ الربّ، ويَقصّونَها ويُضِلّون شعبي بأكاذيبِهِم وعُجبِهِم،

وأنا لم أُرسِلْهم ولم آمُرْهم، وهم لا ينفعونَ هذا الشعبَ في شيءٍ، يقولُ الربّ.

١ – ليس النبيُّ مدعوًّا لكي يدين

يكمن المعنى العميق والمرمى البعيد لأيّة نبوءة في إرشاد الشعب إلى طريق الحرّيّة وإلى الأمانة. بالتأكيد، النبيّ هو مدعوٌّ إلى "أن يقلع ويهدم، وينقض ويبيد"، ولكن أيضًا إلى "أن يغرس ويبني" (إر ١: ١٠).

في النبوءة هناك زمنُ تهديد، كما نقرأ في **هوشع**، حيث نشهد محاكمةَ الشعب الذي لا يُدان بشكلٍ مغاير عن إدانة امرأةٍ غير أمينة وخائنة، لكنّ محاكمته تنتهي بقرار لا يبدو وكأنّه دينونة، إذ يقول:

"آخذها إلى البرّيّة، وأخاطب قلبَها" (هو ٢: ١٦).

كذلك **أشعيا** الثاني (الفصول ٤٠–٥٥) هو مدعوٌّ، بالرغم من كلّ شيء، إلى أن يحمل كلمةَ تعزية، لا بل تعزيةً كبرى إلى شعب الله المسبيّ و"القابع في الظلمة وفي ظلال الموت"، فيقول:

"عزّوا عزّوا شعبي، يقول الربّ" (أش ٤٠: ١).

٢ – كلّ نبيٍّ يعيد اختبار موسى

لقد دعا اللهُ **موسى** ونشّأه وأرسله لكي يقود الشعبَ إلى الحرّيّة. تهيمن هذه الفكرةُ الإيجابيّةُ على مجمل رسالة النبيّ، المرسَل لكي يعلنَ، قبل كلّ شيء بحياته الخاصّة، كلامَ الله لشعبٍ يمكن أن يصغي إليه أم لا، وصولاً حتّى إلى إمكانية قتله والتخلّص منه. لكنّ الاختبار الضارب في التاريخ يعلّمنا بأنّه، عندما لا تكون هناك ثقةٌ بالنبيّ، لن يكون هناك ذهابٌ باتّجاه مصيرٍ سارٍّ ومُفرِح. هكذا يُضحي عدمُ الأمانة نوعًا من المنفى، في حين أنّ الإيمان يشكّل عودةً إلى الحرّيّة وإلى بنوّة الله.

٣ – حياة إرميا وبلاغ الربّ

إنّ حياةَ النبيّ بمجملها هي إعلانُ بلاغ الربّ. إنّ أمْرَ الربِّ لإرميا بألاّ يتزوّج (إر ١٦: ٢: "لا تَتّخِذْ لكَ امرأةً، ولا يَكُنْ لكَ بنونَ ولا بناتٌ في هذا المكان") هو على نقيض الأمر الذي أُعطِيَ للنبيِّ **هوشع** بأن يفعل (هو ١: ٢: "إنطَلِقْ فاتّخِذْ لكَ امرأةَ زنًى وأولادَ زنى، فإنّ الأرضَ تزني زنًى بارتدادِها عن الربّ")؛ فقد كان الله قد أعطى لهوشع، الذي عاش حوالى المائة والخمسين سنةً قبل إرميا، أمرًا بأن يقترن بزانية، بهدف أن يُظهِرَ عدم أمانة إسرائيل، وذلك على أمل أن يتوب هذا الأخير ويرجع إلى الربّ إلهه. بالمقابل، تشهد بتوليّةُ **إرميا** بأنّ خراب الشعب آتٍ لا محالة، ولا يمكن بالتالي النجاة منه أو تحاشيه. وسيكون اختبار **حزقيّال** أكثر مأساويّةً، إذ سيكون موت زوجته بمثابة إعلانٍ عن سقوط أورشليم، وعن إنزال عقابٍ شديد بها.

٤ – أزمةٌ كبيرةٌ تعصفُ بإرميا

في إر ١٥: ١٠ وحتّى إر ١٦ كلّه، نحن أمام واحد من اعترافات إرميا الشهيرة، حيث نراه **يختبر أزمةً رهيبةً**: هو معزولٌ وملعونٌ من الجميع، والسبب هو أنّ أقواله مثيرة جدًّا، الأمر الذي جعله يشعر وكأنّ مولده وإرساله لإبلاغ إسرائيل بحكْم الله عليه هما أشبه بكارثة رهيبة، لأنّه، في الواقع، هو يُبلِغُ أقوالَ الربّ التي تتكلّم على هزيمة، واستعباد، وسبي، وعقاب. هكذا تبدو مَهمّته وكأنّها عملٌ يولّد عداوةً ورفضًا، لأنّه يقذف في وجه مستمعيه الحقيقةَ المأساويّة والمرّةَ التي تنتظرهم، والتي ستتمّ بالفعل بوصول البابليّين الزاحفين عليهم:

"هل يُحَطِّمُ الحديدُ حديدَ الشمالِ والنُّحاس؟" (إر ١٥: ١٢).

٥ – أمانة النبيّ الراسخة للربّ ولكلامه

بالرغم من ذلك كلّه، وبالرغم من قساوة الأوضاع على الشعب عامّةً، وعلى إرميا خاصّةً، بقي هذا الأخير أمينًا لكلام الربّ، متقبّلاً إيّاه بقوّة وثبات ورسوخ، إذ أضحى بالنسبة إليه وكأنّه طعامَه وخبزَه اليوميَّ وكفافَه. لم يقبل أبدًا أن يخون الربَّ ولا كلامَه، ولا أن يسير في ركْبِ الأقوال الباطلة والمغايرة للحقّ، فكانت النتيجة ألمًا شديدًا لا هدنةَ فيه، وعزلةً قاسيةً لا مفرّ منها، وجرحًا في النفس يصعب الشفاء منه إلاّ بقدرة الله ورحمته. من المحتَمَل أن يكون شكٌّ رهيبٌ قد تغلغل في حنايا نفسه، بأنّ الله يستخدمه ويخدعه كَسَيْلٍ يَعِدُ بالماء، فإذا به يتكشّفُ عن قحطٍ مميت. تجاه أزمةٍ محتملةٍ كهذه في حياة النبيّ، يقوم الربّ بردّة فعل، إذا جاز التعبير، داعيًا إيّاه إلى أن "يعود" إليه وإلى تأدية رسالته، أي إلى أن يسترجع قواه ويستعيد شجاعتَه، ويواصل مَهمّته التي أمره بها. لهذا بالتحديد يحسن أن نتذكّر أقوالَ يوم دعوة إرميا، من خلال مقارنة إر ١: ١٨–١٩ مع ١٥: ٢٠، حيث أكّد له الربّ بأنّه يوفّر له حمايةً قويّةً ودائمة.

٦ – حياة النبيّ مدموغة بختم الله

لقد أضحت حياة إرميا مدموغةً بختم الله، وهذا ما يؤكّده الربّ من خلال التزام باهظٍ في مجتمعه، ألا وهو وجوبُ أن يبقى النبيُّ في حالة العزوبيّة، وبهذه الحالة بالذات، التي تجعل منه رجلاً وحيدًا وانفراديًّا، يصبح رمزًا لإسرائيل الذي أضحى شبيهًا بامرأة لا زوج لها ولا أولاد، وذلك بسبب المجزرة التي ارتكبها البابليّون (رج إر ١٥).

ثانيًا: إرميا واستعادة الاعتبار

لم يَحظَ إرميا بالتقدير الواجب في حياته، لكنّه استعاد اعتباره إلى أقصى حدّ بعد موته وبشكل تصاعديّ لا يتوقّف. في الواقع، أخذ التقليدُ البيبليُّ شيئًا فشيئًا تلك العناصرَ التي كانت تميّز إرميا في حياته، وهي قدرته على أن يُدخِل ذاته في الأحداث البشريّة، وأن يتشفّع لدى الله، كما أيضًا انفتاحه في تلقّيه الوحيَ الخاصَّ بالعلاقة الجديدة التي حقّقها الله مع الإنسان الخاطئ.

١ – إرميا قال الحقّ

كان إرميا شريكًا في المصاب السياسيّ والدينيّ الذي حلّ بالأمّة العبريّة مع مقتل يوشيّا، ملك اليهوديّة، على يد نِكو الثاني، فرعون مصر، سنة ٦٠٩ ق. م. جاء في سفر أخبار الأيّام الثاني، الذي حُرِّرَ حوالى سنة ٣٥٠ ق. م.، أنّ إرميا النبيّ قام بردّة فعل على ما حدث، فوضع نشيدًا جنائزيًّا تحوّل فورًا إلى نشيد شعبيّ للغاية:

"ورَثى إرميا يوشيّا، ونَدَبَ جَميعُ المُغَنّين والمُغَنّيات يوشيّا في مَراثيهم إلى هذا اليوم، فأضحى هذا تقليدًا في إسْرائيل، وهي مَكْتوبَةٌ في المَراثي" (٢ أخ ٣٥: ٢٥).

يتكلّم كاتبُ سفر أخبار الأيّام عن العلاقة بين إرميا وصدقيّا، ملك اليهوديّة الأخير، غير الكفوء وغير الأهل، قائلاً بأنّ هذا الأخير "لم يتّضِعْ أمام إرميا الذي كان يخاطبه باسم الربّ، كما تجرّأ على التمرّد على الملك نبوكد نصّر الذي كان قد جعله يُقسِمُ على الأمانة باسم الله، فصلّب صدقيّا عنقه، وقسّى قلبه عن الرجوع إلى الربّ إله إسرائيل" (٢ أخ ٣٦: ١٢–١٣).

استتبع التعنُّتَ عقابٌ إلهيّ؛ ففي سنة ٥٨٦ ق. م.، هاجم نبوكد نصّر الثاني، ملكُ بابلَ، أورشليم واحتلّها، فدمّر الهيكل، وسبى خيرةَ السكّان وأكثرهم تأثيرًا. كلُّ ذلك حصل كتفعيلٍ لـ"كلام الربّ الذي سبق إرميا وأنبأ به" (٢ أخ ٣٦: ٢١).

ونقرأ أيضًا في **سي ٤٩: ٦-٧** ما يلي:

"أحرَقَ الأعْداءُ بالنّارِ المدينةَ المختارة، مدينةَ المَقدِس، وجَعَلوا طرقَها مُقفِرَة، بسببِ إرميا،

فإنّهم أساؤُوا إليه، وهو الذي قُدِّس في جَوفِ أمّه ليَستأصِلَ ويُدَمّرَ ويُهلِك، وليَبنِيَ أيضًا ويَغرِس".

لكنّ إرميا ذاته كان أيضًا قد أنبأ بعودة المنفيّين إلى أرضهم على يد قورش، ملك الفرْس، الذي هزم البابليّين في سنة ٥٣٩ ق. م.، كما نقرأ في **٢ أخ ٣٦: ٢٢**:

"وفي السنةِ الأولى لحكم قورُش، ملِك الفرْس، وتتميمًا لكلام الربّ، الذي كان قد فاه به على لسانِ إرميا، حرّكَ الربُّ روحَ قورُش، مَلِكِ فارس...".

ونقرأ الكلام عينَه أيضًا في **عز ١: ١**:

"وفي السنةِ الأُولى لحكم قورُش، مَلِكِ فارِس، وتتميمًا لكلام الربّ، الذي كان قد فاه به على لِسانِ إرميا، أثارَ الربُّ روحَ قورُش، مَلِكِ فارِس...".

ويُنهي واضعُ سفر الأخبار مؤلّفَه، مبيِّنًا كيف أنّ هذا الفم ذاتَه الذي كان قد أنبأ بالمصير المشؤوم، كان أيضًا قد سبق وبشّر بالتحرير. وبشكل مختلف عن حالة معاصريّ إرميا، تستطيع الأجيال التي تلي أن تراقب أنّ النبيّ إرميا، إبّان نشاطه النبويّ، كان قد أنبأ بالحقّ ونادى به.

٢ – إرميا يدفع إلى التفكير وقتَ الصعاب

إذا عدنا قرنًا ونصفَ القرنِ قبل المسيح إلى الوراء، وبالتحديد إلى الحقبة التي كان فيها أنطيوخوس إبّيفانوس الرابع يضطهد اليهود بسبب أمانتهم لإلههم، في تلك الحقبة التي عرفت مخاطر جسيمة، عاد كاتبٌ ملهَمٌ بالفكر إلى إرميا، هو **دانيّال** النبيّ الذي دوّن ما يلي:

"في السنةِ الأُولى مِن مُلْكه، أنا دانيال تَبَيّنتُ مِنَ الأسفارِ عَدَدَ السّنينَ التي كانت كلمةُ الربِّ إلى إرميا، بأنّها سبعونَ سنةً تَتِمُّ على خرابِ أورشليم" (دا ٩: ٢).

يجري توسيع التفكير عبر تحويل السنوات الفرديّة إلى أسابيع سنوات، بشكل يسمح بالاستنتاج بأنّ نهاية الغازي المحتلّ هي ملحوظَةٌ ضمنًا وفقًا لتبشير النبيّ:

"في أسبوعٍ واحدٍ يَقطعُ مع كثيرينَ عهدًا ثابتًا، وفي نصفِ الأسبوعِ يُبطِلُ الذّبيحةَ والتّقدمة،

وفي جناحِ الهيكلِ تكونُ شناعةُ الخراب، إلى أَن يَنصَبّ الإفناءُ المَقضِيُّ على المخَرّب" (دا ٩: ٢٧).

هكذا يتلقّى المضطهدون جرعةً جيّدةً من الثقة، تنشأ من كون الله لم يتركهم، ومن كون الكلمة الأخيرة ستكون كلمتهم، وليس كلمة المضطهِد.

٣ – إرميا يتشفّع في أوقات المحنة

يحسن هنا أن نورد الأسطورة الرائعة التي تدور حول الأواني المقدّسة التي يُحتَمَل أن يكون إرميا ذاته قد خبّأها قبل خراب هيكل أورشليم، كما يشهد على ذلك **٢ مك ٢: ١-٨**:

"[١]جاء في السجلاّت أنّ إرميا النبيّ أمَرَ أهلَ الجلاء أن يأخُذوا نارًا، كما ذُكِر، [٢]وأنّ النبيّ أوصى أهلَ الجلاء، بعدَ أن أعطاهمُ الشّريعة، أن لا يَنْسَوا وصايا الربّ، وأن لا يَضِلُّوا في أفكارِهم، إذا رأوا تماثيلَ الذّهبِ والفضّة وما عليها مِنَ الزّينة. [٣]وممّا حَثّهم عليه أن لا يَدَعوا الشّريعةَ تَبتَعِدُ عن قلوبهم. [٤]وجاءَ في هذه الكتابة أنّ النبيّ، بمقتضى وَحْيٍ صارَ إليه، أمَرَ أن يُذهَبَ معه بالخيمةِ والتّابوت، عندما خَرَجَ إلى الجبلِ الذي صَعِدَ إليه موسى ورأى ميراثَ الله. [٥]ولمّا وَصَلَ إرميا، وَجَدَ مَسكنًا بشكلِ مغارة، فأدخلَ إليه الخيمةَ والتّابوتَ ومذبحَ البخور، ثُمّ سَدّ الباب. [٦]فأقبَلَ في وقتٍ لاحق بعضُ مَن كانوا معه ليضعوا علامةً في الطريق، فلم يستطيعوا أن يجدوه. [٧]فلمّا عَلِمَ بذلك إرميا، لامهم

وقال: "إنّ هذا المكانَ سيبقى مجهولاً، إلى أن يَجمَعَ اللهُ شَمْلَ شعبه ويَرحَمَهم. [٨]وحينئذٍ يُظهِرُ الربُّ هذه الأشياء، ويَظهَرُ مجدُ الربّ والغمامُ، كما ظَهَرَ في أيّام موسى، وحينَ سألَ أن يُقَدّسَ المكانُ تقديسًا بَهيًّا"".

لكنّ هذا السفر عينه يستعيد تصرُّفًا مميّزًا لإرميا التاريخيّ، الذي كان أيضًا تصرُّفَ أونيّا عظيم الكهنة الميت، ألا وهو أن يصلّي بإلحاح لأجل شعبه. في الليلة التي سبقت الصدامَ بين يهوذا المكّابيّ ونيكانور، رأى المكّابيّ حلمًا منذرًا، كان أونيّا الميت "يصلّي من أجل جماعة اليهود كلّها، ويداه منبسطتان"؛ وفجأةً "ظهر رجل مميَّز من حيث سنُّه ومهابتُه، محاطٌ بمجد ساطع. أخذ أونيّا الكلام وقال:

"[١٢]وهذه هي الرّؤيا، قال: رأيتُ أونيّا عظيمَ الكهنة السّابق، رَجُلَ الخير والصّلاح، المتواضعَ المنظَرِ الحليمَ الأخلاق، صاحبَ الأقوال الطريفة، المُواظبَ منذُ صباه على جميع أعمال الفضيلة، باسطًا يدَيه يُصلّي من أجل جماعة اليهود بأسرها. [١٣]ثمّ تراءَى كذلكَ رَجُلٌ كريمُ المَشيب، أغَرّ البهاء، عليه جَلالٌ عجيبٌ سام. [١٤]فتكلّمَ أونيّا وقال: "هذا مُحِبُّ الإخوة، المُكثِرُ منَ الصّلوات لأجل الشعب والمدينة المقدّسة، إرميا، نبيُّ الله"" (٢ مك ١٥: ١٢-١٤).

وقام إرميا بالإيماءة الرمزيّة بتسليمه إلى يهوذا المكّابيّ سيفًا من ذهب، قد يكون نجح به في الانتصار على العدوّ. إنّه لرائعٌ هذا التقديم للموتى المصلّين، خاصّة إرميا، "الذي يصلّي كثيرًا"، وبالتحديد من أجل ذاك الشعب الذي كان قد سبّب له الآلام الكثيرة عندما كان يقوم بمَهمّته النبويّة. هذه أقدم شهادة في الكتاب المقدّس حول أموات يصلّون لأجل الأحياء.

٤ – إرميا، المسيح المحتَمَل

في العهد الجديد، الاقتباسات المتعلّقة بالنبيّ إرميا هي عديدة، حتّى ولو كان اسمه لا يَرِدُ صراحةً سوى ثلاث مرّات فقط.

يعلّق متّى على مذبحة الأطفال الأبرياء، مذكّرًا بأقوال إرميا التي تمّت في هذا الحدث القاسي:

"[١٦]فلمّا رأى هيرودُسُ أنَّ المجوسَ سَخِروا منه، استشاطَ غضبًا، وأرسَلَ فقَتَلَ كُلّ طفلٍ في بيتَ لحمَ وجميعِ أراضيها، من ابن سَنَتَيْن فما دونَ ذلك، بحسب الوقتِ الّذي تَحقَّقَه منَ المجوس. [١٧]فتمّ ما قالَ الرَّبُّ على لسانِ النبيّ إرميا:

[١٨]"صوتٌ سُمِعَ في الرّامة، بكاءٌ ونحيبٌ شديد،

راحيلُ تبكي على بنيها وقَد أَبَتْ أن تَتَعزّى لأنَّهم زالوا عنِ الوُجود" (مت ٢: ١٦-١٨ = إر ٣١: ١٥).

في مت ٢٧: ٩ ينسب الإنجيليُّ نفسُه اقتباسًا إلى النبيّ عينه، لكنّ هذا الاقتباس يعود في الحقيقة إلى زكريّا (زك ١١: ١٢-١٣). من المهمّ أن نلاحظ أنّه، استنادًا إلى ما يشير إليه متّى وحده، كان الناس يظنّون أنّ ابن الإنسان، يسوع المسيح، قد يكون المعمدان، أو إيليّا، أو أيضًا إرميا (مت ١٦: ١٤). إنّ انتظار عودة النبيّ هذه، والذي كان سائدًا في محيط مسيحيّ وليس يهوديًّا، يعني أنّ المحيط المذكور كان يكنّ لإرميا التقدير الكبير.

٥ – إرميا نبيّ العهد الجديد

إنّ ما يشدّ الانتباه بشكل قويّ إلى العهد الجديد هو افتتاحيّة إرميا النبويّة على مستقبل الله الجديد؛ فاستنادًا إلى لو ٢٢: ٢٠، و١ كو ١١: ٢٥، فاه يسوع بكلام التقديس على الخمر، مستخدمًا العبارة "العهد الجديد"، التي تَرِدُ قبلاً في العهد القديم في إر ٣١: ٣١ فقط. أكثر من ذلك أيضًا، يرسم كاتب الرسالة إلى العبرانيّين العهدَ الأفضل، أي عهدَ المسيح، مستعيدًا بالكامل نصّ إرميا المتعلّق بـ"العهد الجديد" (إر ٣١: ٣١)، فإذا به أطول اقتباس من العهد القديم في العهد الجديد (رج عب ٨: ٨-١٢ = إر ٣١: ٣١-٣٤). بعد الاقتباس، لدينا في الرسالة

عينها التعليق التالي:

"١٦هُوَذا العهدُ الذي أُعاهِدُهم إيَّاه بعدَ تلكَ الأيَّام، يقولُ الربّ: أجعَلُ شريعتي في قلوبهِم، وأَكتُبُها في ضمائرِهِم، ١٧ولن أذكُرَ خطاياهم وآثامَهم" (عب ١٠: ١٦-١٧ = إر ٣١: ٣٣-٣٤).

خارج الكتاب المقدّس، اهتمّ بإرميا **فيلون** الفيلسوف العبرانيّ، **ويوسيفوس** المؤرّخ اليهوديّ، كما أيضًا **الأدب الرابّينيّ**. ينصبّ الاهتمام عادةً على شخص النبيّ التاريخيّ. وتستعيد **وثيقة دمشق** أو **وثيقة القاهرة**، الوثيقة الصلة بموئلّفات قمران، أربع مرّات عبارة إرميا الميَّزة، أي "العهد الجديد"، وتربطها بـ"أولئك الذين دخلوا في العهد في أرض دمشق". وفي حين أنّ "العهد الجديد"، بالنسبة إلى إرميا، كان يعني مغفرة الخطايا، وشريعة جديدة مكتوبة في القلب، ومعرفة الله معرفةً مميّزة، فإنّ الجَدَّةَ، بالنسبة إلى أتباع **وثيقة دمشق**، تكمن في الحماسة المتجدّدة التي يريدون أن يضعوها في الشريعة الموسويّة.

خاتمة

لقد دعا اللهُ إرميا ليكون نبيَّ اليهود والأمم في خضمّ تشنّجات سياسيّة لم تكن تعرف نهاية. دامت خدمتُه حوالى أربعين سنة (رج ١: ١-٣)، يشهد كتابُه أنّ مداخلاته في تلك المدّة الطويلة كانت عديدة ومتنوّعة. في الواقع، تطلّبت العقودُ الأخيرة من تاريخ اليهوديّة انسيابًا متواصلاً للنور الإلهيّ من مرسَليّ الربّ، لكن من هؤلاء الرجال الملهَمين كلّهم لم يبلغ أحدٌ منهم قامةَ إرميا أو مكانتهَ من حيث إحساسُه تجاه محبّة الربّ لشعبه، ومن حيث فهمُه العميق لواجب الشعب تجاه الربّ من خلال رُبُط العهد. لكنّ هذا كلّه لم يكن بالأمر السهل على الإطلاق، خاصّةً وأنّ كلمة إرميا النبويّة المشهورة بكونها كلمةً مباشرةً وحادّةً في إعلانه الطبيعة الحقيقيّة للإيمان بيهوه، وفي تنديده بالانحرافات الدينيّة المختلفة، فتعرّض لكلّ أنواع المضايقات والعذاب، لكنّه صمد حتّى النهاية في وجه الجميع. لم يُدرك الكثيرون غنى رسالة إرميا وعظمته كرجل الله إلاّ بعد رحيله من هذه الدنيا، فإذا به يحظى باهتمام متزايد أكثر فأكثر من قِبَل مَن أوتوا أن يفقهوا ويفهموا .

على هامش الكتاب
-٢٤-

بين الرسل والأنبياء
بين بطرس وأشعيا

الخوري بولس الفغالي

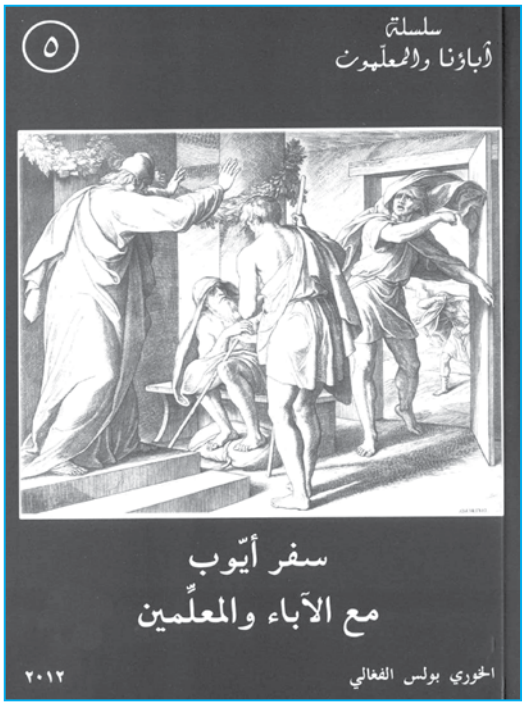

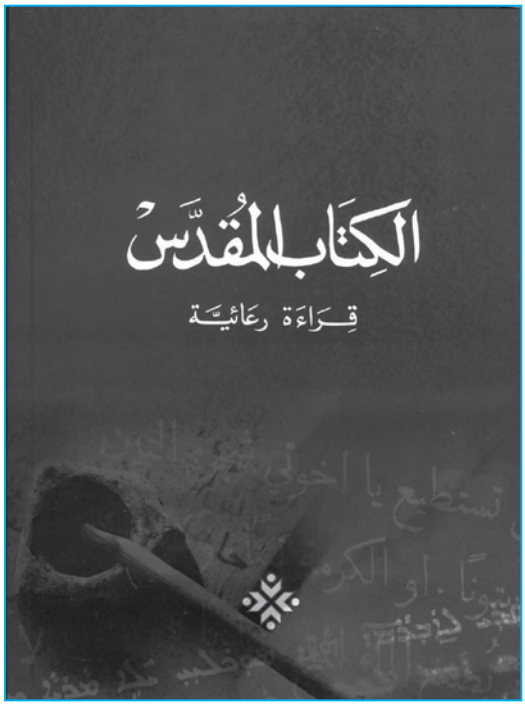

كلمات العهد في إرميا النبيّ

الخوراسقف بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

مقدّمة

حين اجتمع الشعب الآتي من مصر حول جبل سيناء، أقام الربُّ معهم عهدًا بواسطة موسى الذي اعتبر النبيّ الذي سيأتي مثله في النهاية ليختتم حلقة الأنبياء. وتضمَّن هذا العهد أمرين رئيسيَّين: الحياة في الجماعة، والحياة مع الله. العدالة الاجتماعيَّة، الاستقامة في القضاء، حتَّى الأرملة واليتيم والغريب، ثمَّ شعائر العبادة: كيف تكون خيمة الاجتماع والمذبح ولباس الكهنة. والمسيح أوجز كلّ هذا في وصيَّة واحدة تتوسَّع أفقيًّا وعموديًّا: "تحبُّ قريبك كما تحبُّ نفسك، وتحبُّ الله من كلِّ قلبك ومن كلِّ نفسك ومن كلِّ قدرتك". وفي أيِّ حال، ما قدَّمه يسوع من"وصيَّة" استقاها من توراة موسى، من سفر اللاويِّين ومن سفر التثنية. في هذا الخطِّ راح بعض الأنبياء يشدِّد على الأمانة لله والعبادة له، وآخرون، مثل عاموس، راحوا يدعون إلى العدالة، لا بين الأفراد وحسب، بل بين الشعوب. أمّا إرميا فأبرز الوجهتَين: الحياة مع الله، والحياة في الجماعة. هكذا يكون الشعب أمينًا للعهد. قال له الربّ: "إسمع كلمات العهد الذي عاهدتُ به آباءكم. وكلِّم يهوذا وسكّان أورشليم وقلْ لهم: هذا ما قال الربُّ إله إسرائيل: ملعون من لا يسمع كلمات العهد الذي أمرتُ به آباءكم يوم أخرجتُهم من أرض مصر، من أتون النار، وقلت لهم: إسمعوا لصوتي واعملوا بوصاياي، فتكونوا لي شعبًا وأكون لكم إلهًا" (إر ١١: ١-٤). ما الذي طلبه إرميا في مجال العدالة بحيث يزول الظلم من الجماعة، فيكون قلبهم بحسب ما يريد الربّ؟

بعد نداء أوَّل إلى الإصلاح، يصوِّر النبيُّ الوضع في البلاد ولا ينسى سلوك الملك والعظماء، وأخيرًا يبيِّن هذه الرخاوة في ممارسة الشريعة على مستوى تحرير العبيد. شابهوا، كما قال هوشع، "سحاب الصبح والندى الذي يمضي باكرًا" (هو ٦: ٤).

١. أصلحوا طرقكم واقضوا بالعدل

جاء المؤمنون إلى أورشليم، والتصقوا بالهيكل، واعتبروا أنَّ تعلُّقهم بالحجر يحمل لهم الخلاص من الحالة التي يعرفون. مثل هذا الموقف يجعلهم في ضلال، لأنَّه لا يطلب منهم شيئًا. نلمس الجدار، نقبّله، نقف قربه، نصلِّي... وبعد ذلك، قال لهم النبيّ: "أنتم تخدعون أنفسكم" (إر ٧: ٤). هكذا تريحون ضميركم. وإن أتيتم ببعض المال، تمنِّنون الله وتعتبرون نفوسكم محسنين إليه. وخصوصًا إذا أتيتم، لا بالغنم والمعز، بل بالعجول، معتبرين أنَّ الله "يأكل". هذه العبادات القديمة الجديدة تبعد الإنسان عن "العبادة" الحقَّة.

قال النبيّ: "بل بالأوَّل، أصلحوا طرقكم وأعمالكم، واقضوا بالعدل بين الواحد والآخر..." (آ ٥).

نلاحظ أوّلاً أنَّ النبيَّ لا يرفض مثل هذه العبادات، ولكنَّه يريدها صادقة، وفي الواقع لا تكون كذلك إلاَّ إذا كان لها امتدادها في حياة الجماعة. نحاول أن نعبّر عن محبّتنا لله بحركات وأفعال تريد أن "تصل" إليه. أمّا الله فلا يحتاج إلينا وإلى عطايانا. قال في المزمور: "إن جعتُ لا أقول لك... هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس؟" (مز ٥٠: ١٢-١٣). أنا لا أجوع. أولادي يجوعون، يعطشون، يحتاجون إلى لباس ومأوى.

محبَّة الله لا تكون صادقة إذا لم تصل إلى القريب؛ فكيف نعلن أنّنا نحبُّ الله الذي نراه، ولا نحبُّ القريب الذي نراه؟ (١ يو ٤: ١٩). وأشعيا بدأ نبوءته متطلِّعًا إلى حالات القريب قبل كلِّ شيء: "كفُّوا عن فعل الشرّ، تعلَّموا فعل الخير، أطلبوا الحقَّ، أنصفوا المظلوم، أقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة" (أش ١: ١٦-١٧). في هذا الخطِّ راح إرميا يطلق أقواله النبويّة.

طلب أوّلاً "الإصلاح". طريق ملتوية، معوجَّة. لا يمكن أن تبقى بعد اليوم كذلك. أيَّ طريق تسلكون؟ طريق الغشّ، طريق الكذب؟ هنا تبدأ العودة إلى الله. وكيف تبدو "أعمالكم"؟ قال الربُّ في هذا المجال: "ليس من يقول لي: يا ربّ، يا ربّ، يدخل ملكوت السماء، بل من يعمل..." (مت ٧: ٢١).

وأوَّل ما يطلبه الربّ: "أقضوا بالعدل". إن ذكَّرهم النبيُّ بالعدل، فلأنَّ الظلم يسيطر في البلاد. الغنيّ هو دومًا على حقّ، والقويّ والوجيه وحامل السلاح. ونحن نقنع القاضي بالرشوة، بالمداهنة، وفي النهاية بالسلاح. أين تجدون القاضي المستعدَّ أن يضحّي بحياته من أجل الحقِّ والعدل؟ والسبب لا يكون القاضي وحده، بل الرئيس.

نبَّه سفر الخروج إلى هذا الأمر: "لا تحرِّف حقَّ الفقير (المقيم عندك) في دعواه. إبتعد عن كلام الكذب. لا تقتل البريء والبارّ، لأنّي لا أبرِّر المذنب. لا تأخذ رشوة لأنَّ الرشوة تعمي المبصرين وتعوِّج حقَّ البارّ" (خر ٢٣: ٦-٨).

وبعد الاهتمام بالعدالة، يأتي كلام الجور في المجتمع تجاه "الضعفاء" أو "الصغار" كما يدعوهم الإنجيل. "الغريب" هو إنسان ضعيف. ليس له من يعينه أو يسنده، لهذا يستغلُّه ابن البلد. قال النبيّ: "لا تجوروا على الغريب" (٧: ٦). وأعطت الشريعة السبب: "أنتم مكثتم غرباء في مصر، وتعرفون نفسيَّة الغرباء" (خر ٢٣: ٩). لا تضايقه، لا تظلمه. وسبق الربُّ فقال: "لا تضطهد الغريب" بحيث تطرده من ديارك، ولا تستغلَّه (خر ٢٢: ٢١).

ومع الغريب يأتي دومًا "اليتيم والأرملة". يوم لم تكن "ضمانة" اجتماعيَّة، ويوم لم تكن الأرملة قادرة على الخروج وحدها من البيت، كان وضعها مؤلمًا واستغلالها سهلاً. كان "سلفها" يأخذها أو تصبح جارية عند رجل آخر، وفي أيِّ حال تكون مظلومة. وما يحصل لها، يحصل بالأحرى "لليتيم" الذي ليس له من يدافع عنه. على الأرض، نعم، ولكن في السماء لا يبقى من دون دفاع. لهذا تحدَّثت الشريعة مرارًا وهدَّدت: "لا تسئ إلى أرملة وإلى يتيم؛ فإن أسأتَ إليه (اليتيم) وصرخ إليَّ أسمع صراخه، فيحمى غضبي، وأقتلكم بالسيف، فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى" (خر ٢٢: ٢٤). وكرَّر سفر التثنية ما قاله سفر الخروج: "لا تعوِّج حكم الغريب واليتيم، ولا تأخذ رهنًا ثوب الأرملة" (تث ٢٤: ١٧). وما اكتفى الكتاب بأن يمنع السوء عن هذه الفئات "الضعيفة"، بل دعا المؤمنين للاهتمام بها: "إذا حصدت حصيدك في حقلك، ونسيتَ حزمة في الحقل، فلا ترجع لتأخذها. للغريب واليتيم والأرملة تكون، لكي يباركك الربُّ في كلِّ أعمال يديك" (آ ١٩). وتتكرَّر التوصية في آ ٢٠: "إذا خبطت زيتونك"؛ وفي آ ٢١: "إذا قطفتَ كرمك...". أجل، هؤلاء "الصغار" هم حصَّة الله، والويل لمن "يضايقهم". وطوباه ذاك الذي يعينهم ويتقاسم خيراته معهم.

ذاك هو الشرط الأساسيّ ليسكن الربُّ في وسط شعبه. قال أوّلاً: بدِّلوا سلوككم فأسكن معكم (مع

آكيلا وتبعته الشعبيَّة اللاتينيَّة) بدل: أسكِّنكم، أو: أجعلكم تسكنون (إر ٧: ٣)، وإلاَّ أترككم، كما سيأتي في جواب الربِّ إلى إرميا، وهو يبكي ويتألَّم: "تركتُ بيتي (الهيكل)، رفضت ميراثي (الأرض المقدَّسة)... ميراثي صار لي مثل أسد في الغابة يزأر عليَّ..." (إر ١٢: ٧-٨). وقال إرميا مردِّدًا كلام الربِّ ثانيًا: "لا تسفكوا الدم البريء في هذا الموضع...، فإن فعلتم هذا، أسكن معكم في هذا الموضع، في الأرض التي أعطيتها قديمًا لآبائكم إلى الأبد" (إر ٧: ٦-٧). وبعد ذلك تأتي الوصايا المتعلِّقة بالقريب: "تسرقون، تقتلون، تزنون، تحلفون بالزور...، ثمّ تجيئون وتقفون بين يديَّ في هذا البيت الذي دُعيَ باسمي وتقولون: أنقذنا..." (آ ٩-١٠).

لا فصْل عند إرميا بين حبِّ الله وحبِّ القريب، بين وصايا الله التي تدعو إلى إكرام الله والابتعاد عن الأصنام، وتلك التي تدعو إلى معاملة الجميع على أنَّهم إخوة؛ فالقتل رجاسة كما "التبخير للبعل واتِّباع آلهة أخرى" (آ ٩). الضرر يلحقكم إذا سفكتم الدم البريء ويلحقكم أيضًا: "إذا اتَّبعتم آلهة أخرى" (آ ٦).

قال الربُّ لداود: "إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلِّمهم إيَّاها..."؛ ذاك ما قال المزمور ١٣٢: ١٢. ويا ليت معاصري إرميا تعلَّقوا بعهد الله وحفظوا وصاياه! كلَّ مرَّة يُذكَر "العهد" ترافقه "لا" النافية: "ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد" (إر ١١: ٣). ويتواصل الكلام: "لم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم، بل سلكوا كلُّ واحد في عناد قلبه الشرِّير". دعا الربُّ شعبه "زيتونة خضراء، جميلة بثمارها" (١١: ٦)، ولكن "احترقت أوراقها وانكسرت أغصانها"؛ فالربُّ الذي غرسها (سمح) بالشرِّ عليها (آ ١٧).

٢. طوفوا في شوارع أورشليم

نداء إلى العدالة، لم يسمعه الشعب. دعوة إلى حياة من الأخوَّة مع التنبُّه إلى الحلقة الأضعف. آذان صمّاء؛ فالأغنياء يعيشون في برجهم العاجيّ، مثل ذاك الغنيّ الذي لم يرَ عند بابه لعازر المسكين (لو ١٦). والوجهاء لا ينظرون إلى الأرض، بل هم يرتفعون ويترفَّعون ولا يتنازلون إلى مستوى "المسكين والمنسحق الروح" (أش ٦٦: ٢)، فيتشبَّهون بالله. لهذا دعا النبيّ هؤلاء "الكبار": طوفوا في شوارع أورشليم" (٥: ١). ثلاثة أفعال تدعوهم لكي يفتحوا عيونهم لكي يروا الفساد المستشري في المجتمع: نظر، استبحروا، فتِّش... لماذا هذا الاهتمام؟ ليخبروا إن كان هناك "إنسان واحد". أضيئوا قنديلكم في وضح النهار وابحثوا: "هل تجدون في ساحات أورشليم إنسانًا واحدًا يصنع العدل؟ يدافع عن العدالة ولا يخاف؟ هل تجدون إنسانًا واحدًا يطلب الحقَّ أو يطالب بالحقِّ من أجل الذين لا يقدرون أن يطالبوا؟

هنا نتذكَّر ما حصل لسدوم وعمورة. كان حوار بين الله وإبراهيم: إن وجدتَ يا ربُّ خمسين بارًّا، خمسة وأربعين... وكان جواب الله: لا أُهلك المدينة من أجل الأبرار الذين فيها. ونزل إبراهيم في العدِّ حتَّى وصل إلى عشرة أبرار. عندئذٍ أجاب الربُّ: "لا أُزيل المدينة إكرامًا لعشرة أبرار" (تك ١٨: ٢٧-٣٢). مع إبراهيم، رضيَ الربُّ بعشرة أبرار. أمّا مع إرميا، فرضي ببارٍّ واحد. قال الله لنبيِّه: "إن وجدتم إنسانًا واحدًا يصنع العدل ويطلب الحقَّ، فأعفو عنها" (إر ٥: ١). الإنسان العادل، الإنسان الحقيقيّ هو الذي يفرض نفسه بسلوكه ونشاطه. هو ذاك الذي نستطيع أن نتأكَّد منه، الذي لا يمكر بنا ولا يطعننا في الظهر. هو المعروف بالثقة التي يلهم والأمانة التي يتميَّز بها. راح إرميا ليبحث فلم يجد.

يحلفون باسم الربِّ، ولكنَّ حلفهم كاذب. هل نسوا وصايا الله؟ ومن يستطيع أن ينسى مع الكذَّاب؟ وجه قاسٍ تجاه الربّ، فماذا يكون تجاه القريب؟ رسم الربُّ لهمً الطريق فاستهانوا بها، فتوجَّه إلى "الكبار" ربَّما يفهمون! ولكن ماذا كانت النتيجة بالنسبة إلى الصغار وإلى الكبار؟ "كسروا النير وقطعوا الربط" (إر ٥: ٥). هي صورة من عالم الزراعة حيث "الثور" يخضع لمن يقوده، فتكون الأثلام مستقيمة. تركوا طريق الربِّ، وانغمسوا في الفساد، واعتبروا أنَّ لا حقَّ لله عليهم.

شبَّه النبيُّ شعبه بالطيور التي تعرف أن تعود إلى أوكارها، أمّا هم فلا يرجعون إلى الربّ (٨: ٧). ويعتبرون نفوسهم صادقين، حكماء، عارفين إلى أين هم ماضون! مساكين. قالوا: "نحن حكماء وشريعة الربِّ معنا" (٨: ٨)، هي بأمرنا، نتصرّف بها كما نشاء وبحسب منفعتنا. ولكنَّنا حوّلناها: "صارت شريعة كاذبة تحت قلم الكتبة الكاذب". والكتبة هم "رجال القانون" الذين يعملون تحت سلطة الملك. يحفرون القرارات الملكيَّة بالإزميل في الحجر، وهكذا حوَّلوا مضمون سفر التثنية. كما أنَّ هناك أنبياء كذبة، هناك كتبة كذبة، وبيدهم ماذا يصبح كلام الحقِّ، وإلى أين تصل حالة الفقراء؟ اعترض إرميا على مثل هذا الإجراء وقال: "خزيَ الحكماء، خابوا، انخدعوا" (آ ٩). ويمكن أن نقرأ النصَّ: "أُخذوا في الفخ، أو: وقعوا في الأسر. ماذا نفعتهم حكمتهم؟ أو أيَّة حكمة حكمتهم؟" احتقروا كلام الربّ، "نبذوه"، لم يعد هذا كلام الله، بل كلام الناس. وبعد هذا يجرؤون فيقولون: نحن حكماء، نحن اختصاصيّون في الحكمة.

ويهدِّد النبيُّ. وتهديده تحذير علَّ الناس يتوبون. ولكن حين قرأ تلاميذ النبيّ أقوال إرميا رأوا أنَّها تمَّت. أما هكذا يفعل كلُّ محتلٍّ لمدينة من المدن، وبالأحرى لأورشليم العاصمة؟ ولكنَّ النبيَّ بيَّن في الوقت عينه الظلم الذي يمارسون: يأخذ الغنيُّ امرأة الفقير! يضع يده على حقل الغرباء، همُّه الربح، والربح السريع. قال النبيُّ بفم الربّ: "لذلك أعطي نساءهم لآخرين، وحقولهم للغزاة؛ فهم جميعًا من صغيرهم إلى كبيرهم يطمعون بالمكسب الخسيس". هذا العقاب الذي حصل لوجهاء أورشليم استلهم شريعة "سنّ بسنّ وعين بعين"، فكأنَّ الله ينتقم لوضعاء شعبه. هم لا يستطيعون أن "ينتقموا"، الربُّ دافع عنهم. ونتذكَّر هنا أشعيا النبيّ: "ويل للذين يضمُّون بيتًا إلى بيت، ويصلون حقلاً بحقل، حتَّى لا يبقى مكان لأحد، فيسكنون في الأرض وحدهم" (أش ٥: ٨). والعقاب يأتي من فم النبيّ: "على مسامعي قال الربُّ القدير: بيوت كثيرة تصير خرابًا، بيوت كثيرة فخمة تبقى بغير ساكن" (آ ٩). وكيف يحصل هذا؟ بدَّلوا القوانين. الأرض تعود إلى أصحابها في السنة السابعة! هي ما عادت! العبد يعود إلى أرضه حرًّا في السنة السابعة! بل يبقى عبدًا إلى الأبد هو وامرأته وأولاده؟ "الأرض لا تُباع بيعًا دائمًا، فالأرض لي وأنتم غرباء ومقيمون عندي، بل في كلِّ أرض تملكونها (على أثر دين مع فائدة مرتفعة، أو في استعمال القوَّة) تعطون للمالك الأصيل حقَّ فكاكها" (لا ٢٥: ٢٣-٢٤). أجل، الأرض تعود إلى صاحبها الأصليّ، ولا تنتقص من قبيلة إلى قبيلة. ويواصل نصُّ الشريعة: "وإذا افتقر إسرائيليٌّ عندك وباع نفسه لك، فلا تستخدمه خدمة العبيد، بل كأجير ومقيم يكون معك إلى سنة اليوبيل، ثمَّ يخرج من عندك هو وبنوه معه، ويرجع إلى عشيرته وملك آبائه" (آ ٣٩-٤٠).

أين صارت هذه الشرائع؟ تحوَّلت. ونعود إلى أشعيا: "ويل للذين يجذبون الإثم بحبال الباطل" (أش ٥: ١٨). ثمَّ: "ويل للذين يدعون الشرَّ خيرًا والخير شرًّا، الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا، الجاعلين الحلو مرًّا والمرَّ حلوًا" (آ ٢٠). ومن يدفع الثمن؟ وأين العدالة؟ ويقول النبيّ: "حميَ غضب الربِّ على شعبه، ومدَّ يده عليهم وضربهم" (آ ٢٥). نتذكَّر أنَّ غضب الله هو بكاء على شعبه وتأسُّف عميق؛ فهو لا يريد موت الخاطئ، بل أن يعود عن ضلاله ويحيا. ولهذا يرسل الله الأنبياء. واعتاد الناس في ذلك الوقت، ونحن أيضًا، أن نربط الخطيئة بعقابها: عملوا هكذا فجاءتهم الضربة. خصوصًا، حين تأتي الحرب، الأغنياء هم الذين أوَّل من يحسُّ بتبديل الأحوال. أمّا الفقراء فلا يحسُّون بأنَّ وضعهم صار أقلَّ أو أكثر ممّا كان: كان عليهم سيِّدٌ مستبدّ، وجاء عليهم سيِّدٌ أكثرَ استبدادًا.

٣. ليت لي كوخًا في البرّيَّة

نادى النبيُّ بالعدالة وما من عدالة. رأى الناس عامَّة والعظماء خاصَّة، الفساد الحالّ في البلاد. ما عاد الربُّ،

ونبيُّه معه، يقدر أن يعيش في وسط شعبه الذي تنجَّس بأعماله المشينة. إذا كان الفقراء حصَّته وهم يعامَلون بهذه الطريقة، فكيف ينظر إليهم، وكيف يقدر أن يسمع صراخهم؟ أرسل النبيَّ وراء النبيَّ، فجاء في المقابل الأنبياء الكذبة الذين يصوِّرون الحالة بأحسن ما يكون. وهكذا تصل إلى الملك وإلى العظماء الذين لا يريدون أن يروا ولا أن يسمعوا. كرَّر الكهنة أقوال الشريعة في الأعياد الكبرى حيث المؤمنون يأتون من كلِّ مكان، ولكن جاء من حوَّل الشريعة بحيث لم تَعُد تمارَس، فصار شعب الله مثل الشعوب الذين لا إله لهم؛ فماذا عزم الله أن يفعل؟

أن يعتزل، أن يبتعد، لأنَّ هذا المشهد يؤلمه: "ليت لي كوخًا في البرِّيَّة فأنصرف تاركًا شعبي" (٩: ١). هناك أبيت كما يبيت المسافر وينطلق فلا يلتفت إلى الوراء. كنتُ عندهم ولن أبقى، والسبب: "كلُّهم من الزناة، زمرة من الخونة والماكرين". نتذكَّر أنَّ الزنى في الكتاب المقدَّس يدلُّ على ترك الربِّ والالتحاق بآلهة أخرى، كما الخيانة بين الزوج والزوجة. أمّا على مستوى الله، فالزوج حاضر دائمًا. والزوجة، أي الشعب، هي التي تترك الربَّ وتمضي وراء "عشَّاقها"، أي الآلهة التي تحبُّهم، كما يقول هوشع النبيّ (ف ٢). الواحد يخون الآخر بعد أن يخون ربَّه. وبدأت الخيانة والشرُّ مع "اللسان". هو مثل "القوس" التي ترسل السهم، الكذب. إذًا لا مكان للحقيقة عندهم؛ فماذا يسيطر في البلاد؟ الكذب، لا الحقّ، كما يقول النصُّ اليونانيّ، كيف يتعلَّمون؟ ينطلقون من الشرّ. وإلى أين يصلُون؟ إلى الشرّ. الإثم يجرُّ الإثم، والخطيئة تدعو إلى الخطيئة. وما كان المطلوب منهم؟ "أن يعرفوا الربَّ" (آ ٢).

لا ثقة، لا طمأنينة، وينبِّه النبيُّ: "ليحذر كلُّ واحد من صاحبه، ولا يتَّكل على أحد من إخوته؛ فكلُّ أخ يمكر بأخيه، وكلُّ صاحب يسعى بالنميمة" (آ ٣). "يمكر". حرفيًّا "يعقب"، أي يتصرَّف مثل يعقوب، أي الأسباط. حين مكر بأخيه عيسو وكذب على خاله لابان، قال عنه أولاد لابان: "أخذ يعقوب كلَّ ما لأبينا، وممّا لأبينا صنع كلَّ هذه الثروة" (تك ٣١: ١). نتخيَّل الجوَّ الذي يعيشه الناس: حاجز بين الأخ وأخيه، إن لم تكن عداوة، وكذلك بين الصاحب وصاحبه. هي "ألاعيب"، هو الافتراء والتفكير بالسوء.

ويتواصل الكلام: "كلُّ واحد يخادع صاحبه، ولا أحد يتكلَّم بالصدق (هو لا يقول الحقيقة). "علَّموا ألسنتهم كلام الكذب، فعجزوا عن الرجوع عنه" (آ ٤). "يسكنون في وسط المكر، وبالمكر أبَوا أن يعرفوني". أو "المكر" أو "الله". حين نقول "الله" نعني الصدق والحقّ، وحين نقول "المكر" نكون في رفقة إبليس الذي دعاه يسوع: "الكذّاب وأبا الكذب" (يو ٨: ٤٤). وأعطى اليونانيّ معنى آخر: "عنف وراءه عنف، ومكرٌ يليه مكر".

ماذا يبقى للربِّ أن يعمل، مستعينًا بنبيِّه؟ "على الجبال أندبُ وأبكي، وعلى المروج أنشد رثائي" (آ ٩). وسبق النبيُّ وقال في نهاية الفصل الثامن: "ليت رأسي ملوءه ماء، وعينيّ ينبوع دموع، فأبكي نهارًا وليلاً على قتل أبناء شعبي" (٨: ٢٣)؛ فالسبب هو الخطيئة المتراكمة: متى يعودون؟

* * *

هل الشعب الجاهل وحده يتصرَّف هكذا؟ لا، بل الوجهاء والمعروفون. النبيّ الذي يُطلَب منه كلام الحقِّ يُرسل كلام الكذب. وبجانب الأنبياء نجد الكهنة: "الأنبياء يتنبَّأون زورًا، والكهنة يجمعون ما تصل إليه أيديهم" (٥: ١١). وكانت ترجمة أخرى بالنسبة إلى الكهنة: "الكهنة يتسلَّطون بجانب الأنبياء"، أو "ويقدِّم الكهنة توصيات مستندين إلى الأنبياء". وفي أيِّ حال، يمضي الكهنة معًا في خطِّ البعل لكي يُرضوا الملك.

وتجاسر النبيُّ ولام الملك لأنَّه نسيَ واجباته تجاه شعبه، فكان المثل السيِّئ في التعامل مع شعب الأرض.

أمّا الكلام فجاء في إطار خراب أورشليم. "وقُلْ لبيت ملك يهوذا: إسمعوا كلمة الربّ، يا بيت داود: أحكموا بالعدل كلَّ صباح، وأنقذوا المظلوم من يد الظالم، لئلاَّ ينفجر غضبي كالنار، فيحرق ولا من يُطفئ، بسبب شرِّ أعمالكم" (٢١: ١١-١٢). لماذا هذا الكلام ليوياقيم؟ لأنَّ العدل ضاع في أيّامه. هنا نتذكَّر متى كانت تنعقد المحكمة: في الصباح، لأنَّ الشعب يأتي باكرًا، قبل طلوع الشمس، إلى باب المدينة حيث يجتمع الناس. هناك يحكم الملك أو قضاته. ولكنّ تدخُّل الملك واضح، فينبغي عليه أن يسمع صوت النبيّ.

وما هو الظلم الذي يتكلَّم عليه النبيُّ وينبّه عليه "بيت داود"؟ فقراء يعملون مجّانًا من أجل الملك. ندعوه: عمل سخرة. كلُّ هذا يعيدنا إلى ما قال صموئيل للشعب حين طلبوا ملكًا: "يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه... ويأخذ بناتكم... ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم..." (١ صم ٨: ١١ي).

أمّا يوياقيم، ومعنى اسمه: الله أقامه (ملكًا)، فكان آخر ملوك يهوذا (٦٠٩-٥٩٨). هو ابن يوشيّا وخَلَفُ أخيه يوآحاز الذي أنزله المصريُّون عن العرش وأخذوه أسيرًا إلى بلادهم. كان يوآحاز هذا الذي لا يملك سوى ثلاثة أشهر، أكفأ من يستطيع أن يواصل الإصلاح الذي بدأ به والده، ولكن سيطر الحزب الموالي لمصر واختار أليَاقيم الذي بدَّل له ملك مصر اسمه ودعاه "يوياقيم"، وكأنَّه هو أقامه وأجلسه على العرش، فصار تابعًا له ودفع له الجزية (٢ مل ٢٣: ٣٤-٣٥).

وبدلاً من أن يشكر لله نعمة ما كان ليستحقَّها لو لبث أخوه ملكًا، ترك وصايا الربِّ وأحكامه، وراح في خطٍّ معاكس لما يطلب سفر التثنية من الملك: "لا يُكثر له الخيل... لا يُكثر له نساء... وفضَّة وذهبًا لا يُكثر له كثيرًا" (١٧: ١٦-١٧). وتأتي التوصية الإيجابيَّة: "وعندما يجلس على كرسيّ ملكه، يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويِّين، فتكون معه، ويقرأ فيها كلَّ أيّام حياته، لكي يتعلَّم أن يتَّقي الربَّ إلهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض يعمل بها" (آ ١٨-١٩). كيف كان سلوك يوياقيم؟ يستحقُّ كلَّ لوم. لهذا كرَّست نبوءة إرميا فصلاً كاملاً للكلام عن يوياقيم وعن جوره في الحكم، هو والحاشية التي تحيط به.

"هكذا كلَّمني الربُّ: إنزل (يقع الهيكل فوق قصر الملك الذي اعتبره النبيّ "في الوادي" [٢١: ١٣]) إلى بيت ملك يهوذا، أنت وعبيدك (الوزراء، والكبار، العائلة المالكة) وشعبك الداخلين في هذه الأبواب" (٢٢: ١-٢).

هي جرأة النبيّ، الذي يقول ما يقوله له الربّ، وهذا مع أنَّه عالم أنَّ الخطر يهدِّده. وتواصل ف ٢٢: "هكذا قال الربُّ (لسنا هنا أمام قول بشريّ، من شخص ضعيف مغلوب على أمره، وليس له من يدافع عنه): "أُجروا الحقَّ والعدل"، أي دافعوا عن حقِّ الناس، ولاسيَّما الضعفاء منهم. "مارسوا العدالة" عند أبواب المدينة حيث يجتمع الناس من أجل قضاياهم كلِّها. فإن أطلَّ عدوّ، هربوا بسرعة وأغلقوا الأبواب. "أنقذوا المظلوم من يد الظالم". من هو الظالم؟ لا شكَّ الملك والأقوياء بقوَّته الذين يغتصبون أموال الناس وأرزاقهم. ونعود إلى اللائحة المعروفة: "لا تضطهدوا (تسيئوا معاملة) الغريب واليتيم والأرملة ولا تجوروا عليهم". من هو الذي يطلب هذا من الملك؟ النبيّ باسم الله. وكيف يجسر أن يعطي درسًا للقصر الملكيّ؟ لأنَّ الربَّ أرسله. وكم مرَّة أراد أن يتهرَّب من هذه المهمَّة فلم يسمح له الله. وأخيرًا: "لا تسفكوا الدم الزكيّ (البريء) في هذا الموضع، في مدينة الربِّ وقرب هيكله ويأتي التهديد كالعادة.

ويرد الحكم قاسيًا على يوياقيم: "ويل لمن يبني بيته بالظلم (= غير عدل)، ويعلي غُرفَه بغير حقّ" (آ ١٣). "احتقار للعدل والاستقامة". أَمَا الملك فوق الشريعة، كما في الحضارات المجاورة؟ لا؛ فالملك يبقى خاضعًا لشريعة الربّ، والنبيُّ يقدر أن يوبِّخه كما وبَّخ صموئيل

شاول لأنَّه فضَّل صوت الشعب (والجيش) على صوت الله (١ صم ١٥: ١٠ي). وكما فعل ناتان مع داود حين قال له: "أنت الرجل" الذي يستحقُّ الموت: سرقت وقتلت (٢ صم ١٢: ١ي). وإيليّا أيضًا وبَّخ الملك أخاب، لأنَّه قتل نابوت واستلب منه كرمه (١ مل ٢١)؛ فهل نتعجَّب أن يفعل إرميا على مثال الذين سبقوه!

فيوياقيم "يستخدم الآخرين بغير أجرة (مجّانًا، كرامة عيون الملك، والويل لمن يعارض) ولا يوفي أحدًا عن عمله". أين هي الشريعة التي تطلب من ربِّ العمل أن يعطي العامل أجرته عند غروب الشمس؟ قال سفر التثنية: "لا تظلم أجيرًا مسكينًا وفقيرًا من إخوتك أو من الغرباء الذين في أرضك، في أبوابك (مدينتك أو بيتك). في يومه تعطيه أجرته، ولا تغرب عليها الشمس لأنَّه فقير، وهو ينتظر أجره بفارغ الصبر، لئلاَّ يصرخ عليك الربُّ، فتكون عليك خطيئة" (تث ٢٤: ١٤-١٥).

قال يوياقيم: "أبني لي بيتًا واسعًا وغُرَفًا فسيحة"؛ وماذا فعل؟ "فتح له نوافذ وغلَّفه بالأرز ودهنه بلون القرمز" (إر ٢٢: ١٤). ويأتي اللوم قاسيًا: "أتكون عظمة ملكك أن يفاخر بالأرز؟ أما اكتفى أبوك بأن أكل وشرب، وعرف السعادة؟ وأجرى الحقَّ والعدل وقضى للبائس والمسكين، فكان في خير" (أي وجد السعادة). أجل، معرفة الله هي السعادة (إر ٢٢: ١٤-١٦).

ولكنَّ يوياقيم تصرَّف مثل طاغية، مثل ملك جائر. هو يستطيع أن يفرض إرادته ويسخِّر الناس في أعمال من أجل مجده الخاصّ. أما يطلب من المواطن أن يدفع أجر العامل؟ والملك؟ واجبه الأوَّل أن يدافع عن الحقِّ والعدل، فهو من يقوم على الأرض مقام الله الذي ينتقم للمظلومين (عا ٢: ٦-٨). وهو مكلَّف تكليفًا خاصًّا بالوضعاء والمساكين والضعفاء، كما يقول مز ٧٢: ٢-٤: "يحكم شعبك بالعدل ووضعاءك بالحقّ... يقضي (قضاء عادلاً) لمساكين الشعب (ووضعائهم)، يخلِّص البائسين (من يد ظالميهم) ويسحق من يستغلُّهم".

أراد يوياقيم أن يقتدي بسليمان، فبنى الدارات الفسيحة كما كان المصريُّون يفعلون. هو الملك ولا يوازيه سوى الأرز. أما كان الأفضل له أن يقتدي بأبيه يوشيّا في حياة بسيطة متواضعة؟ فمعرفة الله في ممارسة العدالة هي أساس السعادة. أمَّا هذا الملك فنال "سراب" السعادة على حساب حقِّ الفقراء: "أمّا أنت (يا يوياقيم) فعيناك وقلبك في المكسب الخسيس وسفك الدم البريء والظلم والعنف" (إر ٢٢: ١٧). والحكم: لا يبكي أحد على هذا الملك، "فيُسحَب ويُطرَح بعيدًا عن أبواب أورشليم ويُطمَر هناك طمر الحمار" (آ ١٩). تلك نهاية الظالمين الذين يدوسون مبادئ العدالة، فيستعملون سلطانهم للظلم لا للحقّ.

* * *

والعظماء؟ لم يكونوا أفضل من الملك في ممارسة العدالة. وكان مثل خاصّ حصل في زمن إرميا. طلب الملك منهم أن يحرِّروا العبيد كعربون عن ممارسة الشريعة لكي يرحم الله الملك والذين حوله. "الكلمة التي كانت إلى إرميا من قبل الربِّ بعد أن جعل الملك صدقيّا كلَّ الشعب الموجود في أورشليم يلتزم بتحرير العبيد: كلُّ واحد يحرِّر عبيده العبريِّين، رجالاً ونساء، وما من أحد منهم يستعبد أخاه اليهوداويّ بعد اليوم (٣٤: ٨-١٠). أخذوا عهدًا على نفوسهم وحرَّروا عبيدهم (آ ١٠). تذكَّر الملك ما تقول الشريعة: "إذا اشتريتَ عبدًا عبرانيًّا، يخدم ستَّ سنين (عندك). وفي السابعة يخرج حرًّا، مجّانًا (أي: لا يدفع افتداء؛ خر ٢١: ٢).

عمل رائع من العدالة في خطِّ ما يطلبه الله من شعبه. وانتظروا أن يكافئهم الله خيرًا لما فعلوا. ولكنَّهم لم يروا نتيجة مباشرة، فعادوا عن العمل الذي قاموا به، كمن نذر نذرًا ورفض إيفاءه. ماذا تروي النبوءة؟ "ولكنَّهم عادوا بعد ذلك فأرجعوا العبيد والإماء الذين أطلقوهم أحرارًا، وعادوا يستغلُّونهم عبيدًا وإماء" (٣٤: ١١).

أهكذا يهزأون بالله؟ يفعلون ويتراجعون. فقال الربُّ

مذكِّرًا بمسيرة الخروج من مصر: "أنا قطعتُ عهدًا مع آبائكم يوم أخرجتُهم من أرض مصر، من بيت العبيد، قائلاً: في نهاية سبع سنين... ولكن لم يسمع آباؤكم لي ولا أمالوا أذنهم. واليوم رجعتم أنتم وفعلتم ما هو مستقيم في عيني: كلُّ واحد أعلن أنَّه يُعتق صاحبه. وقطعتم عهدًا أمامي في البيت الذي دُعيَ باسمي". أجل، حسنًا فعلتم. هكذا دللتم على توبتكم واستعدادكم للعمل بوصايا الربّ. ولكنَّ استعدادكم لم يدم طويلا. ويتواصل كلام الربِّ في إر ٣٤: ١٦: "ثمَّ عدتم ودنَّستم اسمي وأرجعتم كلُّ واحد عبده وكلُّ واحد أمته الذين أطلقتموهم أحرارًا. وها أنتم تستغلُّونهم من جديد، عبيدًا وإماء".

ويأتي العقاب مع تلاعب على الكلام مع لفظ "أعتق"، "حرَّر". أنتم "أعتقتم" وأنا "أعتقكم، أحرِّركم، أدفعكم إلى السيف والوباء والجوع... وذاك ما حصل في نهاية عهد صدقيّا: نبَّههم فما انتبهوا، وهكذا كانت نهاية أورشليم والملك والعظماء، فلم يبقَ هناك سوى شعب الأرض من أجل دفع الضرائب وأعمال السخرة من قِبل المحتلّ.

خاتمة

ماذا كانت النتيجة؟ الرجوع إلى الله وممارسة العدالة؟ كلاّ، بل إسكات النبيّ ومنعه من التكلُّم باسم الله. عذاب فوق عذاب، وسجن بعد سجن إلى أن وُضع في بئر موحلة حيث كاد يموت. والحمد لله أنَّ رجلاً غريبًا، حبشيًّا، هو من جاء إلى نصرة النبيّ. ويقول الشرّاح: إذا كان صدقيّا ارتضى لإرميا أن يخرج من هذه البئر، فخوفًا من هذا الغريب الذي مارس الرحمة أكثر منهم. ذاك هو مصير الأنبياء أمام الظلم الذي يحلُّ بالبلاد. عاموس أُجبر على العودة إلى أرضه. يوحنّا قُطع رأسه. والمطران هلدر كامارا (البرازيل) جُعل في زاوية بحيث لا يُسمَع صوته بعد أن دُعيَ الأسقف الأحمر، تلميحًا إلى الشيوعيِّين. أمَّا أوسكار روميرو فقُتل على المذبح لأنَّه حاول أن يدافع عن الفلاَّحين الذين تُؤخذ منهم أرضهم من أجل الملاّكين الكبار. والتاريخ يواصل مسيرته. والأغنياء يزدادون غنى والفقراء فقرًا، وكأنَّ الربَّ أنزل يديه أمام شرِّ الإنسان فقال: سيبقى بينكم محتاجون، فيبقى على الأفراد كلٌّ في مكانه أن يعيش بحسب الحقِّ والعدل، في المحيط الذي يعيش فيه. ففي النهاية، يزول الظلم، "فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي، والبقرة والدبَّة ترعيان معًا". ذاك ما قال أشعيا (١١: ١: ٦ي). والحلم يبقى حلمًا.

العدالة والتوبة في سفر إرميا

الأب لويس الخوند
دكتور في اللاهوت الخُلُقيّ

مقدّمة

إنّ النبيّ هو في الحقيقة "لسان الله" (١: ٩؛ ١٥: ١٩). مَن يتعمّق في قراءة كتب الأنبياء يرى أنّ الموضوع الأهمّ الذي تدور حوله تعاليمهم هو موضوع العدالة، الذي هو، في الوقت عينه، موضوعٌ دينيٌّ وموضوعٌ اجتماعيّ. ومن الملاحظ أنّهم يشدّدون على موضوع العدالة التي تُعتبر أساسًا للتصرّف الدينيّ المستقيم؛ فالعدالة بنظرهم هي تنفيذٌ للمعاهدة المبرمة بين الله وشعبه.

أمّا مفهوم العدالة في العهد القديم فينطلق من كلمة "صِدِقْ" (צֶדֶק) العبريّة، التي تعني التوافق والعيش والسير حسب مبدأٍ محدّدٍ ومعيّن؛ فالعادل والصادق هو الذي يعيش بحسب المبدأ المتّفق عليه. إنّه الإنسان البريء والمستقيم. إنّه ذلك الذي يضع اتّكاله على الله وحده، وإليه وحده يلجأ.

لكلمة "عدالة" مدلولٌ دينيٌّ واجتماعيٌّ في آن. و"الصدّيق" هو ذلك الذي لا يكتفي بأن يكون بريئًا ومستقيمًا، بل يسهم في نشر العدالة والاستقامة حوله، ويعمل على ترسيخها في المجتمع، والذي يبني جميع تصرّفاته على أساس هذا المبدأ.

أمّا المعنى القانونيّ للعدالة فهو مرتبطٌ بالتنظيم الاجتماعيّ. إنّه العدل بمعنى الحكم باستقامةٍ وبحسب القانون والشريعة.

وفي أحيانٍ أخرى تتخطّى العدالةُ الحقَّ الحرفيّ والحصريّ، وتصل إلى العلاقة الإنسانيّة التي يجب أن تسود بين الغنيّ والفقير.

الأنبياء لا يكتفون بالمبادلة، بل يطالبون بحقوق الذين ليس عندهم ما يعطونه بالمقابل؛ فحقّ الأرملة واليتيم، مثلاً، لا يقوم على الحصول على أجرٍ عادلٍ عن عملٍ قاما به، أو ثمنٍ لبضاعةٍ باعاها، بل إنّه في الحصول على ما هم بحاجةٍ إليه لتأمين عيشٍ حرٍّ كريم.

فللعدالة، في نظر الأنبياء، معنىً أهمّ من عدالة المبادلة. هي ليست إعطاء مَن لهم فحسب، بل إعطاء مَن ليس لهم. إنّها حقّ العضو في الجماعة في الحصول على ما هو بحاجةٍ إليه.

"قبل أن أصوّرك في البطن عرفتك (إخترتك)، وقبل أن تخرج من الرحم قدّستك (قدّستك)" (١: ٥):

قبل أن يولد الإنسان، يصوّره الله في البطن (١٨: ٦). "قدّستك": جعلتك جانبًا واحتفظتُ بك لنفسي (٢: ٣؛ ١٢: ٣) من أجل خدمةٍ خاصّةٍ سوف تحدَّد في ما بعد: "جعلتك نبيًّا للأمم": يبدأ كلامه في يهوذا، ويصل إلى الممالك المجاورة.

ومن جهةٍ أخرى، تقتضي عدالة الله توبة الإنسان والشعب "ابن الله" (٣: ١٩) إلى الله الملك الوحيد. وإذ

يتكلّم إرميا، يقوم بعملٍ سياسيّ، وإن تركّز تعليمه على التوبة والعودة إلى الربّ، وإن كان لتعليمه بشكلٍ خاصٍّ بُعدٌ دينيّ.

أوّلاً: العدالة والتوبة في سفر إرميا

١. إرميا (الله يُعلي) حامل الكلمة، كلمة الربّ. تنبّأ عن "عهدٍ جديد". كتابه دعوةٌ إلى التجاوب مع عدالة الله، بالتوبة والتغيير؛ فعلى النبيّ أن يدعو الناس إلى التوبة والتغيير. إنّ أكثر مَن جال في مضمار التوبة/الاهتداء هو إرميا؛ فلقد أمعن في السير على طريق الفكرة التي وضعها هوشع، مسهبًا كلّ الإسهاب في موضوع الاهتداء؛ فلقد كشف النبيّ عن المصائب التي تهدّد يهوذا، وذلك لكي يرجع كلّ واحدٍ عن طريقه الشرّيرة. إرميا هو من القادة الفعّالين. القادة الفعّالون يتّحدون بشعبهم في خطاياه وإخفاقاته، كما في توبته وبرّه.

نبوءة إرميا هي كلمة الربّ إلى قصر ملك يهوذا: "أحكموا بالعدل، وأنقذوا المظلوم من يد الظالم" (٢٢: ٣)، وتوبوا. تجاوبوا مع عدل الله ورحمته.

نقرأ أقوالاً تصيب ملوك يهوذا: يوآحاز، يوياقيم، يوياكين، في إيجازٍ يصوّر أولئك الذين استعملوا سلطانهم ليكرّسوا الغنى ويظلموا الشعب، وما عرفوا إقامة الحقّ والعدل (٢٢: ١٣-١٧).

وقد حذّر النبيّ من الأنبياء الذين لم يرسلهم الله: "يتكلّمون برؤيا قلبهم لا عن فم الربّ" (٢٣: ١٦).

والإمبراطوريّة البابليّة رافقها إرميا، واعتبر ما فعلته "آتيًا من عند الربّ"؛ فهو العامل الحقيقيّ، لا نبوخذنصّر. الربّ ساهرٌ (٣٣: ٢٩؛ ٥١: ١٢) على كلمته التي تتمّ في أوانها. دعا إرميا، لا ليبني أوّلاً، بل "ليهدم". والكلمة المهمّة التي سمعها النبيّ: "أينما أرسلك، أنا معك" (١: ٧-٨ و١٩). هذا كفاه. وهذا يكفي كلّ واحدٍ منّا.

٢. يحثّ الربُّ نبيّه ويشجّعه (١: ١٧-١٩): "أخذتك" (٧: ١). "أعطيتك اليوم سلطةً على الأمم وعلى الممالك لتقلع، وتهدم، وتُهلك، ولتنقض، وتبني وتغرس" (١: ١٠): أربعة أفعالٍ تتحدّث عن الدمار والخراب، وفعلان فقط عن الغرس والبناء (٢: ٢١؛ ١١: ١٧؛ ١٢: ١٤-١٧؛ ١٨: ٧ و٩؛ ٢٤: ٦؛ ٣١: ٢٨)؛ ففي قصائد ذات قوّةٍ إيحائيّةٍ خارقة، وصف دخول جيشٍ لا يقاوَم، يخرج من الشمال ويتدفّق على يهوذا وأورشليم (راجع الفصول ٤-٦ خصوصًا)، جيشٍ لا يرحم ولا يترك أيّ أملٍ كان للمغلوبين، إلاّ إذا تابوا إلى الله قبل فوات الأوان. ولكن ما يبعث الأمل، هو أنّ الكلمة الأخيرة هي للبناء؛ فالربّ حاضر، وهنالك عودةٌ إلى الربّ لا رجوع عنها. إلتصق الشعب بالربّ ليكونوا له اسمًا وفخرًا ومجدًا (١٣: ١١). ومن التين الطيّب (ف ٢٤)، من "البقيّة الباقية" التي تعود إلى الربّ، ينطلق الربّ لكي يقيم "عهدًا جديدًا"، ويعيد بناء شعبه. ذاك ما نقرأه في ٢٦: ١ - ٤٥: ٥ من أقوالِ خلاصٍ لإسرائيل ويهوذا، ويصل إلى الممالك المجاورة (١: ١٠)، فيفتح الربّ عهدًا من الخير والفرح والسلام: و"تكون حياتهم كجنّةٍ ريّانة ولا يعودون يذبلون من بعد" (٣١: ١٢).

٣. شدّد النبيّ على أنّ ديانةً لا تعرف العدالة في المجتمع، هي كذبٌ ونفاق (٢: ١٣). ولكنّ الربّ لن يسمح بالدمار إلى النهاية؛ فهو "يبني ويغرس" (١: ١٠). مضى وقت القلع وجاء وقت الغرس. مضى وقت الدمار، وها هو البناء في "المدينة التي سُبيتم إليها" (٢٩: ٧). وإعادة البناء تُذكر في ف ٣٠-٣٣؛ فكلمة الربّ تسبق التاريخ، وتجعله يفعل لخيرِ الذين يحبّونه.

أخذ إرميا "الأمان". تحدّث عن عدالة الله.

يتبرّر الإنسان عادة، حين ينتصر بدعواه على خصمه، ويعلن عدالة حقّه؛ فمجال العدل أوسع بلا مقارنةٍ من مجال القانون، أو حتّى من مجال العرف الجاري.

٤. فالله عادل، وهذا يعني أنّه غير مخطئ في تصرّفاته، ولا يمكن أن يحاجّه أحد (١٢: ١). و"لكن لعلّ هذا يعني أيضًا أنّه إذ يعرف من أيّ طينٍ جبلنا، وإلى أيّ شركةٍ يدعونا، فباسم برّه ذاته ومراعاةً لخليقته، يؤهّلنا

أن نكون أبرارًا في نظره، أي كما يجب أن نكون"[١].

٥. مملكة الشمال مدعوّةٌ إلى التوبة (٣: ٦-١٣). ترقى هذه الفقرة إلى عهد يوشيّا، وبالتحديد بعد الإصلاح الذي قام به في السنة ٦٢١-٦٢٢، الذي سانده فيه مجموعتَا الكهنة والأنبياء. ويبدو أنّ إرميا أسهم فيه إسهامًا فعّالاً حُفظ ذكره في ١١: ١-١٤؛ فالفقرة المذكورة هي شاهدةٌ على الأمَل الذي حفظه إرميا في شأن توبة مملكة الشمال (رج ٣٠: ١ - ٣١: ٢٢). واضطُهد إرميا في عناتوت (١١: ١٨-٢٣) لتزعّمه إصلاحَ الملك يوشيّا الذي أدّى إلى إزالة المعابد المحلّيّة التي تفشّت فيها العبادات الوثنيّة البابليّة. وكان منسّى هو المسؤول عن إدخالها إلى إيمان الشعب بربّه.

٦. إسرائيل الخائن يستحقّ العقاب. طُرح السؤال: هل يرجع إسرائيل الخائن إلى الربّ؟ الجواب: إنّ الربّ هو المبادِر. قطع عهد حبٍّ وأمانةٍ مع شعبه. ومملكة الشمال مدعوّةٌ إلى التوبة، فعلى إسرائيل المتمرّد "أن يعترف بإثمه"، إذا أراد ألاّ يظلّ الله عابسَ الوجه تجاهه (٣: ١-١٦؛ رج ٢: ٢٣). الربّ يستعدّ دومًا لاستقبال أولاده الضالّين، فيردّ لهم حبّه إن تابوا، لأنّ التوبة ممكنة (آ ١٩-٢٥)، وبدّلوا قلبهم في عيش الصدق والعدالة والحقّ: "إرجعي إليّ" (آ ١). صار الشعب رجسًا فلا يمكن أن يستقبله الربّ. وحده الإقرار بالخطايا والتوبة يجعلان الرجوع ممكنًا، فيستقبل الربُّ التائبَ (٣: ١٣ و٢٥)، إسرائيل، الصارخ إليه: "يا أبي، أنت رفيق صباي" (آ ٤)، وهذا ما يدلّ على حياةٍ حميمة. هي إشارةٌ إلى أمانة الشعب للربّ كأمانة المرأة لرجلها (آ ١). ويضيف إسرائيل للربّ أبيه: "هل تحتفظ بغضبك" (آ ٥): هي ثقة الشعب بالربّ، ولكنّها ثقةٌ سطحيّة، وكأنّهم يقولون للربّ: قساوتك لا تدوم. وربّما يدعو النبيُّ الشعبَ إلى الصدق في التوبة: مملكة إسرائيل "السائبة" (آ ٦ و١١)، بعاصمتها السامرة، رفضَت الرجوع إلى الله. ومملكة يهوذا، بعاصمتها أورشليم، لم تتعلّم؛ تمثّل الخيانة (آ ٧ و١١). الربّ يعيد مملكة إسرائيل التائبة، لأنّه الإله الأمين الحاضر، المرموز إلى حضوره بـ"تابوت العهد" (آ ١٦) والهيكل حيث جعل اسمه (آ ١٧)، أي حضوره (رج ٧: ١٠)؛ فأورشليم كلّها صارت عرشه، إليها تتوافد الشعوب (آ ١٧) تائبةً عن أصنامها، "الخشب... والحجر" (٢: ٢٧)، الآلهة الكاذبة التي تمثّلها المَسلاّت والأصنام الخشبيّة التي توضع على التلال المشرفة على المدينة. إنّ "الأمم" تركَت "نيّات قلبها الشرّيرة" (٣: ١٧). أتراها تعود هي أيضًا إلى ربّها؟ هذا ما ترجّاه النبيّ.

٧. يتواصل النداء إلى التوبة (٤: ١-٣١). يجب على المتمرّدين أن يغيّروا سلوكهم، ويختنوا قلوبهم (آ ١-٤). غير أنّ الشعب يرفض، فاستشفّ النبيُّ الاجتياحَ الآتي من الشمال (آ ٣-٧ و٩ و١١ و١٨ و٢٢ و٢٧-٢٨). هو نتيجة حكم الله على شعبه (ف ٦). ولكنّ إرميا لا يبقى ذلك الناظر من العلياء، وكأنّ الأمر لا يعنيه، فهو إذ يحكم على الشعب (آ ١٠-١٩)، يبكي شقاء هذا الشعب، فيتشبّه بموسى، ويتألّم ويصلّي بحيث يكون صورةً عن خادم الربّ في أشعيا. النبيّ يبكي لأنّ الخيانة لا تقود سوى إلى الفوضى والخراب (آ ٢٠). قال الربّ: "إن رجعتَ يا إسرائيل إليّ" (٤: ١). كيف يكون الرجوع؟ باثنين: إنتزاع الأصنام، وممارسة الحقّ والعدل. وهذا يعني وصيّتين: محبّة الله وعبادته وحده، ومحبّة القريب. النبيّ حثّ الشعب (آ ٨)، أو تشفّع (آ ١٠). إنّ إرميا حاسب شعب الله بدقّةٍ على خطيئتهم (آ ١٩-٢٦)، وكانوا يستحقّون كلّ ما يمكن أن تضعه العدالة على كواهلهم. إنّها الفُرصة الأخيرة للتوبة (آ ١١-١٨): "قومي" (آ ١١؛ رج ٦: ٢٦؛ ٨: ١١ و١٩ و٢١-٢٢؛ ٩: ١؛ ١٤: ١٧)، أي جماعة الشعب. يعود كلّ شيءٍ إلى الربّ. يبكي إرميا أمام شقاء شعبه: "شعبي جاهلٌ

(١) "عدل"، في **معجم اللاهوت الكتابيّ**، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢/١٨١.

لا يعرفني" (آ ٢٢): لا يريد أن يعرف الله. لا يطلب الله ولا يعرف "الخير" (رج ٩: ١١). عزم الربّ على معاتبة شعبه (آ ٢٧-٢٨)، لأنّه تركه والتحق بالآلهة الغريبة، فبدا كعروسٍ تلحق عشّاقها؛ فماذا ينفع البكاء في ذلك الوقت!

٨. **أورشليم مدينةٌ تعجّ بالفساد.** يُظلم الحسّ الخلقيّ عند الشعب والحكّام (٥: ١-٣١)، ويتولّد العنف والدمار على جميع المستويات، والنتيجة: الاجتياحات. كلّ هذا بسبب خطايا المدينة المقدّسة: "ما من إنسانٍ واحدٍ يصنع العدل ويعمل بالصدق" (آ ١-٦). بعد أن تحقّق الله من الأمر أعلن حكمه. لهذا طلب الله من إرميا أن يتحقّق بنفسه من الشرّ القابع في يهوذا (رج ٦: ٢٧-٣٠؛ ١٨: ٢٠؛ ١٩: ١). لا جَور عند الله؛ فإن عاقب كان منصفًا في عقابه. أورشليم مدينةٌ تعجّ بالفساد: "هل تجدون في ساحاتها إنسانًا؟ إنسانًا واحدًا يصنع العدل، ويطلب الأمانة، فأعفو عنها" (آ ١): "إنسان" يمكن أن يوثق به في تصرّفه الأمين، المستقيم. "فأعفو عنها". البارّ يستطيع أن "يخلّص" المجموعة الخاطئة. ولِمَ حكم الله؟ لسبب الانفلات الخلقيّ: "زنوا" (آ ٧؛ رج ٢: ٢٠؛ ٣: ٨)، أي شاركوا في عبادة الآلهة الوثنيّة. "قال الربّ" (آ ٧): هذا يعني أنّ البلاغ آتٍ من عند الربّ. ومَن خالفه تعرّض للعقاب. تكلّم الربّ فمَن يجسر أن يجادله. ولكنّ العقاب لا يكون نهائيًا: "لا تتلفوها" (أورشليم). تبقى بقيّةٌ تحمل الرجاء في قلب الكارثة (رج آ ١٨؛ ٣٠: ١١). "كلماتي في فمك" (آ ١٤): هذا ما يقول الربّ إلى إرميا، في وجه الأنبياء الكذبة الذين أعلنوا أنّ الله يتكلّم في أفواههم (آ ١٣). "فتأكلهم النار" (آ ١٤). ونتيجة الخيانات، يأتي السيف والجوع والنفي (آ ١٥-١٩). "أجلب عليكم أمّةً من بعيد" (آ ١٥)، "جعبةُ سهامها كقبرٍ مفتوح" (آ ١٦): جميع السهام التي تنطلق منها قاتلةٌ، فماذا يبقى سوى الدمار؟ "فيأكلون": يأخذون كلّ شيء. يقدّمونه لآلهتهم (آ ٢٤)، أو يجعلونه حريقًا للنار (١٠: ٢٥). تحوّل النظام في الخلق، وعرف البلبلة لسبب عدم معرفة عمل الربّ؛ فماذا ننتظر من شعبٍ يسير في طريق الكذب والنفاق؟ الكذب (آ ١٣) صارَ مرادفًا لاسم الآلهة الكذبة (٣: ٢٤؛ ٢٣: ١٣)، "الآلهة الباطلة" (١٣: ٢٥). والكذب هو البعل في شكلٍ خاصّ، والأصنام في شكلٍ عامّ (٥: ٣١؛ ١٠: ١٤؛ ١٦: ١٩). شجب النبيّ عبادة الأصنام (٣: ٢٣)، كما شجب كذب العبادة في الهيكل (٧: ٤-٨)، والاجتماع الكاذب بأنّهم أمناء لله (٣: ١٠). ثمّ الكذب والحلف بالزور في الحياة الاجتماعيّة (٧: ٩؛ ٩: ١؛ ٣٧: ١٤؛ ٤٠: ١٦)، وتشويه كلمة الربّ (٨: ٨)، وعدم الصدق في تصرّف الكهنة والأنبياء (٦: ١٣؛ ٨: ١٠؛ ٢٣: ١٤)، أنبياء يتنبّأون باسم الكذب أو البعل (٥: ٣١؛ ٢٠: ٦)، أو يتنبّأون كذبًا باسم الربّ (١٤: ١٤-١٦)، فيتحدّثون عن رؤًى وأحلامٍ كاذبة (٢٣: ٢٥-٢٦ و٣٢؛ ٢٧: ١٠ و١٤-١٥) بحيث يقدّمون للشعب طمأنينةً كاذبة (٢٨: ٢٥؛ ٢٩: ٣١).

"إسمعوا" (آ ٢١؛ رج ٢: ٤): كلامٌ فيه لومٌ وتوبيخ، ودعوةٌ إلى التوبة والعمل بموجب وصايا الله.

في ٦: ١-٣٠، أقوالٌ تعلن في شكلٍ خطير الاجتياح الآتي على أورشليم وسط نداءاتٍ إلى التوبة (آ ٨ و١٦)، وشجبٍ للفساد المسيطر على الشعب وعلى حكّامه (آ ١٣-١٤ و٢٨)، "الرعاة" (آ ٣؛ رج ٢: ٨) مع جنودهم. أتُرى "لا تَبقى من شعب إسرائيل" (آ ٩) بقيّة؟ وهل جاء الحكم نهائيًا؟ إسرائيل ترفض طريق الربّ (٣: ١٦-٣٠): "أين الطريق الصالح؟ سيروا فيه، فتجدوا راحةً لنفوسكم" (آ ١٦): تعيشوه في الراحة. أقمتُ لكم "رقباء" (آ ١٧). هم الأنبياء الذين كُلّفوا بإعلان عقاب سبقوا واستشفّوه، وبالدعوة إلى التوبة والرجوع إلى الله والتحزّم "بالمسح" (آ ٢٦) ليدلّوا على التوبة.

٩. **النبيّ إرميا سنة ٦٠٨ على باب الهيكل** (٧: ١؛ رج ف ٢٦) الذي هو قلب الحياة الدينيّة. وعظ النبيّ (٧: ١-٢٨)، فأعلن كذب ديانةٍ لا تمارَس فيها العدالة. لهذا، لا يسع أبناء الشعب أن يستندوا إلى الله، إن لم يكونوا أمناء للعهد (آ ٥-٧)؛ فَ"الهيكل" لا يعطي أيّ ضمانةٍ

بالحماية. ذاك ما حصل لمعبد شيلو (سيلوم اليوم، ٢٥ كلم شمال أورشليم؛ دُمّرت مع هيكلها بيد الفلسطيّين، سنة ١٠٥٠ ق.م.). لا جدوى من ثقةٍ عمياءَ بِـ"الهيكل" وبالنظم الدينيّة. وإنّ النتائج العمليّة الناجمة عن تفسير السلوك لا تغيب بحالٍ عن أنظار النبيّ. المطلوب هو طاعةٌ حقيقيّةٌ لوصايا الله (آ ٨-١٥) ولمشيئته كما أُوحي بها في سيناء وبواسطة الأنبياء (آ ٢١-٢٨).

١٠. لذا جاء العقاب قاسيًا (٧: ٢٩-٨: ٣). "لا تجوروا على الغريب واليتيم والأرملة" (٧: ٦). هم الذين يأخذهم الله تحت كنفه. تُقبل الذبائح إن رافقتها توبةٌ صادقةٌ وطاعةٌ مسرورة (آ ٢٢-٢٣؛ رج ٦: ٢٠). عندها "أكون لهم إلهًا" (آ ٢٣): عبارةٌ تدلّ على العهد بين الله وشعبه. إرميا يتفوّه بالحقّ (العدل) الجارح بدون مساومة (٧: ١-١٣)؛ فالربّ كان قد أمره بأن يعلن الدينونة والخراب على يهوذا. أطلع الربُّ النبيَّ على أنّه كان على وشك إبادة جيلٍ خاطئٍ يتألّف من مجموعةٍ من رجالٍ ونساءٍ عنيدين كانوا قد انحدروا إلى أدنى مستويات الصنميّة. نقل الله إلى إرميا كون القوم لم يستحوا قطّ من تصرّفاتهم الشائنة (آ ١٢)، وهم أبعد من أن يدينوا شرّهم، هذا إذا لم ينغمسوا فيه انغماسًا (٨: ٤-٧)؛ فالله هو نفسه يحزن أيضًا لخطيئة شعبه. النبيّ، القائد التقيّ حقًّا، لا يتوانى قطّ عن مواجهة الخطيئة أو عن إعلان رسالة الله؛ فالقادة الفعّالون هم الذين يواجهون الخطيئة بأمانةٍ ويدعون الخاطئ إلى التوبة. مع هذا فالكذب في كلّ مكان (٩: ١-١٥). والكذب هو الخطيئة بامتياز. وعدالة الله تستجوبها. وعدالة الله موحّدةٌ مع حكمته. و"معرفة" الله هي وحدها "الحكمة" الحقيقيّة، وذلك في لقاءٍ مع الربّ الذي يمتزج بالبشر ويشدّهم إلى حياةٍ متضامنةٍ مع الآخرين، في عيش الحقّ و"العدل على الأرض" (٩: ٢٣).

في ١٠: ١-٢٥، "لا نظير لك، يا ربّ" (آ ٦-٧) وجب على النبيّ أن يشير إلى عبادة الأصنام في مجتمعٍ يعيش فيه؛ فهذه العبادة التي هي نتاج تصوّرات الرغبات البشريّة، تولّد العبوديّة والموت. عكس مخطّط الله الموجَّه نحو الحرّيّة والحياة (آ ١-١٦). وفي آ ١٧-٢٥، تُراد مرثاةٌ حول الشرّ الآتي، وهي تنتهي بصلاةٍ يدلّ فيها الشعب أنّهم قبلوا العقاب، ولكنّهم يسألون الرحمة من عمق ضيقهم. ١٠: ٢٣-٢٥، هي صلاة النبيّ: "أبناء شعبك ضعفاء؛ فإذا أردتَ عقابًا، فليكن على الأمم": "أفرغ غضبك على الأمم": جاءت هذه الآية طلبًا للعدالة، لا للانتقام. يتلوها اليهود، كلّ سنة، خلال خدمة الفصح. ذُلّ الشعب، فماذا ينتظر الربّ لكي يتدخّل، ويوجّه طريق محبّيه؟

١١. "عادلٌ أنتَ يا ربّ" (١٢: ١). بما أنّ الله "عادل"، فهو الحكَم والحاكم: يستعدّ الربّ لسماع احتجاجاتنا وتشكّياتنا. "أنتَ عرفتني" (آ ٣): طلب النبيّ أن يُصيب الأشرار المصير الذي طلبوه له، لا انتقامًا لنفسه، بل طلبًا لعدالة الربّ (رج ١٠: ٢٥). ولهذا فإنّ النبيّ لا يسعه إلاّ أن ينذر أورشليم بعقابٍ يحلّ بها إن لم تهتدِ (١٣: ٢٠-٢٧)، ومع ذلك فإنّ نظرته إلى المستقبل لا تزال مطبوعةً على الرجاء. من خلال منطقة الكتّان (١٣: ١-١١) يقدّم الله لشعبه درسًا تمثيليًّا: لا يمكننا أن نعيش بخطيّةٍ ولا مبالاة. علينا أن نتحدّى ونواجه التحدّي.

١٢. شكوى النبيّ وتجديد دعوته (١٥: ١٠-٢١). إرميا يقود "المعركة" باسم الله. هو تعب، فهتف: "ويلٌ لي، يا أمّي، لأنّكِ ولدتِني. في خصامٍ ونزاعٍ أنا مع الأرض كلّها" (آ ١٠).

يطالِب اللهُ النبيَّ بتوبةٍ جديدة، يوافق عليها مكرِّرًا، بألفاظٍ تكاد تكون هي نفسها، أوامر الدعوة ومواعدها (آ ١٩-٢٠؛ رج ١: ٩ و١٧-١٩). "قال الربّ لإرميا: قم وانزل إلى بيت الخزّاف وهناك أُسمعكَ كلامي" (١٨: ١). هو الربّ أمر نبيّه بأن يمضي إلى الخزّاف، فأطاع النبيّ، فرأى الخزّاف سيّد طينه: إذا لم يصلح الوعاء يعيد صنعه وعاءً آخر كما يرى أن يصنعه (آ ٤)، ففهم النبيّ وحي الربّ. هكذا يفعل الله (آ ٥). هذا يعني في النهاية أنّ مواعيد الله مشروطٌ تحقيقها بالتوبة.

فالربّ وضع "حدًّا" لسموّ سلطانه على أساس جواب الانسان على ندائه: هنالك البناء، وهنالك الدمار، والإنسان يختار. يبقى على الشعب أن يختار. "أريهم ظهري لا وجهي" (آ١٧): هكذا فعل الشعب حين تطلّع إلى "الأصنام الباطلة" (آ١٥)، إلى بعل، وأدار ظهره إلى الله (٢: ٧). نشير إلى أنّ الوجه يرمز إلى البركة والرضى.

اعتقلوا إرميا. شكا أمره إلى الربّ. في اعترافه الجرأة وفيه المرارة. رجع إلى ذاته حيث ينتظره الإله الذي يفحص القلوب (رج ١٧: ١٠). في ف ١٧ أقوالٌ مأثورةٌ خلقيّةٌ عامّة: الشعب خاطئٌ وخطيئته محفورةٌ "بقلمٍ من حديد" (آ ١)، لأنّه جعل ثقته في البشر، في المالِ والقدرة والسلطان؛ فليبدأ العودة إلى الربّ: إذا سمعتم لي "تسكن هذه المدينة إلى الأبد" (آ ٢٠). الربّ وحده هو "رجاء إسرائيل ومخلّصه في وقت الضيق" (١٤: ١٨). وقد صلّى إرميا فقال:

"الربّ عزّي وحصني،
وملجأي في يوم الضيق" (١٦: ١٩).

وقال الربّ لإرميا:

"أنجّيك فلا تسقط بالسيف...
لأنّك توكّلْت عليّ" (٣٩: ١٨).

فالربّ هو الصخر الثابت والحصن الذي لا يتزعزع.

ومن ثمّ فقد يحدث للنبيّ أن يشكّ في ما إذا كانت التوبة الحقيقيّة ممكنة؛ فالقوم الذي يدعوهم إليها إنّما يفضّلون اتّباع قساوة قلوبهم الشرّيرة (١٨: ١١-١٢؛ رج ٢: ٢٣-٢٥). عرض النبيّ على الله همومه وشكواه. إشتكى إرميا إلى الربّ لسبب الشعور العاديّ الذي يشعر به الشعب تجاهه لسبب كرازته (٢٠: ٧-٩): "غالبتَني بقوّتك فغلبتَ" (٢٠: ٧)، أو قبضتَ عليّ؛ "فإليك فوّضتُ دعواي" (٢٠: ١٢): كانوا يعتبرون أنّ لكلّ شرٍّ عقابه، ويقابله الألم والعذاب (١٠: ٢٥). هكذا تسود العدالة في المجتمع، لا سيّما وإنّ الكتاب لم يكن يعرف بعد المجازاة في الآخرة. ما قام إرميا بفعل انتقامٍ من عنده، بل ترك الأمر للربّ: "الربّ معي كجبّار" (٢٠: ١١)؛ فالربّ الجبّار، القدير، هو معه. هذا ما وعد به يوم دعاه. وجدّد وعده أكثر من مرّة، فثبّته رغم ضعفه البشريّ وخوفه (١: ٧-١٩). تأكّد النبيّ من عون الربّ، لأنّ الحرب التي يقوم بها هي حرب الربّ. وقضيّته هي قضيّة إلهه (١٤: ٩). ولكنّه بعد ذلك تيقّن أنّ الربّ تخلّى عن شعبه لسبب خطاياه، فما عاد يحسب حسابًا كبيرًا لعون الله تجاهه، لأنّ حزنه ينبع من صدقه في إعلان كلمة الربّ (١٥: ١٦).

وقال الربّ لإرميا: "قل لبيت ملك يهوذا" (٢١: ١١): نبوءة خراب أورشليم. يشكّل هذا الكلام عنوانًا للمقطع ٢١: ١١-٢٣: ٨ المسمّى "كتيّب الملوك" الذي يتوجّه إلى الملك والرؤساء ليذكّرهم بالعدالة كواجبهم الأوّل. "أحكموا بالعدل كلّ صباح" (٢١: ١٢). ذاك ما يُنتظر من الملك. "كلّ صباح"، في وضح النهار، على باب المدينة.

"وقال الربّ لإرميا: إنزل إلى قصر ملك يهوذا، وقُلْ له: إسمع كلمة الربّ، يا ملك يهوذا الجالس على عرش داود: أنتَ وعبيدك وشعبك الداخلون من هذه الأبواب! أحكموا بالعدل وأنقذوا المظلوم من يد الظالم، ولا تضطهدوا الغريب واليتيم والأرملة، ولا تَجوروا عليهم" (٢٢: ١-٣). طلب إرميا من الملك أن يستسلم لأنّ حكمه أضعف من أن يقف في وجه العدوّ، كما أنّه لم يكن يحسب متطلّبات العهد؛ فلا يبقى أمامه سوى التوبة (آ ٤)، إذا أراد أن تتواصل سلالة داود (آ ١-٩). في آ ١٠-٣٠، نقرأ أقوالاً ذامّةً تُصيب ملوك يهوذا: يوآحاز (٢٢: ١٠-١٢)، يوياقيم (٢٢: ١٣-١٩)، يوياكين (٢٢: ٢٠-٣٠)، في إيجازٍ يصوّر أولئك الرعاة (الملوك) الأردياء الذين يمسكون بزمام السلطة، السياسة في الشعب، ليكرّسوا الغنى ويظلموا الشعب. وما عرفوا إقامة الحقّ والعدل (آ١٣-١٧):

"ويلٌ لمَن يبني بيته بالظلم،
ويعلّي غرفه بغير حقّ!
يستخدم الآخرين بلا أجرة،
ولا يوفي أحدًا عن عمله" (٢٢: ١٣).

هذا توبيخٌ وتنديدٌ بالملك يوياقيم (رج ١: ٣) الذي عيّنه الفرعون نخو ملكًا مكان يوآحاز، شلّوم، فملك من سنة ٦٠٩ حتّى سنة ٥٩٨:

"ويل": سخّر الملكُ العمّالَ وما دفع لهم أجرهم، وأكل حقوقهم لكي يوسّع دياره. هذا ما يخالف متطلّبات الشريعة، أي النظام المقدّس والعقائديّ. بدا ذلك الملك المستبدّ مثل ربّ عملٍ لا يعامل الناس بالعدالة. يتوجّب عليه المال الكثير دفعًا لجزيةٍ إلى مصر، فظلم الشعب:

"أما اكتفى أبوك (أي يوشيّا) بأن أكل وشرب وأجرى الحقّ والعدل،

وقضى للبائس والمسكين، فكان في خير؟
ألا يدلّ ذلك على أنّه كان يعرفني؟" (٢٢: ١٥-١٦).

"كان يعرفني" (رج ٩: ٥ و٢٣). معرفة الله الحقّة تكون في ممارسة العدالة على مثال يوشيّا.

"ستأتي أيّامٌ، يقول الربّ، أقيم من نسل داود ملكًا صالحًا (حرفيًّا: غصنًا بارًّا. ترجمةٌ بديلة: نسلاً شرعيًّا)" (٣٣: ١٤-١٦)، راعيًا صالحًا (٢٣: ١-٨)، الراعي المسيحانيّ (٢٣: ٥-٦)،

يملك (الملك الداوديّ المقبل) ويكون حكيمًا،

ويُجري الحقّ (الحكم) والعدل في الأرض" (٢٣: ٥).

١٣. فالنبوءة الحقّة هي إعلان متطلّبات الله، ونداءٌ إلى التوبة: "أجمع بقيّة غنمي من جميع الأراضي التي طردتُها إليها، وأردّها إلى حظائرها، فتُثمر وتكثُر" (٢٣: ٣). وعدٌ يتكرّر لكي يغذّي الرجاء. "أردّها": وذلك بالرغم من خطيئة الشعب وخطيئة آبائهم، "الرعاة" (٢٣: ٢). "أقيم فيها (أورشليم) رعاةً يرعونها"، "فلا تخاف من بعد" (٢٣: ٤): لن يعود هنالك الحيوان المفترس. لا يكون فيها مفقود. هي بداية الحقبة المسيحانيّة حيث الجميع يكونون هنا (٣: ١٥؛ ٢٣: ٥-٦؛ ٢٩: ١٠-١٤؛ ٣٣: ١٥-١٦).

"النار" تمتحن كلّ إنسان. والمطرقة (أو السبت) صورةٌ عن عمل الربّ الذي "لا يرتدّ حتّى يفعل فعله" (آ ٢٠). ويحكم على الأفكار والقلوب؛ فالأنبياء الكذبة "يختلقون الكلام" (آ ٣١): أعلن الأنبياء الكذبة أنّ نبوءاتهم هي كلام الربّ. "ما وحي الربّ؟ هذا وحي الربّ: إنّي أرفضكم يقول الربّ" (٢٣: ٣٣). "عكستم كلام الإله الحيّ والربّ القدير" (٢٣: ٣٦).

١٤. المنفى هو نداءٌ إلى التوبة (٢٤: ١-١٠). يرى إرميا "في رؤيا" أنّ الله يبدّل قلب شعبه، منطلقًا من جماعة المنفيّين، لكي يقيم شعبه الجديد. هي صورة "سلّتَي التين أمام الهيكل" (آ ١). بعد أن ندّد النبيّ بالملوك (٢١: ١-٢٣: ٨)، والأنبياء الكذبة (٢٣: ٩-٤٠)، ميّز الآن في شعب يهوذا بين "طيّب" و"رديء" (٢٤: ١-٣)، وأبرز استعداد الربّ لإعادة بناء الأخيار (آ ٤-٧) وتدمير الأشرار (آ ٨-١٠)؛ ففي سنة ٥٩٧ ق.م.، ظنّ الذين لبثوا في البلاد أنّهم الأبرياء، وأنّ الذاهبين إلى المنفى وحدهم خطأة، فصحّح إرميا النظرة: الربّ رضي عن المرذولين؛ فمجمل الشعب هو شعب الله، والرجاء هو للذين لبثوا في الأرض، وهو أيضًا للذين ذهبوا إلى البعيد. كما أنّ التين الجيّد يُحفظ، كذلك منفيّو سنة ٥٩٧، فهم أفضل الشعب على المستوى الاجتماعيّ.

كخلاصة كرازة إرميا (٢٥: ١-١٤)، فهو لا ينى يوجّه إلى شعبه نداءه إلى التوبة. أمّا إذا عاند في الشرّ، فالكارثة آتيةٌ عليه. "في السنة الثالثة عشرة ليوشيّا بن آمون ملك يهوذا"، "كلّمتكم بها مرارًا وتكرارًا (رج٧: ١٣؛ ١١: ٧؛ ٢٦: ٥؛ ٢٩: ١٩)، فلم تسمعوا" (٢٥: ٣): تلك هي خبرة إرميا، بعد أن قام بخدمته النبويّة سنواتٍ عدّة (١: ١٧-١٩). ما سمعوا، بل قاوموه، ولا سمعوا عبيد الربّ "الأنبياء" (آ ٤؛ رج ٧: ٢٥؛ ٣٥: ١٥)، أي القريبين منه العاملين بمشيئته.

"في أيّامه" (الملك الصالح)، يعود الكلام عن توجيه شعب يهوذا (الجنوب) وشعب إسرائيل (الشمال)،

على المستوى الروحيّ كما على المستوى الاجتماعيّ. "الربّ صادق" (تلميحٌ إلى اسم صدقيّا الذي لن يكون صادقًا، رج ٣٣: ١٦) حيث تقام العبادة في أورشليم.

و"كلامٌ على الأنبياء" (٢٣: ٩): عنوان مجموعةٍ من الأقوال (آ ٩-٤٠) سمّيت "كتيّب الأنبياء"، كما كان من قبل "كتيّب الملوك". في آ ٩-١٢. نحسّ بألم النبيّ الذي اضطرب لأنّه سمع ما سمع من أنبياءٍ وكهنة عن لاأخلاقيّة الشعب ورؤسائه الدينيّين، اضطرب للعقاب الذي ينتظرهم.

١٥. "الأرض امتلأت بالفاسقين" (٢٣: ١٠؛ رج آ ١٤؛ ٢٩: ٢٣). حتّى الأنبياء منهم (٥: ٨؛ ٩: ١). "من لعنة الربّ"، من أجل ذلك "يبسَت مراعي البرّيّة" (٢٣: ١٠). في آ ١٣-١٥، أبرز إرميا خطورة خطيئة الكهنة في أورشليم: أضافوا اللاأخلاقيّة إلى الانحرافات الوثنيّة التي عرفها كهنة "السامرة" (٣: ١١؛ رج ١٣: ٢٥)، عاصمة مملكة إسرائيل التي دُمّرَت سنة ٧٢١ ق.م. على يد الأشّوريّين، "فصاروا لي كلّهم كسدوم، وصار سكّانها كعمورة" (آ ١٤). "يتنبّأون لكم ويخدعونكم" (آ ١٦): هم أنبياء كذبة. "يستهينون بكلامي" (الربّ) (آ ١٧): في العبريّة: "يستهينون بي، يقول الربّ". "غضب الربّ" (آ ١٩): عقابه الذي يضرب المذنبين بعيدٌ عن انطلاقة غضبٍ لا شيء يوقفه، ولا نتيجة عدالةٍ تلازمه، بل تنفيذ برنامجٍ محدّدٍ لا يُفهم إلاّ في ما بعد، "في نهاية الأيّام" (آ ٢٠)، حين يبلغ مرماه: السلام الحقيقيّ. إنّ وجود آ ١٩-٢٠ (اللتين استُعيدتا في ٣٠: ٢٣-٢٤) وسط أقوالٍ ضدّ الأنبياء الكذبة، يذكّرنا أنّ أولئك الأنبياء جهلوا برنامج الله، لأنّهم أعلنوا أنّ السلام آتٍ في الحال. "تفهمون ذلك حقّ الفهم" (آ ٢٠) ما يعاكس الأنبياء الكذبة. "أيختبئ أحدٌ في الخفايا وأنا لا أراه؟"، يقول الربّ (آ ٢٤)؛ كلّ شيءٍ يقع تحت نظر الربّ (رج ١٦: ١٧). نجد رمزًا عن كلمة الربّ الحقّة في ثلاث صور (٢٣: ٢٨-٢٩): الحنطة (تُمَيَّز عن التبن)، والنار والمطرقة.

في سنة ٦٠٨، نرى إرميا يلقي عند مدخل الهيكل خطابًا جعله في موقفٍ حرجٍ جدًّا (ف ٢٦؛ رج ٧: ١-٨: ٣). يَروي الفصل ٢٦ كيف أنّ النبيّ إرميا تعرّض لتهديدات مقاوميه من جرّاء انتقاداته اللاذعة في شأن الهيكل، وذلك في أوائل عهد يوياقيم، حوالى السنة ٦٠٨ أو ٦٠٥.

١٦. أقوال الرجاء مع نداءٍ إلى التوبة (ف ٢٦): "أوتيهم قلبًا ليعرفوني أنّي أنا الربّ، فيكونون لي شعبًا وأكون لهم إلهًا، لأنّهم يرجعون إليّ بكلّ قلوبهم" (٢٤: ٧)؛ فالأقوال حول الدينونة التي تجمّعَت في ما قبل، توازنت مع علامات الرجاء الذي لبثت جذوتُه مشتعلةً في شعب الله. وإذا كانت نداءات إرميا كلّفَته، كما كلّفت غيره (آ ٢٠-٢٣)، البغض والاضطهاد، فالمؤمنون الباحثون عن طرق الله تقبّلوها وساروا فيها (آ ١٦). أمام قولٍ قيل في بداية حكم يوياقيم (٦٠٩-٦٠٨؛ ١: ٣)، بدَت السلطات المدنيّة (آ ١٦) والشيوخ (آ ١٧-١٩) أكثر واقعيّةً من الكهنة والأنبياء (آ ٨-٩). بعد أن سمع الرؤساء دفاع إرميا (آ ١٢-١٥)، وقفوا بجانبه (آ ١٦). أمّا الشعب فقاومه في البدء (آ ٨-٩)، لأنّه انجرّ انجرارًا، ثمّ ساندَه.

إصطدمَت نداءات إرميا (بما فيها من شجاعة) إلى التوبة والخضوع، بنظرةٍ شعبيّةٍ عمياء لدى أنبياء آخرين يقولون للناس ما يريد الناس أن يسمعوا، ولا يحدّثونهم عن مشروع الله من أجل شعبه (٢٨: ١٠-١٧): "فحين يتمّ كلام الربّ يُعرف أنّ ذلك النبيّ أرسله الربّ حقًّا" (آ ٩). يؤكّد إرميا أنّ النبيّ الحقيقيّ يُنذر بالمصيبة، وهو يشير ضمنًا إلى واقع الخطيئة التي هي سبب تلك المصيبة.

يكتب إرميا إلى اليهود في بابل. "قال الربّ" (٢٩: ٤؛ رج آ ٧): الربّ هو "سبب" المنفى، فليخضعوا للذين سبَوهم، ولا يتمرّدوا. "إبنوا بيوتًا" (٢٩: ٥؛ رج ١: ١٠): ذاك ما يقومون به عمليًّا، بحيث لا يَعتبرون أنّ إقامتهم موقّتة. مع البناء، غرسُ البساتين، والزواج وإيلاد "البنين

والبنات" (٢٩: ٦؛ رج ٣٠: ١٩). "إعملوا لخير المدينة، وصلّوا من أجلها" (٢٩: ٧). "لا تسمعوا للأحلام" (٢٩: ٨)، "فيكون لكم الغد الذي ترجون" (٢٩: ١١). و"تجيئون وتصلّون إليّ فأسمع لكم" (٢٩: ١٢). و"تطلبونني فتجدونني" (٢٩: ١٣): هذا يعني أنّهم، أي اليهود المجلوّين إلى بابل، يطلبون الربّ في التوبة. "أعيد لكم أمجادكم" (٢٩: ١٤) أو أردّ سبيكم، أو أبدّل مصيركم. ويمكن أن يقول الربّ: أعود معكم من عودتكم من السبي. "أعيد أمجاد قبائل يعقوب" (٣٠: ١٨)؛: حرفيًا: أعيد سبي خيام يعقوب (آ ٢٣-٢٤)؛ فحبُّ الله يتجلّى في العقاب كما في إعادة البناء (٣١: ٨)، حيث يُدعى كلّ واحدٍ إلى الربّ في توبةٍ شخصيّة (آ ٢٩-٣٠). وهذا ما يؤسّس العلاقة الصحيحة بين الإخوة في قلب الجماعة.

١٧. كلامٌ على المدينتين، مدينة الله حيث يقيم السلام والعدل، ومدينة الكبرياء والشهوات (٢٦: ١-٢١). الأولى قويّة، يستند إليها البشر، والثانية نهايتها إلى الدمار. المدينة القويّة (آ ١-٦) هي جبل صهيون وأرض يهوذا، مع شعبٍ قويّ (٢٥: ٣). والمدينة الذاهبة إلى الخراب هي موآب (٢٥: ٢ و١٠-١٢)، وربّما بابل. تنحطّ المدينة الشامخة، وإلى أيّ دَرْك (آ ١٦)!

"في ذلك اليوم، يكون روح عدلٍ للجالس في كرسيّ القضاء" (٢٨: ٥-٦): الحكم يحتاج إلى "روح العدل"، وهو صفةُ الأزمنة المسيحانيّة يمنحه الربّ للناجين من الموت. الكهنة والأنبياء الكذّابون، مثل حننيا (٢٨: ١٥)، "تاهوا" (٢٨: ٧) لسبب "الخمر"، وما عادوا ينتبهون إلى ما يطلبه الله (٥: ١١). خصوم النبيّ يرفضون تنبيهاته وطلباته (٥٣: ١). يهزأون من تدخّلاته المتواصلة. ما تركوا الشعب يرتاح (٢٨: ١٢)، بل أتعبوه بمشاريعهم (رج ٧: ٤؛ ٨: ٦؛ ٣٠: ١٥).

"هكذا قال الربّ"، بـ"رجل الله"، و"فم الله" (١٥: ١٩)، رسول الربّ، وسط الكارثة والمضايق، كلمةَ التشجيع، ودعوةً إلى المناداة بالخلاص (٣١: ٧):

"إنّ شعب الناجين من السيف"، الذي أحبّه الربّ "حبًّا أبديًّا" (آ ٣)، ووعده بالعودة (آ ٨-٩)،

"قد نال حظوةً في البرّيّة":
إنّها التوبة في البرّيّة.

"يأتون باكين، وأهديهم متضرّعين" (٣١: ٩).

لعلّ البكاء والتضرّع من علامات الندامة؛ فالربّ ذو حُبٍّ أبويٍّ لشعبه الذي هو "بكره"، يعزّيهم ويعيدهم إلى أرض الوطن، برفقٍ وحنان. الربّ يشبه الراعي الذي يجمع قطيعه (آ ١٠)؛ فهو يعيد جميع المنفيّين من بابلونية. والربّ بنفسه يقود المنفيّين، يسير في المقدّمة: يأتي بهم من "أرض الشمال" (٦: ٢٢)، من منطقة الشقاء التي ذكرها إرميا مرارًا (١: ١٣؛ ٣: ١٢ و١٨)، فيعودون إلى الجنوب، إلى أرضهم القديمة التي ما نسوها أبدًا، التي صارت موضوع أحلامهم وحنينهم؛ فعمل الخلاص يصل إليهم جميعًا بدون استثناء. لسنا هنا أمام "عودةٍ إلى فلسطين" فحسب، فإرميا ينظر إلى أبعد من عودةٍ ماديّةٍ وجغرافيّة. إنّه ينظر إلى عودةٍ إلى الله، إلى توبة القلب.

وسيأتي اليوم الذي فيه سيَقبل الشعب المنكسرُ العقاب، ويلتمس هِداية القلب نعمةً: "أعِدني، فأعود" (٣١: ١٨-١٩).

يقول الربّ: "سمعتُ إفرائيم ينتحب قائلاً:
بعد ارتدادي ندمتُ،
وبعد تعلّمي صفَّقتُ على فخذي" (آ ١٨-١٩):
عن غضبٍ أو حزنٍ أو ألمٍ أو ندامة، و"رحمةٍ واسعة" (آ ٢٠).

ويقول الربّ: "إلى متى أنتِ (يا عذراء إسرائيل، آ ٤) زائفة، أيّتها المرتدّة" (آ ٢٢).

يعلن النبيّ عودة الأسرى من السبي، وهذه العودة أساسُها كلمة الربّ ورضاه. ستعود القداسة والعدالة إلى أورشليم، فتكون النتيجة أنّها تصبح أرض عدالة، شعب العهد بكلّ معنى الكلمة؛ فإعلان المصائب والويلات

هدفه حثُّ الناس على العودة إلى الله لتجنّبها وللحصول على الخيرات. وإذا الناس لم يسمعوا، فإنّهم يذوقون المصائب، وهذه تُقدّسهم فيعودون إلى الربّ. لن يعاقب الربّ خطايا الآباء بالأبناء (آ ٢٩-٣٠). وسوف يستجيب الربُّ للقلب المتواضع لأنّه، حين يُبرم العهد الجديد، "سيكتب شريعته في القلوب" (آ ٣١-٣٣).

"ها إنّها تأتي أيّام، يقول الربّ، أقطع فيها مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا، عهدًا جديدًا... سأجعلُ شريعتي في ضمائرهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا... لأنّهم جميعَهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الربّ" (٣١: ٣١-٣٤؛ رج ٣٠: ٢٢): إنّها "معرفة الربّ"؛ فالمؤمن يفتخر قبل كلّ شيءٍ بأنّه يعرف الربّ (٩: ٢٢؛ ٢٤: ٧)، أي يشترك في حياته وحبّه.

١٨. إختبار المغفرة كعطيّةٍ إلهيّةٍ مجّانيّة

بدأ ف ٣١ بكلامٍ عن عودة المنفيّين والمرور في البرّيّة التي تفصل بابل عن فلسطين:

مع أنّهم نقضوا العهد (٢: ٢٠)، "إنّي سأغفر ذنوبهم، ولن أذكر خطاياهم من بعد" (٣١: ٣٤):

كتب إرميا (أو قال) هذه العبارة حوالى سنة ٦٠٠، التي لا توجد إلاّ هنا في كلّ العهد القديم.

المبادرة الإلهيّة في غفران الخطايا أمرٌ من جدّة العهد الجديد (آ ٣١). إنّ الله يعلن قدرته على الغفران. إنّه إله الحنان (آ ٢٠). إنّه قادرٌ على كلّ شيء. إذًا، لا يكفي تجديد العهد، بل ينبغي تجديد الإنسان الذي بدونه يفشل كلّ إصلاحٍ أيًّا تكن النوايا. ولكن هل يستطيع إسرائيل أن يبدّل قلبه "المتمرّد" (٥: ٣٧)؟

يقول الشعب للربّ: "أعِدني إليك فأعود" (٣١: ١٨؛ رج ٨: ٤-٥). سيرِد الفعل عينُه (في العبريّة "ش و ب"، في العربيّة "ثاب"، "تاب"، الذي يعني "رجع"، "عاد") ثلاث مرّاتٍ لكلامٍ عن عودةٍ إلى الأرض ورجوعٍ إلى الله. يلعب دورًا رئيسيًّا في كرازة الأنبياء. وتفوّق إرميا على سائر الأنبياء، فتوسّع في هذا الموضوع. "إرجعوا، أيّها البنون العصاة". إرجعوا، أيّها البنون المرتدّون (٣: ١٤ و٢٢؛ رج ٢٥: ٥؛ ٣٥: ١٥). والإعلان يتضمّن توجيه حياة الإنسان نحو الله: الطاعة لمشيئته، الثقة البنويّة تجاهه، التنكّر للخطيئة، التخلّي عن كلّ سندٍ بشريّ، لا سيّما الأحلاف السياسيّة، ونبذ الأصنام. والمبادرة تبقى لله: "سأغفر" (آ ٣١-٣٤). ذاك هو الأساس للدخول في عهدٍ جديد. إنّها عمليّة خلقٍ جديد (٣١: ٣٥-٤٠) تكون سمته الأمانة، مقابل مغفرة الخطايا (آ ٣٤)؛ فالتحرّر من العبوديّة، من مصر، صار تحرّرًا من الخطيئة: "فالربّ هو الذي يفتدي إسرائيل من جميع آثامه".

ففي حوارٍ طويلٍ مع النبيّ، أعلن الله أيضًا عزمه على قطع عهدٍ جديدٍ مع شعبٍ شُفي من ضلالاته عبر الألم (٣٢: ١-٤٤؛ رج ٢٤: ٧).

١٩. مواعيدُ أخرى يرسلها الربّ (٣٣: ١-٢٦).

هو وحده "برّنا"، "صدقنا" (آ ١٤ و١٨). ثمّ وعد الربّ (آ ١٤): إعادة بناء الشعب في أرضه، وخلاصٌ موعودٌ لأورشليم (آ ١٥-١٦)، لتكوين مملكةٍ مسيحانيّةٍ يحلّ فيها الحقّ والعدل (آ ١٥): يقرّ النبيّ بأنّه لم يعد من وجودٍ لملكٍ داوديٍّ على العرش. ولكن تبقى مدينة أورشليم، ثمّ السلالة الكهنوتيّة: صارت استمراريّة الخدمة الكهنوتيّة في قلب المدينة المقدّسة، علامةً تدلّ على أنّ مخطّط الله الخلاصيّ يواصل مسيرته، وعلى أنّه سيتمّ بشكلٍ أكيد، في اليوم العظيم؛ فالله أمينٌ لخلاصه.

نقرأ في ٣٤: ٢-٣: "إذهب وقل لصدقيّا، ملك يهوذا، سأسلّم هذه المدينة إلى يد ملك بابل، فيحرقها بالنار، وأنتَ لا تُفلتُ من يده، بل تقع في قبضته". نحن نفهم أنّ مثل هذه الأقوال جعلَت الناس يعتبرون إرميا خائنًا لوطنه، فجرّ عليه بغضَ الوطنيّين المتعصّبين. أمّا هو فلبث واعيًا لخطايا بابل، ساعة جعل الحقَّ في يدها.

"هل بيت يهوذا يسمعون، فيرجعوا عن طريق

السوء؟" (٣٦: ٣): إن تاب الشعب غفر الربّ (١٨: ٧-١٠؛ ٢٦: ٣)، ولكن "لا أحدَ فزع" (٣٦: ٢٤): حين سمعوا كلام الربّ لم يفزعوا، ولم يمزّقوا ثيابهم: علامة الحزن والتوبة.

أقدم يوياقيم ملك يهوذا على إحراق الدَّرْج الذي يحوي نبوّات إرميا المختصّة بالخراب، ودعا إلى إلقاء القبض على كلٍّ من إرميا وكاتبه باروخ. كانت النتيجة أنّ الدينونة الالهيّة انسكبَت عليه وعلى أفراد عائلته (٣٦: ١-٢٤).

٢٠. النبيّ شاهدٌ لله وشهيد (٣٨: ٤-١٠): حربٌ على وطنيّةٍ دينيّةٍ متطرّفة. تحسب الأمّة أنّ الله هو لها. يخصّها، وفي النهاية تحتكره. هو ليس إله الآخرين، بل إله يهوذا وحدها! ما جعل الأنبياءَ يومًا يقوّلون الربّ: "أنا إلهٌ لكم وحدكم"، بحيث يستبعد الاخرين.

وآثر القوم أن يستهدوا بغرائزهم، فاضطُرّ إرميا إلى تذكيرهم بعصيانهم وتبليغهم بعواقب خيارهم (٤٢: ١٩-٢٢). تضمّن الفصل ٤٨ دينونةً على موآب؛ فذاك البلد ساد على بضعة بلدانٍ أخرى في أيّام عزّه. إلاّ أنّ إرميا تنبّأ بسقوط موآب؛ فإنّ قادة موآب؛ وقد أخذت فيهم كبرياؤهم، تحدّوا الربّ. وكانت الكبرياء والغرور والصَّلف قد بدأت تحرّك القيادة.

نقرأ في ف ٥١:

٥٤ "صوتُ صراخٍ في بابل،
صوت دمارٍ عظيمٍ في أرض البابليّين،
٥٥ هو الربّ يدمّر بابل ويسكت فيها الضجيج.
٥٦ المدمّر يزحف على بابل،
فجبابرتها أسروا وقسيّهم كُسرت،
لأنّ الربّ يجازيها بما تستحقّ.
٥٧ سأسكر رؤساءها وحكماءها،
وحكّامها وولاتها وجبابرتها،
فينامون نومًا أبديًّا ولا يفيقون".

حين يرى النبيّ أمّته على خطأ، يدعوها للعودة إلى الغنى الروحيّ الذي فيها. نظر إليها نظرة الله، فرأى فيها الخير بجانب الشرّ، وعند الغرباء أيضًا رأى الخير ورأى الشرّ أيضًا.

هذا، وإنّ تعليم إرميا يمثّل الفرصة الأخيرة المعطاة لإسرائيل ولجميع الأمم لكي تُفلت من الدينونة بتوبةٍ حقيقيّةٍ تنسجم مع العدالة الإلهيّة التي لا تهوى إلاّ الغرس والبناء.

ثانيًا: تأوين العدالة والتوبة عند إرميا

لم يكن باستطاعة إرميا ولا نبيٍّ من الأنبياء أن يفكّروا بأنّ الله هو أبٌ منذ الأزل، و"أنّ رحمته من الأزل إلى الأبد"، ولكنّ جميعهم رأوا في الله مخلّصًا شاملاً، وعدالته في تحقيق الخلاص.

إنّ الإنسان بحياته الداخليّة يفوق عالم الأشياء: وإنّه إلى هذه الأعماق الداخليّة يعود حين يرجع إلى ذاته حيث ينتظره هذا الإله الذي يفحص القلوب (١٧: ١٠).

العهد الجديد (٣١: ٣١-٣٤) الأبديّ حقّقه المسيح بدمه الذي به يدعو الشعب من اليهود ومن الأمم، الشعب الذي يتوحّد بالروح.

"يستمدّ الأنبياءُ النورَ والقوّة في رسالتهم في وجودهم "وحدهم مع الله وحده". وليست صلاتهم هروبًا من العالم الذي لا يرعى عهدًا، وإنّما هي إصغاءٌ إلى كلمة الله، وأحيانًا جدالٌ وشكوى، ودائمًا شفاعةٌ تترقّب وتهيّئُ تدخّلَ الله المخلّص ربّ التاريخ (رج ١: ٦؛ ١٥: ١٥-١٨؛ ٢٠: ٧-١٨)"[٢]. "توبة القلب تعيدنا (٣: ١٩-٤: ١) إلى الآب، إلى السماء"[٣].

(٢) **التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة**، ٢٥٨٤.

(٣) **المرجع نفسه**، ٢٧٩٥.

وكما أنّ الله هو الذي بادر في القديم، وقطع عهد حبٍّ وأمانةٍ مع شعبه إسرائيل (رج ٣: ٦-١٣)، صورةً للحبّ الزوجيّ القائم على الأمانة (٢: ٣٠-٣٢)، "هكذا يتقدّم اليوم مخلّص البشر وعروس الكنيسة لملاقاة الأزواج المسيحيّين في سرّ الزواج"[٤]. كمالات الرجل والمرأة تعكس شيئًا من كمالات الله الأب والزوج (٣: ٤-١٩). الأنبياء يندّدون بجسامة الزنى المسيء إلى كرامة الزواج، ويرون فيه صورة الخطيئة، عبادةِ الأصنام (٥: ٧؛ ١٣: ٢٧)، الأوثان الباطلة (١٠: ١-١٦).

أظهر الله نفسه للشعب، بالأقوال والأعمال، ليختبر إسرائيلُ طرقَ الله مع البشر، ليعلنها "على الأمم" إطلاقًا، مستندًا في ذلك على الكلام الذي فاه به الله على الأنبياء (٣: ١٧).

إنّ عالمنا اليوم وكلّ يوم، بحاجةٍ إلى إعادة قراءة الأنبياء ومنهم إرميا؛ فالعدالة من المبادئ الأساسيّة في تعليم الربّ والمعلّم وفي تعليم الكنيسة "الأمّ والمعلّمة". العدالة لا تعني أنّ جميع البشر متساوون في كلّ شيءٍ مادّيًا، أو يجب أن يكونوا على هذا النحو؛ فعدالة الله تقضي بالمساواة الجوهريّة بين البشر على مستوى الكرامة الشخصيّة لكلّ إنسانٍ ولكلّ الإنسان، ولكلّ شعبٍ بدون أيّ تمييزٍ من أيّ نوع، لأنّ الله أبو الجميع ويسوع "فادي الإنسان"، و"الروح واحد" (أف ٤: ٤): الروح هو الذي يوحّدنا، ونحن نتجاوب معه حين نعيش بسلام.

إنّ الكنيسة الكاثوليكيّة مقتنعة، مع الكنائس الأخرى والجماعات الكنسيّة، بواجب إحقاق العدالة الاجتماعيّة في العالم، بإجراء مسحٍ شاملٍ للمناطق، والحاجات الفقيرة منها، والفئات المهمّشة، من أجل وضع الخطط الاقتصاديّة والاجتماعيّة الكفيلة بتأمين نموٍّ متوازنٍ وعادلٍ في توزيع ثماره على جميع المناطق والقطاعات الاقتصاديّة والشرائح الاجتماعيّة. إنّ دوافع الكنيسة وتوجيهاتها تنبثق من الإرث المشترك للتعاليم الاجتماعيّة من تعاليم الأنبياء وتعاليم الربّ والمعلّم التي يحفظها التقليد الحيّ لشعب الله، وذلك في سبيل تعاونٍ يتوثّق أكثر فأكثر لتنشيط العدالة والسلام، والتضامن، "بمعونة النعمة الإلهيّة الضروريّة"[٥].

إنّ البيان الصادر عن مؤتمر الشبيبة الطالبة المسيحيّة الذي عُقد في دير يسوع الملك، ذوق مصبح، لبنان، في ك١ ١٩٦٨، تبنّى بعض المواقف الجذريّة، في قضايا التحرّر والتنمية والعدالة الاجتماعيّة.

في العام ١٩٧٥، أتت أحداثٌ خارجيّةٌ ضخمة، لتحوّل مسار النضال الاجتماعيّ الطبيعيّ من أجل تحقيق العدالة إلى فتنةٍ داخليّةٍ معقّدة.

منذ العام ١٩٩٢، لم تستلهم السياسات الإعماريّة، في خططها، مبادئ العدالة، والتعويض العادل عن الخسائر التي تحمّلها اللبنانيّون، إبّان سنوات الفتنة. وقد تمّ توزيع التعويضات على المهجّرين عبر ضغوطات الميليشيات التي اعتبرَت نفسها منتصرةً بعد الحرب، ممّا أدّى إلى انعدام العدالة في التوزيع.

يشدّد النصّ الثامن عشر من **المجمع البطريركيّ الماروني**، (٢٠٠٦) "الكنيسة المارونيّة والثقافة"، على أنّ الكنيسة مدعوّةٌ باستمرارٍ "إلى موقفٍ نبويٍّ" يدافع عن كلّ مظلومٍ ويواجه جميع أدوات الظلم، وذلك بتبنّي مبادراتٍ عمليّةٍ تُسهم في إبراز ثقافة حقوق الانسان.

"العدالة تعني، بالحريّ، أنّ جميع البشر، بالرغم من كلّ تمايزاتهم، هم متساوون في بنوّتهم لله وفي كرامتهم الإنسانيّة، وفي تمتّعهم بالحقوق البشريّة الأساسيّة. وهذه

(٤) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **دستورٌ رعويٌّ، الكنيسة في عالم اليوم، "فرح ورجاء"**، ٢/٤٨.

(٥) راجع المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **دستورٌ رعويٌّ، الكنيسة في عالم اليوم، "فرح ورجاء"**، ٩٢.

العدالة الطبيعيّة هي من صنع الله، ولا يحقّ لأيٍّ كان، فردًا أو جماعةً أو دولة، أن يتخطّاها أو يعمل بنقيضها. على العكس، واجب الفرد والدولة ووظيفتهما أن يعملا على احترام هذه العدالة وتحقيقها، فتصبح عدالةً اجتماعيّةً لجميع الناس، هدفها تخفيف الفوارق بين الأفراد والقطاعات والمجتمعات والشعوب، وتوفير تكافؤ الفرص للجميع على جميع المستويات.

"والكنيسة تتبنّى هذين المفهومين للعدالة الطبيعيّة والعدالة الاجتماعيّة؛ ولا تنفكّ تدعو الأفراد والمؤسّسات، الكنسيّة منها والمدنيّة، والدولة، للعمل على تحقيق هذه العدالة للجميع، خاصّةً الفقراء والمحتاجين والمعوزين الذين لهم الأفضليّة في رسالة الكنيسة" [٦].

"إنّ تحرّر الإنسان، يقول بطاركة الشرق الكاثوليك، وتطويره بشكل يتجاوب مع الكرامة التي أولاه الله إيّاها، ومقاومةَ الظّلم أيًّا كان مصدره وأيًّا كان فاعله، لهي جانبٌ من سرّ المسيح والكنيسة" [٧].

والجدير بالملاحظة أنّ الرسالة التي وجّهها البابا يوحنّا بولس الثاني لمناسبة انعقاد السينودس من أجل لبنان، ركّزت على ضرورة العمل من أجل العدالة الاجتماعيّة في لبنان. يقول الحبر الأعظم في إرشاده الرسوليّ، **رجاءٌ جديدٌ للبنان**، مخاطبًا اللبنانيّين، داعيًا إيّاهم إلى "بناءِ نظامٍ سياسيٍّ واجتماعيٍّ عادل" [٨].

ويضيف البابا: "يجب على السلطات الشرعيّة داخل الأمّة أن تسهر على تمكين كلّ الجماعات والأفراد من التمتّع بالحقوق نفسها، والخضوع للواجبات نفسها، وفقًا لمبادئ الإنصاف والمساواة والعدالة؛ ليحرص الجميع على المشاركة في الحياة العامّة باحترام العدالة الاجتماعيّة". ويضيف الحبر الأعظم: "على الجميع، بهذه الروح، أن ينشروا فضيلة العدل بين الأشخاص والأجيال" [٩].

تكتشف الكنيسة، مجدّدًا، ضرورة أن يكون توزيعٌ عادلٌ لثمار العمل المشترك. وتشدّد، في الوقت عينه، على أهمّيّة التضامن والحرّيّة في احترام العدالة.

إنّ الكنيسة هي المؤسّسة الوحيدة التي عملَت جاهدةً على العدالة بين جميع الناس وحقوق المستضعَف والفقير والمحروم، بقطع النظر عن جنسه وطائفته.

إنّ تعليم الكنيسة الاجتماعيّ هدفه العدالة؛ فالكنيسة تهتمّ لتحقيق العدالة بشكلٍ كامل. ولكي يتحقّق هذا الهدف، يجب أن يتنامى روح التعاضد بين الدول الكبرى لتحلّ العدالةُ في الاقتصاد العالميّ [١٠]. ولكي تكون العدالة حقيقيّةً يجب أن تحلّ نعمة الله مع تعاون الحرّيّة البشريّة. "من الأكيد أنّ نظام الدولة الأساسيّ يجب أن يقوم على نشدان العدالة" [١١].

فعلى النبيّ أن يعلن العدل والتوبة، وعلى الملك والشعب أن يحقّقاهما. إنّ العدالة الإلهيّة تتزامن وتتوحّد مع الرحمة والمحبّة والخلاص، فيبقى على الأشخاص والشعوب أن يتوبوا إلى القدرة الإلهيّة المخلِّصة، وأن تتوافق سلوكيّاتهم مع الإرادة الإلهيّة الغافرة والمحيية والجامعة والموحّدة. وهكذا تعانق قوّةُ التوبةِ الصادقةِ عدالة الربّ ورحمته الفادية.

(٦) المجمع البطريركيّ الماروني، النصّ العشرون: "**الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**"، ٢٣.
(٧) مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، **الحضور المسيحيّ في الشرق شهادة ورسالة**، ١٩٩٢، ٥٥.
(٨) يوحنّا بولس الثاني، **رجاءٌ جديدٌ للبنان**، ١٩٩٧/٥/١٠، ٩٤.
(٩) **المرجع نفسه**، ٩٦.
(١٠) يوحنّا بولس الثاني، **السنة المئة**، ١٩٨١/٥/١٥، ٥٨.
(١١) بندكتوس السادس عشر، **ألله محبّة**، ٢٠٠٥/١٢/٢٥، ٢٦.

المراجع

بولس الفغالي، **وكانت إليّ كلمة الربّ. إرميا، حزقيّال، دانيال، باروك**، القراءة الربّيّة، ٢٣، الرابطة الكتابيّة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٩–٨٦.

بولس الفغالي، **بُشرى البشارات**، القراءة الربّيّة، ٢٩، الرابطة الكتابيّة، بيروت، ٢٠٠٧، القسم الثالث، ٢١: "إرميا النبيّ، حامل الكلمة"، ص ١٦٣–١٧٢.

جان عزّام، **الأنبياء**، دراسة أكاديميّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ٢٠٠٢–٢٠١٣.

جورج بو جوده، **الفقراء هم أسيادنا ومعلّمونا**، الرسالة السابعة لمناسبة عيد الفصح المجيد، ٢٠١٢/٤/٨.

جون ماكسويل، **الكتاب المقدّس. دراساتٌ في القيادة**، جمعيّة الكتاب المقدّس، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٨٩٣–٩٦٢.

الكتاب المقدّس، قراءة بيبليّة، جمعيّة الكتاب المقدّس، بيروت، ٢٠١١، ص ٩١٤–١٠١٣.

الكتاب المقدّس، أنا الألف والياء، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٦٣٥–١٧٣٩.

معجم اللاهوت الكتابيّ، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.

CHAINE J., *Introduction à la lecture des prophètes*, Études Bibliques, Paris, 1932, p. 107-119.

De BEAUMONT P., *L'Ancien Testament aux hommes d'aujourd'hui*, Fayard-Mame, 1967, p. 103-116.

DENNEFELD L., *Introduction à l'Ancien Testament*, Bloud & Gay, Paris, p. 162-165.

GELIN A., *Jérémie. Les Lamentations. Le Livre de Baruch*, Cerf, Paris, 1951, p. 9-241.

Groupe de rédacteurs, « Le prophète Jérémie », *La Bible et son message*, *Fêtes et Saisons*, Paris, n. 46, oct. 1970 ; « Jérémie : Tu seras détruite, Jérusalem », *Ibid.*, n. 47, nov. 1970.

KRINETZKI L., *L'alliance de Dieu avec les hommes*, Coll. Lire la Bible, 23, Cerf, Paris, 1970, p. 68-73 : « La nouvelle alliance selon Jérémie ».

MARGUERAT D. et autres, *Un prophète en temps de crise, Jérémie. Dossier pour l'animation biblique*, Coll. Essais Bibliques, n. 10, Labor et Fides, Genève, 1985.

PIROT L., *La Sainte Bible*, t. VII, Letouzey et Ané, Paris, 1946, p. 235-406.

Prophètes (*Les*)*: Jérémie, Sophonie, Nahum, Habacuc*, Coll. Écouter la Bible, n. 8, DDB/ Droguet-Ardant, 1978, p. 22-105 : « Jérémie ».

WISSER L., *Jérémie, critique de la vie sociale : Justice sociale et connaissance de Dieu dans le livre de Jérémie*, Genève, Labor et Fides, 1982.

إرميا ٢٣: ١-٤٠
الملوك الفاسدون شَتّتُوا، وأنبياء الكذب أضلّوا

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

كان أنبياءُ الكذب بالتأكيد كابوسَ النبيِّ إرميا؛ فلقد سَبَقَ وسلّط الأضواء عليهم مرّات عدّة، على الأخصّ في الفصل ١٤ حيث يجري الكلام على الشفاعة والأنبياء الكَذَبَة (رج ١٤: ١١-٢٢[١]؛ ١٥: ١-٤[٢]). لدينا هنا ذَمٌّ قويٌّ يقوم به النبيّ، مستخدمًا مرّاتٍ عدّة أسلوب السخرية والطرفة، وصولاً إلى ذروتها في التحدّي غير المتكافئ للربّ: "هاءَنَذا ضدّ..." (הִנְנִי עַל-). إنّ مجمل الموضوع هو أحاديّ، ويمكن تلخيصه بما يلي: إنّ الأنبياء الكَذَبَة هم، بكذبهم، متواطئون مع الأشرار، خاصّة مع الرعاة الفاسدين، ويَحُولُون دون توبة هؤلاء، لا بل هم يُضلّون الناس، ويجعلونهم يَنسون الربّ[٣].

١ – موقع النصّ

في الفصل السابق (إر ٢٢)، تنبّأ إرميا النبيّ على أبناء الملك يوشيّا الأشرار، يهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين، معلنًا أنّ تأديب الله سينال من ثالث هؤلاء، فلا يكون له من نسله مَن يجلس على كرسيّ داود ملكًا، وتفقد مملكة

(١) إر ١٤: ١٣-١٦:

١٣ فقُلت: آه أيّها السيِّدُ الربّ! ها إنّ الأنبياءَ يَقولونَ لهم: إنّكم لا تَرَونَ سَيفًا، ولا يَحِلُّ بِكم جوع، بل أجعَل لكم سَلامَ حَقٍّ في هذا المَكان.

١٤ فقالَ لي الربّ: إنّ الأنبياءَ يَتَنَبَّأونَ باسْمي كَذِبًا، وأنا لم أُرسِلْهم ولم آمُرْهم ولم أُكَلِّمْهم، إنّما يَتَنَبَّأُونَ لكم بِرُؤيا كاذِبَة وبالعِرافَةِ والباطِلِ ومَكرِ قُلوبِهم.

١٥ لذلك هكذا قالَ الربّ: إنّ الأنبياءَ المُتَنَبِّئينَ باسْمي وأنا لم أُرسِلْهم، وهم يَقولونَ: لا يَكونُ في هذه الأرضِ سَيفٌ ولا جوع، إنّ هؤُلاءِ الأنبياءَ بالسّيفِ والجَوعِ يُفنون،

١٦ ويَكونُ الشّعبُ الذي هم متنبّئون لَه مَطْروحًا في شَوارِعِ أُورَشَليمَ مِنَ الجوعِ والسّيف، ولا يَكونُ لَه دافِن، هو ونِساؤُه وبَنوه وبَناتُه، وأصُبُّ علَيه شَرّه.

(٢) إر ١٥: ١-٤:

١ وقالَ ليَ الربّ: لو أنّ **موسى وصَموئيلَ** وَقَفا أمامي، لَما رَجَعَت نَفْسي إلى هذا الشّعْب؛ فاطرَحْهم عن وَجْهي ولْيَخرُجوا؛

٢ وإذا قالوا لَكَ: إلى أينَ نَخرُج؟ فقُلْ لَهم: هكذا قالَ الربّ: الّذينَ لِلمَوتِ فإلى الموت، والّذينَ لِلسّيفِ فإلى السّيف، والّذينَ لِلْجوعِ فإلى الجوع، والّذين لِلجَلاءِ فإلى الجَلاء.

٣ وأُوكِّلُ بِهم أربَعَةَ أصْناف، يَقولُ الربّ: السّيفَ لِلقَتْلِ، والكِلابَ لِلجَرّ، وطُيورَ السّماءِ وبَهائِمَ الأرضِ لِلالتِهام ولِلائتِلاف،

٤ وأجعَلُ منهم موضوعَ ذُعرٍ في جميعِ ممالِكِ الأرض، بسببِ منَسّى بنِ حزقِيّا، مَلِكِ يهوذا، وما صَنَعَ في أُورَشَليم.

(3) Cf. T.W. OVERHOLT, *The Threat of Falsehood. A Study in the Theology of the Book of Jeremiah*, SCM, London, 1970.

يهوذا بالتالي رعاية الملوك: "هكذا قالَ الربّ: سَجِّلوا هذا الإنسان: "عقيمًا، رَجُلاً، لم يَنجَحْ في أيّامِه"، فلَن يَنجَحَ مِن ذُرِّيّته أَحدٌ في الجلوسِ على عرشِ داود، والتّسَلُّطِ في يهوذا مِن بَعْدُ" (٢٢: ٣٠). أمّا في هذا الفصل ٢٣ فإنّ النبيّ يوبّخ الرعاةَ الفاسدين، ويهاجم الأنبياءَ الكذبة، معلنًا أنّ الله سيتولّى رعاية شعبه بنفسه، مقدِّمًا لهم برَّه الإلهيّ، ومنطلقًا بهم في خروجٍ روحيٍّ جديدٍ.

٢ – بنية إر ٢٣

يتدرّج إرميا في هذا الفصل من إطلاقِ الربِّ الويل ضدّ الرعاة غير الأمناء (آ ١–٢)، إلى إعلانه أنّه هو مَن سيرعى غنمه (آ ٣–٤)، فإلى اعتراف إيمانيّ صِيغَ باقتضاب لافت، "الربّ برُّنا" (آ ٥–٦)، ليتكلّم من ثَمَّ على خروج جديد (آ ٧–٨) صار لا بدّ منه، لينتقل بعدها إلى نبوءات صارخةٍ ضدّ أنبياء الكذب (آ ٩–٣٢). في هذه المسيرة يقود النبيُّ سامعيه وقارئيه إلى الخروج من كذبٍ قاتل إلى حقيقة تُعيد إلى العلاقة بالله رونقَها وبهاءَها.

لدينا في آ ٩–٤٠ خمس نبوءات تدين الأنبياء الكَذَبَة، وتشجب سلوكهم الذي يتنافى وإرادة الله، وهي مرتّبة على الوجه التالي:

– الأولى (آ ٩–١٢): بسبب فسقهم.

– الثانية (آ ١٣–١٥): لأنّهم كَذَبَة.

– الثالثة (آ ١٦–٢٢): لأنّهم ينسبون أقوالهم إلى الله.

– الرابعة (آ ٢٣–٣٢): لأنّهم يتّكلون على أحلامهم.

– الخامسة (آ ٣٣–٤٠): لأنّهم يطلبون وحي الربّ بأفواههم، لا بقلوبهم.

٣ – نبوءات حازمة لكنّها تضجّ بالرجاء

بالرغم من التوبيخ والتهديد والإنذارات التي يطلقها النبيّ في هذا الفصل، فإنّ الله يُبقي بابَ الرجاء مفتوحًا، الأمر الذي نتبيّنه من خلال نبوءات ثلاث تحقّقت بتحرير الشعب وإعتاقه، وهي التالية:

أوّلاً: لا يتردّد الله في معاقبة الرعاة الأشرار، كما أنّه لا يترك شعبه بلا راعٍ يُقيله في مراعٍ خصيبةٍ، ويوردُه مياهَ الراحة، ويملك بنفسه عليه، ويتولّى شؤونه، فيقيم رعاةً حسب قلبه، يعمل بهم وفيهم بروحه القدّوس.

ثانيًا: يدين الله الشعب وقادته على معاصيهم، لكنّه بالمقابل يقدّم لهم برَّه، أي أنّه يصير هو نفسه برَّ شعبه، فيغفر خطاياهم، ويبرّرهم، مقدِّسًا إيّاهم وجاعلاً منهم أبناء جددًا له.

ثالثًا: إذا كان الله قد سمح بتأديبهم، تاركًا إيّاهم سنوات عدّةً في ألمهم، فذلك بهدف أن يدركوا فشلهم في الاتّكال على البشر، ليقوم هو بنفسه بقيادتهم في خروجٍ جديدٍ يفوق خروجهم من عبوديّة مصر عظمةً.

في الفصل السابق (إر ٢٢)، سلّط إرميا الضوء على **معاصي ملوك يهوذا وأخطائهم** التي يمكن أن نوجزها بما يلي:

– لا يولون علاقتهم بالله العناية المتوجّبة، ولا يهتمّون بالشعب الذي وَكَلَهُ إليهم.

– ينصرفون إلى تحقيق رغباتهم، وإشباع ملذّاتهم، واستخدام مختلف الوسائل للعيش في الترف والبذخ، في الوقت الذي فيه يعاني الشعب معاناةً شديدةً بسبب الظروف القاسية.

– يتعالَون ويتشامخون بكبرياء وعُجْبٍ بالذات، ولا يخضعون لشريعة الله.

– يظلمون، ودون أيّ رادع، الأرملةَ واليتيمَ والغريبَ والمسكينَ ولا ينصفونهم، تمامًا على عكس ما يوصي به الله.

– يتّكلون على القوى البشريّة، أي على الأمم التي يتحالفون معها وعلى آلهتها، لهذا كانت النبوءة على يهوياكين الذي أُسِرَ وسيقَ إلى بابل بأنّه يكون "عقيمًا، رجلاً لا ينجح في أيّامه"، لأنّه لا ينجح من نسله أحد

جالسًا على كرسيّ داود، وحاكمًا بعد في يهوذا" (إر ٢٢: ٢٠).

في الفصل ٢٣ نحن أمام عمليّة اقتلاع للشرّ من خلال فَضْح استغلال الملوك الأشرار ومراءاة الأنبياء الكَذَبَة، وكأنّنا أمام عمليّة موازية تهدف إلى تحرير الشعب من الملوك والأنبياء والكهنة الضالّين والمضلِّلين، ليعود برّ الله ويملك في القلوب.

٤ – تفسير النصّ

٤/١ – أقوال نبويّة على الرعاة (آ ١–٨)

يبدو الكلام على الرعاة في هذا الفصل ضمن هجوم شامل يشنّه إرميا على الملوك، والأنبياء المزيّفين، والكهنة المستغلّين، والشعب، لأنّهم جميعًا حادوا عن طريق الحقّ، وانحرفوا عن الخطّ الذي رسمه الربّ لعباده.

آ ١–٢: رعاةٌ يشتّتون، يطردون ولا يفتقدون

١ وَيلٌ للرّعاةِ الذينَ يُبيدونَ ويُشَتّتونَ غنمَ رعيّتي، يقولُ الربّ.
٢ لذلك هكذا تَكَلَّمَ الربُّ، إلهُ إسرائيل، على الرّعاةِ الذينَ يَرعَونَ شعبي:
إنّكم قد شَتَّتُّم غنمي وطردتُموها ولم تَفتَقِدوها؛
فهاءَنَذا أَفتَقِدُ عليكم شَرَّ أَعمالِكُم، يقولُ الربّ.

ينطق إرميا بـ"الويل" (آ ١) المرعب الذي لا يلتذّ الله أبدًا في إطلاقه ضدّ أحد، كون الويلِ يجلبُ الشجبَ والدينونةَ والحكمَ فالموت؛ هو يفعل ذلك لأنّ الجُرْمَ كبير: لقد "أباد" ملوكُ إسرائيلَ "غنمَ رعيّةِ" الله، و"شتّتوه"، وتركوه عرضةً للمخاطر القاتلة، ولقمةً سائغةً في أنياب الذئاب الخاطفة، مع عِلْمِهم، أقلّه مبدئيًّا، أنّه شعب الله الموكَل إليهم، وذلك بدلاً من أن يحرسوه ويبذلوا ذاتهم لأجله، ويكونوا قدوةً أمامه، ويرعوه بكلّ ما أُوتوا من قوّة ومعرفة وسلطان. لم يجلس الملوكُ على عرش داود عن طريق انتخابات أو انقلاب عسكريّ أو أيّة وسيلة بشريّة أخرى، بل بمشيئة الله الذي اختارهم وسلّطهم وَوَكَلَ إليهم رعاية قطيعه، وبالتالي فإنّ سلطانهم هو من الله!

نلاحظ استعمال ضمير المِلْكيّة المفرد المتكلِّم، "الياء"، في المصطلحات الثلاثة الواردة في الآيتَين اللتين نحن بصددهما: "رعيّتي"، "شعبي"، "غنمي"؛ إنّ في ذلك تشديدًا على أنّ بني إسرائيل هم خاصّةُ الله، وهذا ما تغافل ملوكُهم عن فهمه وإدراكه، فأساؤوا إساءةً كبيرةً جدًّا إلى حدّ التسبُّب في هلاك هذا الشعب. استخدم إرميا أفعالاً أربعة عبّر بها عمّا اقترفه هؤلاء: "يُبيدون"، "يُشتّتون"، "طردتموها"، و"لم تفتقدوها"، دلالةً على اتّساع مدى شرّهم وكمّيّته الكبيرة؛ لذلك استحقّوا "الويل" والتأديب: "فهاءَنَذا أَفتَقِدُ عليكم شَرَّ أَعمالِكُم".

سيكون لصورةِ "الراعي والغنم" الرمزيّةِ امتداداتُها في العهد القديم كما في الجديد، نظرًا لغناها من حيث مدلولاتها المعبّرة والواضحة.

آ ٣–٤: الربّ يرعى شعبه ويقيم رعاةً يجمعون

٣ وأَجمعُ بقيّةَ غنمي مِن جميعِ الأَراضي التي طَرَدتُها إليها،
وأَرُدُّها إلى مراعيها، فتثمِرُ وتكثُر.
٤ وأُقيمُ عليها رُعاةً يَرعَونَها،
فلا تعودُ تَخافُ وتفزَع،
ولا يَكونُ مِنها مَفقود، يَقولُ الربّ.

التعارض واضحٌ بين ما اقترفه الملوك، وبين ما كان الله يريدُ أن يقوموا به، لذلك سيفعل هو بذاته ما كان مفروضًا بالملوك أن يفعلوه. يستخدم النبيُّ أفعالاً معبّرةً فاعلُها هو الله: "وأَجمعُ"، "وأَرُدُّ"، "وأُقيمُ".

"البقيّة": من الموضوعات الهامّة في النصوص النبويّة وغيرها. تدلّ المفردة على المؤمنين بالله، والأمناء له في كلّ الظروف، مقابل "الأكثريّة" التي تسجد للبعل وتعبد الأوثان، ولا تتذكّر صنيعَ اللهِ الخلاصيَّ لأجلها؛ ففي كلّ جيل هناك بقيّةٌ قليلةٌ أمينةٌ للربّ، "سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعلٍ" (رو ١١: ٤). يتكلّم إرميا (رج إر ٢٤؛

٤٠–٤٤)، وأشعيا (أش ١: ٩؛ ٣٧: ٤)، وميخا (مي ٤: ٧؛ ٧: ١٨)، على البقيّة التي يريد الله أن يخلّصها؛ فلقد جاء في أش ١: ٩: "لولا أنّ ربّ الجنود أبقى لنا بقيّة صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة".

وسيتكلّم الربُّ يسوعُ على البقيّة الصغيرة الأمينة، داعيًا إيّاها "القطيع الصغير الذي يُسرّ الآب أن يعطيهم الملكوت" (لو ١٢: ١)، ومعتبرًا أنّها "الخميرة الصغيرة التي تخمّر العجين كلّه" (مت ١٣: ٣٣؛ لو ١٣: ٢١). لأجل هذه البقيّة الأمينة يقصّر الله الأيّام القاسية والصعبة: "ولو لم تُقَصَّرْ تلكَ الأيّام، لَما نجا أَحدٌ مِنَ البشر، ولكن مِن أجلِ المختارين، ستُقَصَّرُ تلكَ الأيّام" (مت ٢٤: ٢٢).

إنّ "البقيّة" بالتالي هي النسل المبارك الذي يحظى برضى الله، والذي منه سيكون شعبٌ جديدٌ "يدعو باسم الربّ".

يتكلّم إرميا على "بقيّة غنمي" بطريقةٍ إيجابيّةٍ واعدةٍ تبعث الأملَ والرجاءَ في القلوب، فيقول بأنّها "تثمِرُ وتَكثُر"، و"لا تَعودُ تَخافُ وتَفزَع"، "ولا يَكونُ مِنها مَفْقود"، وكلّ هذا عائد إلى تدخُّل الله المباشر لصالحها، الذي "يجمعُها مِن جميعِ الأراضي"، "ويرُدُّها إلى مراعيها". تشير "جميعِ الأراضي" إلى الأرض الغريبة، أرض الغربة، التي لا تخصُّ بني إسرائيل بل الأعداء، وبالتالي هي أرض الأسر والإذلال والحرمان، في حين أنّ "مراعيها"، مع "هاء" الملكيّة، تشير إلى الأرض التي أحلّ اللهُ عليها شعبه، "أرض تدرّ لبنًا وعسلاً".

ولا بدّ من طرح السؤال حول معنى قول الله: "الأراضي التي طردتُهم إليها"؛ فهل هو الله مَن قام بالطرد؟ هل حصل الطرد بسبب الرعاة الأشرار؟ لقد سبق وطَرد الله آدم وحوّاء من الفردوس، عقابًا لهما على معصيتهما، لكنّ الله كان يُعِدُّ لهما فردوسًا أعظم، وسيتحقّق وعدُه لهما بذلك بفضل ذبيحة آدم الثاني، ربّنا يسوع المسيح. إنّ علّة الطرد هي "الرعاة"، أمّا الذي قام بالطرد فهو الربّ، كتأديبٍ لازم لخلاصهم.

لذلك هي "تُثمِرُ وتَكثُر"، ولا عجب، فإنّ الله قد أخرجها من "الظلمة وظلال الموت"، وأدخلها في نطاق بركته التي ستكون عليه ومعه. إنّ في ذلك ردًّا قويًّا على الحكم الذي كان قد صدر في إر ٢٢: ٢٠: "(تكون) عقيمًا".

لا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، إذ إنّ راعي هذه البقيّة سيقيم عليها مَن هم أهلٌ لذلك ليرعوها، فلا تعود تخشى أيّ مكروه: "وأُقيمُ عليها رُعاةً يَرعَونَها، فلا تَعودُ تَخافُ وتَفزَع".

يحتلّ موضوع رعاية الله لشعبه مكانةً مرموقةً في الكتاب المقدّس، نتبيّنها ممّا دوّنه كاتبُ مز ٢٣، الذي تكلّم باسمه الشخصيّ وباسم شعبِ الله، إذ قال: "الربّ راعيّ، فلا يعوزني شيء" (مز ٢٣: ١)، وهذا ما أكّده الربُّ على لسان حزقيّال (حز ٣٤: ١–١٦)، وميخا (مي ٢: ١٢)، وأشعيا (أش ٤٠: ١١)، وما أثبته يسوع بالقول وبالفعل (يو ١٠: ١–١٨). بفضل هذه الرعاية يحظى شعب الله بالبركات التي لا عدَّ لها.

آ ٥–٦: الربّ يقيم نبتًا بارًّا لداود

٥ ها أَيّامٌ تأتي، يقولُ الربّ، أُقيمُ فيها لداوُدَ نَبْتًا بارًّا،
ويَملِكُ مَلِكٌ يَتَصَرّفُ بفطنة، ويُجري الحُكْمَ والبِرَّ في الأَرض.
٦ في أَيّامِه يُخَلّصُ يَهوذا، ويَسكُن إسرائيلُ في أَمان.
والاسمُ الّذي سيُدعَى به هو: "الربُّ بِرُّنا".

يتكلّم إرميا في هاتين الآيتَين على شخص الملك واسمه وسماته ودوره.

"ها أَيّامٌ تأتي" (הִנֵּה יָמִים בָּאִים):
تتكرّر هذه العبارة مرّات ومرّات في أقوال الأنبياء، لتشدَّ انتباهَ القارئ إلى إعلانٍ ذي قدسيّةٍ وأهمّيّةٍ كبيرتَين، كما في إر ٧: ٣٢؛ ٩: ٢٥؛ ٣١: ٣١؛ ٣١؛ إلخ.

"أُقيمُ فيها لداوُدَ نَبْتًا بارًّا" (וַהֲקִמֹתִי לְדָוִד צֶמַח צַדִּיק):
يستعمل الكاتب الفعل "أُقيم" (וַהֲקִמֹתִי)، وليس

"أُنبِت" (צמח)، للمفعول به. يصف الفعل العبريّ קום ("قُومْ")، بصيغته المزيدة הֲקִים ("هِقِيمْ")، أي "أقام"، مبادرة الربّ إلى "إقامة" شخص أو أكثر قيّمًا على مهمّة محدّدة، كأنْ يكون، مثلاً، "رقيبًا" أو "راعيًا"، الخ، يؤدّيها تجاه مجموعة معيّنة هو مؤتمن "عليها" (עַל)[4].

يعني "النبت"، צֶמַח، بدايةً "النموّ" و"الإفراخ"، ثمّ "البرعم"، צֶמַחּ، والذي هو استعارةٌ[5] تدلّ إلى الملك المسيحانيّ. لدينا استعمال مشابه لكلمة "نبْت" في نبوءة زكريّا: "فاسمع، يا يشوعُ الكاهنُ العظيم، أنتَ وأصحابُكَ الجالسونَ أمامَكَ، فإنّهم رجالٌ بُشَراء. هاءَنَذا آتٍ بِعَبدِيَ "النّبْت"" (زك ٣: ٨). ولأنّه من عند الربّ، فهو نبتُ برٍّ وقداسة، هو "بارٌّ".

دُعي المسيح "نبْتًا" سبع مرّات في العهد القديم، نذكر منها:

– "وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ" (أش ١١: ١)؛

– "فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَفِي ذلِكَ الزَّمَانِ أُنْبِتُ لِدَاوُدَ غُصْنَ الْبِرِّ، فَيُجْرِي عَدْلاً وَبِرًّا فِي الأَرْضِ" (إر ٣٣: ١٥).

– "هاءَنَذا آتٍ بِعَبدِيَ "النّبْت"" (زك ٣: ٨) .

– "فإنّه نَبَتَ كفَرْعٍ أَمامَه، وكأَصلٍ مِن أَرضٍ قاحِلَة..." (أش ٥٣: ٢)؛

– "كَلِّمْه قائلاً: هكذا تَكَلَّمَ رَبُّ القُوّات قائلاً: هُوَذا الرَّجُلُ الّذي اسمُه "النَّبْت". إنَّه يَنبُتُ حيثُ هو..." (زك ٦: ١٢).

– "في ذلك اليوم، يكونُ نَبتُ الربِّ بهاءً ومجدًا، وثمرةُ الأرض فخرًا وزينةً لِمَن نَجا مِن إسرائيل" (أش ٤: ٢).

لقد دُعِيَ المسيح "نبتًا" لأنّ النبت يرتبط بالأصل؛ فالملك المسيح هو من نسل داود، ويرتبط به بحسب الجسد، ولأنّه صار بالحقيقة إنسانًا ينمو كما النبت.

استُخدِم هذا اللقب "النبت" في الأدب القمرانيّ ليشير إلى المسيح الملك، وقد أُدخل إلى الصلاة اليهوديّة التي تُدعى "شِمُنِهْ عِسْرِهْ"، المقصود بها "الثماني عشر بركة".

في أش ١١: ١، يرى النبيُّ المسيحَ كـ"قضيب" و"نبت" أو "فرع" من جذر يسّى، فيقول:

"ويخرج قضيب من جذع يسّى، وينبت فرعٌ من أصوله".

وفي حين أنّ إر ٢٢ يتكلّم على ملوك يهوذا كأشجار لبنان الشامخة، إذا به يتكلّم على المسيح، الملك المخلِّص، كفرعٍ أو كنبتٍ متواضعٍ، لكنّه "نبتُ برّ" وقداسة. لقد أراد باتّضاعه أن يضع حدًّا لكبرياء المتكبّرين الذين يرتفعون ضدّ الله.

"يَتَصَرّفُ بفطنة" (וְהִשְׂכִּיל):

من الفعل שָׂכַל، على وزن هِفْعِيلْ، ويعني "التفطّن"، "التبصُّر"، "التعقُّل"، "الفهم"، كما في أش ٥٢: ١٣: "هوذا عبدي يَعقُلُ" (יַשְׂכִּיל). يعلن إرميا أنّ الملك الآتي هو ملك حقيقيّ، وليس كصدقيّا الذي كان كدُمْيَةٍ يحرّكها الأنبياءُ الكذبة، أمّا عبد الربّ فـ"يعمل بحكمة" و"ينجح".

"ويُجري الحُكْمَ والبِرَّ" (וְעָשָׂה מִשְׁפָּט וּצְדָקָה):

لأنّه قادرٌ أن ينجح، فإنّه بذات الفعل قادرٌ أن يُجري الحقّ ويبسط العدل في الأرض. إنّ للكلمتَين العبريّتين מִשְׁפָּט וּצְדָקָה، اللتَين كثيرًا ما تُستَعمَلان معًا، أهمّيّةً قصوى في تصميم الله وتدبيره الإلهيّ لصالح شعبه، إذ

(4) "קום", in F. BROWN, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, Clarendon Press, Oxford ⁴1979.

(5) Cf. D. BOURGUET, *Des métaphores de Jérémie*, EtB. NS 9, Paris 1987.

من دونهما لن يكون ممكنًا لأيِّ ملكٍ أن يجسّد حضور الله في وسط هذا الشعب. ترتبط هاتان الكلمتان بالعدل والحقّ اللتين يستحيل الالتزام بمتطلّباتهما وتطبيق مضمونهما من دون استقامة السيرة، والخضوع لوصايا الله وأحكامه، وهذا ما قصّر رعاة إسرائيل وقضاته في تحقيقه وتطبيقه.

"يُخَلَّصُ يَهوذا" (תִּוָּשַׁע יְהוּדָה):

لقد وعد أنبياءُ الكذب بني إسرائيل في مملكة يهوذا بالسلام، لكنّهم هم أنفسهم كانوا قد فقدوا سلامهم، أمّا "النبتُ البارُّ"، الراعي الجديد، فهو ملكُ السلام حقًّا، الذي سيُدخِلُ شعبَ الله، إسرائيل الجديد، في زمنٍ يعمّ فيه الأمان والسلام.

"ويَسكُن إسرائيلُ في أَمان" (וְיִשְׂרָאֵל יִשְׁכֹּן לָבֶטַח):

لن يسكن إسرائيل في أمان طالما لم يكن هناك ملكٌ بارٌّ وفق قلب الله، وعلى صورة داود حبيب الله، مسيحانيٌّ بكلّ ما للكلمة من معنى. لقد تنبّأ إرميا مؤكّدًا بأنّه لن يجلس ابنٌ ليَكُنْيَا على كرسيّ داود؛ ولكنّ الله سبق وَوَعد داود بأن يكون له ابن يجلس على عرشه إلى الأبد، يكون قادرًا بقوّة الله أن يُسكِنَ إسرائيل في أمان.

"الربّ برُّنا" (יְהוָה צִדְקֵנוּ):

في قول إرميا، إنّ اسمَه "الربّ بِرُّنا"، هو يتلاعب بالألفاظ، إذ إنّ معنى الاسم "صدقيّا" هو "بِرّي هو الربّ"؛ فبنهاية يَكُنْيَا انتهى كرسيُّ داود، وأصبح "عقيمًا". و"صدقيّا" هذا، ذو الأخبار السيّئة، لم يكن بارًّا أمام الربّ وتجاه الشعب؛ البِرُّ الحقُّ الآتي سيتحقّق بالمسيح المنتظَر، الذي سيقيمه الربُّ نبتًا جديدًا يثمر ثمرًا كثيرًا. كان البابليّون قد أقاموا صدقيّا ملكًا، لكنّه أظهر أنّه غير أهل لذلك، وأنّه لم يكن اسمًا على مسمًّى، لأنّ "صدقيّا" لم يكن كما يعني اسمه، "برّي هو الله"، فكان لا بدّ بالتالي من أن يقوم ملك جديد مكانه، لا يكون صنيعةَ البابليّين، ولا يأتي بقوّةٍ ما مهما كان نوعها، وإنّما بإرادة إلهيّة وحسب، يتصرّف وفق برّ الله، الأمر الذي يتيح للشعب أن يعلن وبثقة كبيرة: "الربّ هو بِرّنا".

آ ٧-٨: خروجٌ جديد وإسكانٌ في أرضهم

٧ **لذلك ها إنّها تأتي أَيّام، يقولُ الربّ، لا يقولون فيها مِن بَعْدُ:**

"حَيٌّ هو الربُّ الّذي أَصعَدَ بني إسرائيلَ مِن أَرضِ مصر"،

٨ **بل: "حَيٌّ هو الربُّ الّذي أَصعَدَ ذُرّيّةَ بيتِ إسرائيل، وأَتى بِهِم مِن أَرضِ الشمالِ ومِن جميعِ الأَراضي الّتي دَفَعتُهم إليها، فسَكَنوا في أَرضِهم".**

بعد الكلام على المسيح الملِك الذي يأتي كراعٍ يَهَبُ بِرَّه بِرًّا لشعب الله، يقدّم النبيُّ عملَ هذا الراعي الخلاصيَّ كخروجٍ جديد، ليس من أرض مصر هذه المرّة، وإنّما من الأراضي التي طُرِدَ إليها، ليسكن في أرضه من جديد. يشير هذا الخروج في المعنى الحرفيّ للكلام إلى العودة من المنفى البابليّ إلى الراحة التي كان الله قد وهبه إيّاها، وفي معناه الروحيّ إلى الرجوع إلى الله، بعد رحيلٍ قاتلٍ عن البيت الأبويّ. لقد أكّد ذلك عبر استخدامه مرّتَين متتاليتَين صيغة التأكيد المعروفة في العهد القديم، ألا وهي "حيّ هو الربّ"، التي سبق واستخدمها الملوك والأنبياء التالية أسماؤهم:

– داود الملك ليشهد لله مخلّصه بأسلوب ليتورجيّ: "حَيٌّ الربُّ الَّذي افتدى نَفْسي مِن كُلِّ ضيق" (٢ صم ٤: ٩؛ رج ١ مل ١: ٢٩؛ مز ٣٤: ٢٣؛ ٧١: ٢٣)؛

– وسليمان الملك ليصف به نفسه: "والآن حَيّ الربُّ الَذي ثبّتني وأَجلسَني على عرشِ داودَ أبي، وبَنى لي بيتًا كما قال" (١ مل ٢: ٢٤)؛

– وإيليّا وأليشاع النبيّان اللذان أضافَا عبارة "الذي أنا واقف أمامه" (١ مل ١٧: ١؛ ١٨: ١٥؛ ٢ مل ٣: ١٤؛ ٥: ١٦)؛

– وصدقيّا الملك في حديثه مع إرميا بكون الله واهبَ الحياة: "فحَلَفَ المَلِكُ صِدقيّا لإرمِيا سِرًّا قائلاً: "حَيٌّ الربُّ الّذي وَهَبَ لنا هذه الحياة، إنّي لا أَقتُلُكَ ولا أُسلِمُكَ الى أَيدي أُولئِك النّاسِ الذينَ يَطلبونَ نَفْسَك"" (٣٨: ١٦).

٢/٤ – أقوال نبويّةٌ ضدّ أنبياء الكذب

آ ٩-١٢: على أنبياء الكذب

يعلن إرميا عن مصير أنبياء الكذب هؤلاء بسبب فساد حياتهم ومعاصيهم الكثيرة، إذ إنّهم يتظاهرون بأنّهم رجال أتقياء، لكنّ داخلهم يضجّ بالميول والشهوات التي هي على نقيض ما ينبغي أن يكون عليه رجل الله، وتحالفوا في ذلك مع الكهنة المنحطّين مثلهم، ليسندوا بعضهم بعضًا، فكانت النتيجة عثارًا لشعب الله، من جهة، وتدنيسًا للعبادة في الهيكل الذي ملأوه بآثامهم وبرجاساتهم، من جهة ثانية.

آ ٩-١٠:

[٩]على الأنبياء: قدِ انكَسَرَ قلبي في داخلي، ورَجَفَت كُلُّ عظامي،
وصِرتُ كإنسانٍ سكران، وكرَجُلٍ غَلَبَتْه الخمر،
بِسَبَبِ الربِّ، وبسَبَبِ كلماتِ قُدسِه،
[١٠]لأنّ الأرض امتلأَت مِنَ الفُسَّاق، وناحَت بِسَبَبِ اللّعنة،
ويَبِسَت مَراعي البرّيّة، وصارَت مساعيهم شرّيرة،
وبَسالَتُهم ظالِمة.

خدع أنبياء الكذب الملكَ ورجالَه وجيشَه، كما ضلّلوا الشعب على مختلف مستوياته، وذلك عن طريق التطمينات الكاذبة التي كانوا يسوّقونها، مصوِّرين إرميا بالمقابل بأنّه رَجُلُ التشاؤمِ المُسيءُ إلى معنويّات الشعب وإلى مسألة الثقة بالذات، علمًا أنّ ثقة الملك ومعظم رعاياه لم تكن موضوعةً في الربّ بل في القوى البشريّة الغريبة. رأى إرميا ما كان هؤلاء الأنبياء يقترفونه ضدّ الله والناس، فراح يُطلق نبوءاته، وقلبه يلتهب، وكأنّ نارًا[٦] آكلةً تشتعل في عظامه، كما نتبيّن ذلك في القولَين التاليَين:

– "وا أَحشائي، وا أَحشائي، إنّي أَتَوَجّع!
وا جُدرانَ قلبي، إنّ قَلْبي يَجيشُ فيَّ فلا أَسكُت!
لأنّ نَفْسي قد سَمِعَت صوتَ البوقِ وهُتافَ القِتال" (٤: ١٩)؛

– "لأنّي كُلَّما تَكَلَّمتُ فإنَّما أَصيح وأُنادي بالعُنفِ والدَّمار،
فصارَ لي كلامُ الربِّ عارًا وسُخريةً طولَ النَّهار.
فقُلتُ: لا أَذكره، ولا أَعودُ أتكلَّمُ باسمِه،
لكنّه كانَ في قلبي كنارٍ مُحرِقَة قد حُبِسَت في عِظامي،
فأَجهَدَني احتمالُها، ولَم أَقْوَ على ذلك" (٢٠: ٩).

كان "القلب"، في العهد القديم، مركز المحبّة والفكر والإرادة؛ فقول إرميا بأنّ "قلبه انكَسَرَ في داخله" يعني ليس رعشةً عاطفيّةً وشعوريّةً عابرَةً، بل صدمةٌ صعبةُ الاحتمال، وارتباكٌ في الفكر، وبلبلةٌ في الرؤية، بسبب ما حلّ بالشعب وبعلاقته بالله. أمّا "العظام" فتشير إلى قدرة الإنسان على القيام والوقوف؛ فمتى أصابتْها "الرجفة"، فإنّ صاحبها يفقد القدرة على ذلك! بنظر إرميا، شعب الله هو أمام كارثة تضربه؛ ونجد تعبيرًا عمّا يعانيه هذا الأخير في قول صاحب المزامير: "مثل الماء انسكبتُ، وتفكّكتْ جميعُ عظامي" (مز ٢٢: ١٤).

إنّ إرميا الذي "انكسر قلبه"، وصارت "عظامه ترتجف"، لم يبقَ له موضع للراحة أو الاستقرار، "فصار كإنسان سكران، وكرَجُلٍ غلبته الخمر" (آ ٩).

لقد "امتلأت الأرض بالفسّاق" (آ ١٠)، فنزلت عليها "اللعنة"، فراحت "تنوح"، "ويَبِسَت مَراعي البَرّيّة". إنّ "اللعنة" هي حلول غضب الله بسبب ذَنْبٍ جسيمٍ جدًّا، فيضرب الأرض بالجفاف أو يحلّ بها الخراب. ونقرأ هنا قولاً معبِّرًا جدًّا لأشعيا، هو التالي:

(٦) الكلمة النبويّة التي تُشَبِّه بـ"النار" هي صورة غير جديدة هنا، إذ وردت قبلاً في إر ٥: ١٤: "لذلك هكذا قالَ الربُّ إلهُ القُوّات: بما أنّكم تَكَلَّمتُم بهذا الكلام، فهاءَنَذا أجعَلُ كلماتي في فَمِكَ نارًا، وهذا الشّعبَ حطبًا فتلتَهِمُه"؛ ٢٠: ٩: "فقُلتُ: لا أذكره ولا أعودُ أتكلَّمُ باسمِه، لكنّه كانَ في قلبي كنارٍ محرقةٍ قد حُبِسَت في عظامي، فأجهَدني احتمالُها ولَم أقْوَ على ذلك".

٤"ناحَتِ الأَرضُ وبَلِيَت، وذَبُلَتِ الدّنيا وبَلِيَت.
ذَبُلَت نخبةُ شعبِ الأَرض.
٥تَدَنَّسَتِ الأَرضُ تحتَ سكّانِها، لأنّهم تَعَدَّوُا الشَّرائع،
ونَقَضوا الحُكمَ، ونَكَثوا العهدَ الأَبديّ.
٦فلذلك أَكَلَتِ اللّعنةُ الأَرض، وعوقِبَ السَّاكنونَ فيها،
ولذلك احتَرَقَ سكّانُ الأَرض، فبَقِيَ نَفَرٌ قَليل.
٧ناحَ النّبيذُ وذَبُلَ الكَرْم، وتَنَهّدَ جَميعُ فَرِحي القُلوب.
٨بَطَلَ طَرَبُ الدُّفوف، وانقطَعَتْ جَلَبَةُ المُبتَهِجين،
وبَطَلَ طَرَبُ الكِنَّارة" (أش ٢٤: ٤-٨).

لقد فسدت الطبيعة التي خُلقت من أجل الإنسان، وبسبب هذا الأخير، وأضحت بالتالي بحاجة إلى أن يعاقبها الله من أجل أن يجدّدها.

لقد سعى الأشرار وجاهدوا، لكنّ "مساعيهم شرّيرة، وبَسالَتَهم ظالِمة" (آ ١٠)، لذلك فإنّهم يخرجون من تعبهم فارغي اليدين، تمامًا كما جاء في سفر الجامعة:

"التفتُّ إلى أعمالي كلّها التي عَمِلَتْها يداي، وإلى ما عانيتُ من التعب في عمله،
فإذا الكلّ باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس" (جا ٢: ١١).

آ ١١-١٢: كُفْر النبيّ والكاهن

١١ لأنّ النبيَّ والكاهنَ كافران،
وفي بيتي وَجَدتُ شَرّهما، يقولُ الربّ:
١٢ لذلك يكونُ طريقُهما كمَزلَقة،
فيُدفَعانِ إلى الظّلام، ويَسقُطانِ فيه، لأنّي أجلُبُ عليهما شرًّا في سَنَةِ عِقابِهما، يقولُ الربّ.

ارتبط الأنبياء بالكهنة ليساند الواحدُ منهم الآخر، فأفرغوا العبادة من مضمونها ودنّسوها، وملأوا هيكل الله المقدّس برجاساتهم. يرتبط اتّهام إرميا للنبيّ وللكاهن بـ"الكفر" بعبادة البعل، حيث تُمارَس طقوس تتنافى مع العبادة الحقّة للإله الحقّ. لكنّ هذه الأخيرة ما هي إلاّ انحراف وضلال ناتجَان عن جهل قاتل، وعن عمًى في البصيرة، وعن فقدان الروح والحقّ. لذلك، عوضًا عن التمتّع بالحياة دخلوا عالم الموت، وعوض الأمان أُصيبوا بالارتباك وبالبلبلة، فضاعوا وضيّعوا شعب الله.

إنّها لَمأساةٌ حقيقيّة أن يضحي النبيُّ والكاهن كافرَين! فالرجاسات التي ارتكباها صارت لهما كـ"مَزلقةٍ" تودي بهما إلى "الظلام"، فـ"يسقطان فيه" وفي شرّ أعمالهما.

في هذا المجال نقرأ من سفر الأمثال ما يلي:

"أمّا سبيل الصدّيقين فكنورٍ مشرقٍ يتزايد وينير إلى النهار الكامل،
أمّا طريق الأشرار فكالظلام، لا يعلمون ما يعثرون به" (أم ٤: ١٨-١٩)؛

كما نقرأ في مز ٣٥: ٦:

"ليكن طريقهم ظلامًا وزَلَقًا، وملاك الربّ طاردهم".

نعم، لقد صار "طريقهم ظلامًا وزلقًا"، بدلاً من أن يؤدّي بهم إلى الله. هذا هو ما ارتكبوه بحقّ أنفسهم، إذ يسقطون في الطريق الذي اتّبعوه (رج آ ١٢)؛ وكما جاء في أم ١٤: ٣٢: "الشرّير يُطرَد بشرّه".

في قول الربّ، "في بيتي وجدت شرّهما" (آ ١١)، شيءٌ من الدهشة بسبب تجاسر الكهنة والأنبياء على اقتراف أفعال شرّيرة في بيت الله، هي على نقيض هويّتهما كمختارَين ومقامَين لخدمة الله وشعبه.

آ ١٣-١٥: أنبياء السّامرة وأنبياء أورشليم، غباوة ونفاق

١٣ ففي أنبياء السّامرةِ رأَيتُ الغباوة:
تَنَبَّأُوا بالبَعل، وأَضَلُّوا شعبي إسرائيل.
١٤ وفي أنبياء أورشليم رأَيتُ ما يُقشَعَرُّ منه: الفِسْقَ والسُّلوكَ بالكَذِب،
شَدَّدوا أيدي فَعَلَةِ الشّرّ لئَلاَّ يَرجِعوا كُلُّ واحدٍ عن سوئِه،
فصاروا كُلُّهم كَسَدومَ، وصارَ سكّانُها كعَمورة.
١٥ لذلكَ هكذا تَكَلَّمَ رَبُّ القُوّاتِ على الأنبياء:
هاءَنَذا أُطعِمُهم مرارة، وأُسقيهِم ماءَ سُمّ،
لأنّه مِن أَنبياء أورشليم خَرَجَ الكُفرُ إلى كُلِّ الأرض.

في البداية اتّهم إرميا أنبياء الكذب بأنّهم متحالفون مع الكهنة في ممارسات لا تليق بخدمتهما، دنّسوا بها بيت الربّ، وسبّبوا للشعب الضياع والضلال. وها هو الآن يتّهم أنبياء الكذب ذاتهم، خاصّة في المدينة المقدّسة أورشليم، بأنّهم تحالفوا مع الملوك الفاسدين ورجالهم المتزلّفين، وبثّوا روح الضلال والكذب في نفوس الشعب، فأساءوا القيادة والتدبير، وتسبّبوا في الكثير من الانحرافات والمظالم والمآسي، حتّى "صاروا كُلّهم كَسَدومَ وكعَمورة" في فسادهم ونفاقهم.

في هذه الآيات ١٣–١٥ تعود الصيغة الثنائيّة الصارمة، جُرْمٌ–حُكْمٌ، ويتواصل فيها ثلاثيُّ "الشرّ" (רָעָה) الذي "يراه" (רָאָה)، والذي جرى الكلام عليه قبلاً في الآيات التالية:

– آ ١٠ ج: "وصارَت مساعيهِم شرّيرة"؛

– آ ١١ ب: "وفي بَيتي وَجَدتُ شَرَّهما"(רָעָה، أي شرّ النبيّ والكاهن)؛

– آ ١٢ ج: "أجلُبُ عليهما شَرًّا" (רָעָה).

إنّ أوّل ما يميّز الأنبياء الكَذَبَة هو سلوكهم المتعارض مع أحكام شريعة الربّ، وبالنتيجة اللاأخلاقيّ والمشكّك. يُقارنُ إرميا بين أولئك الذين في السامرة وأولئك الذين هم في أورشليم، ويستنتج أنّ الفريقَين أثيمان ومذنبان: أنبياء مملكة الشمال، وعاصمتها السامرة، وأنبياء مملكة الجنوب، وعاصمتها أورشليم، فيتّهم الأوّلين بأنّهم نقضوا العهد مع الله، وجحدوا الإيمان، وراحوا يتنبّأون دون خجل ولا وجَل باسم البعل، فإذا هم أنبياء الكذب والنفاق، فأضلّوا بني إسرائيل، وجعلوهم ينحرفون عن عبادة الله الحقّة؛ ثمّ يوجّه تهمة مماثلة إلى أنبياء أورشليم الذين، بزيفهم وزغلهم، نقضوا العهد مع الله، وشوّهوا العبادة، حتّى شابهوا أنبياء السامرة بشرورهم، خاصّة بتدنيسهم الهيكل المقدّس في أورشليم، إذ تحوّل من بيت صلاة إلى مغارة للصوص. لذلك سيقول في آ **١٤**: "رأيت ما يُقشَعَرّ منه".

إنّ الشكوى في آ **١٤** من الأنبياء الكَذَبَة قويّةٌ ومؤلمةٌ جدًّا:

"وفي أنبياء أورشليم رأيتُ (רָאִיתִי) ما يُقْشَعَرُّ (שַׁעֲרוּרָה) منه:

الفسقُ والسلوك بالكَذِب (נָאֹוף וְהָלְכָה בַּשָּׁקֶר)؛

شدَّدوا أيديَ فعلةِ الشرِّ (רָעָה) لئلاّ يرجعوا (שׁוב) كلُّ واحد عن سوئه..."؛

يُحسِنُ إرميا اختيار مفرداته والجمع في ما بينها، كما يفعل عندما يتكلّم على "الفسق والسلوك بالكذب" (آ ١٤). ولأنّهم فعلوا هذه كلَّها، مُبقين على المظاهر التي كانوا يظنّون أنّهم يستطيعون أن يختبئوا وراءها، فإنّهم بذات الفعل "شَدَّدوا أيدي فَعَلَةِ الشَّرّ لئَلاَّ يَرجِعوا كُلُّ واحدٍ عن سوئِه"، وجلبوا على ذاتهم غضب الله، لذلك قال النبيّ: "فصاروا كُلُّهم كَسَدومَ، وصارَ سكّانُها كعَمورة" (آ ١٤). نقرأ عند حزقيّال كلامًا مماثلاً موجَّهًا إلى أورشليم: "إنّ سدوم أختكِ لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلتِ أنتِ وبناتك" (حز ١٦: ٤٨).

يتبيّن لإرميا أنّ أنبياء الكذب سبّبوا بأقوالهم الكافرة وبسلوكهم السيّء الخرابَ لشعب الله ولكلّ الأرض، لذلك أطلق قوله: القويّ: "لأنَّه مِن أنبياء أورشليم خَرَجَ الكُفرُ إلى كُلِّ الأرض" (آ ١٥د)؛ لذا جاء العقاب قاسيًا جدًّا: "هاءَنَذا أُطعِمُهم مرارة، وأسقيهم ماءَ سُمّ" (آ ١٥ج)،

وفي آ **١٤ب و١٥ج** يُكَرَّر الفعلان **نאף** (נָאֹוף)، "فسق"، و**חנף** (חֹנֶפֶה)، "كفر"، الأمر الذي يعني أنّ الموضوع يتواصل.

وردت مطابقة المملكتَين الشقيقتَين من أجل استخراج ما هو متفاقم ومتشدّد منهما بالنسبة إلى يهوذا في **٣**: ٦–١١ (دعوة مملكة الشمال إلى التوبة؛ أنظر حز ١٦: ٤٤–٥٢). إنّ للكلام على أنبياء الشمال مبرِّرَه التاريخيَّ؛ فإذا كان الجُرْم الأوّل هو جُرْمُ "تضليل" (וַיַּתְעוּ)، فإنّ الثاني هو جُرْمُ الحؤول دون التوبة والاهتداء، والسبب في ذلك هو "الغباوة" (תִּפְלָה)؛ أمّا النتيجة فهي أنّ السامرة وأورشليم، أي العاصمتان، الشماليّة والجنوبيّة،

تشبهان تمامًا سدوم وعمورة، وينطبق عليهما ما نقرأه في أش ١٠: ١: "وَيلٌ للذينَ يَشتَرِعونَ فرائضَ الإثم، والذينَ يَكتُبونَ كتابةَ الظُّلم". ويحصل هذا في مجال تأمين الطعام من خلال الخدمة النبويّة، كما كان أَمَصْيَا الكاهن يعتقد، وهذا ما نتبيّنه من كلامه التهديديّ لِعاموس النبيّ في عا ٧: ١٢ حيث يقول: "أيُّها الرّائي، إنطَلِقْ واهرُبْ إلى أرضِ يهوذا، وكُلْ هناكَ خبزَكَ، وتَنَبَّأ هناك". ويتكلّم مي ٣: ٥ على الأنبياء الكَذَبَةِ المضلّلين فيقول: "هكذا قالَ الربُّ على الأنبياء الذينَ يُضِلُّونَ (הַמַּתְעִים) شَعْبي، ويَعَضُّونَ بأسنانِهم، ويُنادونَ بالسَّلام، ومَن لا يُلقِمُهم في أفواهِهم يَشنّونَ عليه حربًا مقدَّسة".

من الطبيعيّ أن يحافظ السيّدُ على خدّامه، والربُّ على أنبيائه، وهذا سبب ما يفعله بالمقابل ضدّ الأنبياء الكَذَبَة، إذ يعطيهم مرارةً ("أفسنتينا") وسُمًّا، كما جاء في إر ٨: ١٤: "لماذا تَبْقى بِلا حِراك؟ تَجَمَّعوا فنَدخُلَ المدُنَ الحصينَة، ونَظَلَّ ساكتينَ هناك، فإنَّ الربَّ إلهَنا قد أسكَتَنا، وسَقانا ماءَ سُمٍّ (מֵי־רֹאשׁ) لأنّنا خَطِئنا إلى الربّ". وفي إر ٩: ١٤: "لذلك هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إلهُ إسرائيل: هاءَنَذا أُطعِمُ هذا الشَّعبَ مرارةً (לַעֲנָה)، وأسقيهم ماءَ سُمّ (מֵי־רֹאשׁ)".

الجناسات، في النصّ العبريّ، التي تعني ما هو مشينٌ ومخزٍ، هي أقلّ إثارة من تلك التي في القول النبويّ السابق؛ فعلاوةً على الرنين الضعيف لكلمتَي נאף وחנף (في النصّ נָאוֹף وחֻנְפָּה، أي "الفسق" و"الكفر")، نجد اسمَي العاصمتَين، "السامرة" (שֹׁמְרוֹן) و"أورشليم" (יְרוּשָׁלִַם).

بالنسبة إلى المدينة، لدينا עֲמֹרָה ("عَمُرَهْ")، "عَمُورَه"، وסדם ("سَدُمْ")، "سَدُوم" و (آ ١٤)؛

بالنسبة إلى السكّان، لدينا שָׁבוּ ("شَبُو")، "يرجعون"، ויְשֻׁבֶיהָ ("يُشْبِيَهْ")، "سكّانُها" (آ ١٤)؛

وعلاوة على מִרְעִים ("مْرِعِيمْ")، "فَعَلَة الشَّرّ"، ومִרְעָתוֹ ("مِرعَتُو")، "سوءه"، وעֲמֹרָה ("عَمُرَهْ")، "عَمورة".

آ ١٥:

("أُطعِمُهم مرارة") (מַאֲכִיל אוֹתָם לַעֲנָה):
تعني الكلمة לַעֲנָה ("لَعَنَهْ")، نبتةَ "الأَفْسَنْتِينَا" ذاتَ الطعم المرّ، كما نقرأ في أم ٥: ٤: "لكنَّ عاقبتَها مُرّةٌ مِثْلَ العَلقَم".

"مياه مسمَّمَة" (מֵי־רֹאשׁ):
قد يكون المقصود هنا المياه المخدِّرة. إنّها صورةُ حُكْمٍ يُطفِئُ آخِرَ بقيّةٍ من الضوء الخُلُقيّ، كما نقرأ في إر ٨: ١٤: "... فإنّ الربّ الهَنا قد أسكَتَنا، وسقانا ماءَ سُمٍّ (מֵי־רֹאשׁ)، لأنّنا خَطِئنا إلى الربّ". هناك العديد من الاستعمالات لكلمة "سُمّ": "المياه السامّة" (מֵי־רֹאשׁ، إر ٨: ١٤)، و"النبتة السامّة" (רֹאשׁ פָּרֶה، تث ٢٩: ١٧) غير المحدَّدة، و"الحيّة السامّة" (וְרֹאשׁ פְּתָנִים، تث ٣٢: ٣٣)، و"العنب السامّ" (עִנְּבֵי־רֹוׁשׁ): "عِنبهم عِنَبُ سمّ، وعناقيدُهم عناقيدُ مرارة" (تث ٣٢: ٣٢).

"خَرَجَ الكُفرُ חֻנְפָּה إلى كُلِّ الأرض":
تعني الكلمة חֻנְפָּה "الكفر" أو "الإلحاد". ولدينا في السبعينيّة الكلمة μολυσμὸς، التي تعني "التلوُّث"، "التدنيس"، "التنجيس"[٧]، كما نقرأ في ٢ كو ٧: ١: "لِنُطَهِّرْ ذواتِنا مِنْ كُلِّ دَنَسِ (μολυσμοῦ) الجسدِ والرُّوحِ".

آ ١٦-٢٢: شَجْبُ الأنبياء الكَذَبَة لأنّهم ينسبون أقوالهم إلى الربّ.

هناك طريقة أخرى للتعرّف إلى الأنبياء الكَذَبَة، هو تَبَيُّن موضع بلاغهم الذي يدّعون أنّه نبويّ. هم يتملّقون المشاعر الشعبيّة، منبئين دومًا بالسلام، حتّى عندما

(7) μολυσμὸς, in W. BAUER, *A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature*, London ²1979.

يكون الشرّ سيّدَ الموقف، بالتالي هم كذّابون، وضحايا تخيّلاتهم الخاصّة:

– "يُداوونَ كَسْرَ شعبي باستخفافٍ قائلين: سلامٌ سلام، ولا سلام" (رج ٦: ١٤)؛

– "يُداوونَ كَسْرَ بِنتِ شعبي باستخفافٍ قائلين: سَلامٌ سلام، ولا سَلام" (٨: ١١)؛

– "هكذا قالَ الربُّ على الأنبياء الذينَ يُضِلُّونَ شعبي، ويَعَضُّونَ بأسنانِهم وينادونَ بالسَّلام، ومَن لا يُلقِمُهم في أفواهِهم،
يَشنّونَ عليه حربًا مقدَّسة" (مي ٣: ٥).

آ ١٦:

"هكذا قالَ رَبُّ القوّات:
لا تَسمَعوا لكلام الأنبياءَ الذينَ يَتَنَبَّأُونَ لكم ويَخدَعونكم.
يَتَكَلّمونَ بروئيا قلوبِهم لا بما يَخرُجُ من فَمِ الربّ".

حين نقرأ آ ١٦ ينتابنا شعور بأنّ الله يتوجّه مباشرةً إلى شعبه، داعيًا إيّاه إلى عدم سماع أقوال الأنبياء الذين ينتحلون هذه الصفة، وينطقون على مسامعه بالكذب ويخدعونه، بالتالي لا يحملون هَمّ علاقة الشعب بإلهه، لذلك هم "يَتَكَلّمونَ بروئيا قلوبِهم لا بما يَخرُجُ من فَمِ الربّ"، في حين أنّ النبيّ الحقيقيّ ينطبق عليه القول المعبِّر جدًّا: "مثل فمي تكون"/" صِرْتَ كفَمي" (إر ١٥: ١٩).

فبعد مقدّمة جديدة، يتوجّه الربّ بالكلام إلى الشعب؛ وبشيء من التوسُّع تجري مناقشة جملة النشاطات والوسائل النبويّة، وهي التالية:

– "الرؤية": חזון، "حَزُونْ"
– "الحلم": חלום، "حَلُمْ"
– "الكلام النبويّ": נְאֻם، "نِؤُوم"
– وفي ذروة كلّ شيء، "الكلمة": דָּבָר، "دَبَرْ".

يمكن عرْض هذه المعطيات حيث تَرِدُ في الآيات وفق التوزيع التالي:

דָּבָר		آ ١٧	آ ٢٢			آ ٢٨	٣٠/٢٩ آ		
חָזוֹן	آ ١٦								
חֲלוֹם				آ ٢٥	آ ٢٧	آ ٢٨			آ ٣٢
נְאֻם								آ ٣١	

وفي الجملة، لدينا هنا وصفٌ جيّدٌ للنشاطات النبويّة، تنبثق منه بعض المعايير الملائمة للتعرّف إلى الأنبياء الكَذَبَة.

في آ ١٦، نشهد عَرْضًا صوتيًّا مُلفتًا في النصّ العبريّ، له بالتأكيد أثره على القارئ:

כֹּה־אָמַר יְהוָה צְבָאוֹת אַל־תִּשְׁמְעוּ עַל־דִּבְרֵי הַנְּבִאִים הַנִּבְּאִים לָכֶם מַהְבִלִים הֵמָּה אֶתְכֶם חֲזוֹן לִבָּם יְדַבֵּרוּ לֹא מִפִּי יְהוָה׃

المفردات العبريّة التي نودّ التركيز عليها في هذه الآية هي التالية:

נְבִאִים נִבְּאִים מַהְבִלִים לִבָּם לֹא מִפִּי

("نِبِئِيمْ"، "نِبِّئِيمْ"، "مَهْبِيلِيمْ"، "لِبَّمْ"، "لُو مِفِّي")؛ حرفيًّا: "أنبياء"، "الذين يتنبّأون"، "يَخدَعون"، "قلبهم"، "ليس من فم".

إنّ الكلمة מַהְבִלִים؛ ("مَهْبِيلِيمْ")، "يَخدَعون"، هي غنيّةٌ بقوّة التلميح الذي تتضمّنه إذ تعني: "غَفَّلَ"، "خَدَع"، "سَذَّج"؛ هو فعل مشتقٌّ من الاسم הֶבֶל، "باطل"، "فراغ"، أي من لقب يُطلَق على الأصنام، كما كتب إرميا في ٢: ٥: "ذهبوا وراء الباطل (הַהֶבֶל)، وَوُجِدوا فارغين (וַיֶּהְבָּלוּ)".

هذا ما يثيره الأنبياء الزائفون بأقوالهم النبويّة الكاذبة.

ستكون المفردة العبريّة לֵב ("لِبْ")، "قلب"، مفتاحًا هامًّا في الآيات التي ستلي، من حيث دور القلب في فهم مراد الله، وهذا ما نقرأه في ٢٣: ٢٠ب: "فلا يَرجِعُ غَضَبُ الربّ حتّى يَفعَلَ، وحتّى يُتِمَّ مُرادَ قَلبِه (מְזִמּוֹת

לִבְנָה) في آخِرِ الأَيّامِ تَفهَمون (תִּתְבּוֹנְנוּ בָהּ בִּינָה)".

يجب إذًا أن تجد هذه الكلمةُ صدًى في قلب الشعب، لكنّ الواقع هو ليس كذلك: "ولكُلِّ مَن يسيرُ على تَصَلُّبِ قلبِه يقولون: لا تَحِلُّ بكم بلوى" (٢٣: ١٧ب).

ممّا تقدّم نستنتج أنّهم بفعلتهم نقضوا شريعة الربّ واستهانوا بها، كما جاء في أشعيا: "رذلوا شريعة ربّ الجنود، واستهانوا بكلام قدّوس إسرائيل" (أش ٥: ٢٤)؛ لذلك، وكما قيل: "جميع الذين أهانوني لا يرونها (أرض الموعد)" (عد ١٤: ٢٣).

آ ١٧:

"يَقولونَ للذينَ يَحتَقِرونَني: قد تَكَلّمَ الربّ، فسيكونُ لكم سلام،

ولكلِّ مَن يسيرُ على تَصَلُّبِ قلبه يقولون: لا تَحِلُّ بِكم بَلْوى".

تشرح هذه الآية كيف يَحُولُ الأنبياءُ الكَذَبَةُ دونَ الاهتداءِ والتوبة، إذ يَعِدُونَ، بِاسْمِ الله، بالسلامِ وبالرفاهيّة كَذِبًا. النبيّ الحقيقيّ يحمل سلام الله في قلبه وفي حياته كلّها، وهو قادر على أن يمنحه من عند الربّ إلى الآخَرين، بينما يعيش أنبياء الكذب في اضطراب وقلق وبلبلة، حتّى ولو ادّعوا أنّهم في سلام، وبالتالي لن يمكنهم أبدًا أن يهبوه للآخَرين. لنقرأ أوّلاً ما يقوله في هذا السياق إرميا، ثمّ ميخا:

– إر ٦: ١٤:

"يُداوونَ كَسْرَ شَعْبي بِاستخفاف قائلين: "سلامٌ سلام"، ولا سلام".

– إر ١٤: ١٣:

"فقلتُ: "آهِ أَيُّها السّيِّدُ الربّ! ها إنّ الأنبياءَ يقولونَ لهم:

إنّكم لا تَرَونَ سيفًا، ولا يَحِلُّ بكم جوع،

بل أَجعَل لكم سلامَ حَقٍّ في هذا المكان".

– مي ٢: ١١:

"لو كانَ رَجُلٌ يَذهَبُ مع الرِّيح، ويَتَكَلَّمُ بالكَذِب:

"إني أَتَنَبَّأُ لكَ عن الخمرِ والمُسكِر"،

لكانَ هو نبيَّ هذا الشَّعب".

– مي ٣: ٥:

"هكذا قالَ الربُّ على الأنبياء الذينَ يُضِلُّونَ شعبي،

ويَعَضُّونَ بأَسنانِهم، ويُنادونَ بالسَّلام،

ومَن لا يُلقِمُهم في أَفواهِهم، يَشنّونَ عليه حربًا مقدَّسة".

كلّ هذا الكلام الكاذب هو على نقيض ما ورد في إر ٢٣: ١٢ ج:

"أَجلُبُ عليهما شرًّا في سَنَةِ عِقابِهما، يقولُ الربّ".

آ ١٨-٢٢:

يقدّم الله ذاتَه على أنّه ملِكٌ يجمع بلاطَه في جلسةٍ يدعو النبيَّ إليها، لكي يتمكّن هذا الأخير بعد ذلك من أن ينقل بشكل دقيق القرارات التي تُتَّخَذ.

نجد في ١ مل ٢٢ نصًّا كلاسّيكيًّا يجري فيه الكلام على الأنبياء الكَذَبَة الذين يتنبّأون بنصرٍ كاذب. الصورة ضمنيّة في أش ٦ ("إذهب وقلْ لهذا الشعب...")، وتلميحيّة في عا ٣: ٧ ("لأَنّ السّيِّدَ الربَّ لا يَفعَلُ شيئًا ما لم يَكْشِفْ سِرَّه لعبيدِه الأنبياء"). لقد قرّر الربُّ في هذه الجلسة في بلاطه الملكيّ أن يحذّر الشعب بقسوة لكي يتوب؛ هذا ما تعنيه التهديدات التي كان على النبيّ أن يعلنها. نسمع صدى التوبة بدءًا من إر ٣.

آ ١٨:

"لأَنّه مَن وَقَفَ في مجلسِ الربّ، ورَأَى وسَمِعَ كَلِمَتَه؟

مَنِ الذي أَصغى إلى كلمتِه واستَمَعَها؟".

تتضمّن آ ١٨ بدائل لا تمسّ المعنى ولا تؤثّر عليه.

ينعم النبيّ الحقيقيّ بشعور لا يوصف بحضور الله في حياته، حتّى أنّه يرى نفسه وكأنّه في حضرة الله، أو أنّه "واقف في مجلس الربّ، يرى ويسمع كلمته" (آ ١٨). والرائع في هذا الاختبار الروحيّ العميق هو أنّ هذا النبيّ يختبر هذا الشعور أيضًا وبشكل مفرح في وسط شعب الله المقدّس على الأرض، كما نقرأ في مز ٨٢: ١: "الله

قائم في مجمع الله...".

أضف إلى ذلك أنّ النبيّ الحقيقيّ يتمتّع باستنارة روحيّة لا يمكن أن تكون للأنبياء الكذبة، لذلك قال إرميا: "ورأى" (آ ١٨)؛ لدينا في العهد الجديد كلامًا معبّرًا جدًّا حول هذا الموضوع في رسالة يوحنّا الأولى: "هذا الذي رأيناه بعيوننا، هذا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١: ١). مَن كان له هذا الاختبار، "سمع كلمته، وأصغى إلى كلمته واستمعها" (آ ١٨).

آ ١٩–٢٠:

١٩ "ها إنّ زَوبعةَ سُخطِ الربِّ قد خَرَجَت،
وعاصفةً هائجةً قد ثارَت على رؤوسِ الأَشرار.
٢٠ فلا يَرجعُ غَضَبُ الربّ حتّى يَفعَلَ، وحتّى يُتِمَّ مُرادَ قلبِه.
في آخِرِ الأيّامِ تَفهَمون".

تُقرَأ هاتان الآيتان أيضًا في إر ٣: ٢٣–٢٤، وهما خارج السياق في المكانَين، لذا هما تُعتَبَران عادةً غير أصليّتَين، بسبب نزعتهما الأبوكالبْتيّة القويّة:

٢٣ إنّما الّذي مِنَ التّلالِ زورٌ، ومِنَ الجبالِ ضَجيجٌ،
وإنّما خلاصُ إسرائيلَ في الربِّ إلهِنا.
٢٤ منذ صِبانا أَكَلَ الخِزيُ تَعَبَ آبائِنا،
غَنَمَهم وبَقَرَهم وبَنيهم وبناتِهم".

كَمَثَلٍ على المراسيم الإلهيّة التي نحن بصددها، وكتهديدٍ بهدفِ الحَمْلِ على التوبة، بالإمكانِ اقتباسُ الكلامِ النبويِّ العامِّ الوارِدِ في إر ٣٠: ٢٣–٢٦:

٢٣ "ويَرزُقُ مَطَرَه لزرعِكَ الّذي تَزرَعُ به الأَرض،
والخبزُ الّذي مِن غَلّةِ الأَرض يكونُ دَسِمًا سمينًا.
وفي ذلك اليوم تَرعى ماشيتَكَ في مروجٍ فسيحة،
٢٤ والثّيرانُ والجَحاشُ التي تَحرُثُ الأَرضَ تأكُلُ عَلَفًا
مُمَلّحًا مُذَرًّى بالرَّنْشِ والمِذْرى.
٢٥ ويكونُ على كُلِّ جَبَلٍ شامخٍ وكُلِّ تلّةٍ عالية سواقٍ
وجداولُ مياه،
يَومَ القتلِ العظيمِ حينَ تَسقُطُ الأَبراج.
٢٦ ويصيرُ نورُ القمرِ كنورِ الشمس،
ونورُ الشمسِ يصيرُ سبعةَ أَضعافٍ كنورِ سبعةِ أَيّام،
يَومَ يَجبُرُ الربُّ كَسْرَ شَعبِه، ويَشفي جُرحَ ضربتِه".

تُفسِحُ هذه الصورةُ المجالَ لتطبيقاتٍ عديدة؛ فبين الظواهر الطبيعيّة، التي يستعملها الله كأدواتٍ لغضبه وكمنفّذة لحكمه، نجد الإعصار، كما في الاقتباسات التالية:

– **سي ٣٩: ٢٨:**
"مِنَ الرياحِ رياحٌ خُلِقَت للعِقاب، وفي غَضَبِه يُشَدِّدُ بَلاياهم،
وفي وقتِ الانقضاء تَصُبُّ قوّتَها، وتُسكِّنُ غَضَبَ صانِعِها"؛

– **عا ١: ١٤:**
"فأُضرِمُ نارًا في سُورِ رَبّة، فتَلتَهِمُ قُصورَها،
مع هُتافٍ في يومِ القتال، وعاصفةٍ في يومِ الزّوبعة"؛

– **أش ٢٩: ٦:**
"افتقادُ رَبِّ القُوّات برعدٍ وزلزالٍ وصوتٍ عظيم،
مع زوبعةٍ وعاصفةٍ ولهيبِ نارٍ آكلة"؛ إلخ.

هذه الدوّامة، التي يفجّرها الله بالذات ويطلقها، تختار النقطة التي عليها أن تنفجر وتنطلق منها. لا شيء ولا أحد يستطيع أن يقاومها، إلى أن يتمّ حكْمُ الله بكلّيّته. عندئذ يَفْهَم أيضًا الذين لم يكونوا أوّلاً يريدون أن يفهموا، كما نقرأ في أش ٢٨: ١٩:

"إذا عَبَرَ يأخُذُكم، لأنّه يَعبُرُ صباحًا فصباحًا، نهارًا وليلاً، وتَلْقينُ البلاغِ وحدَه يُخيف".

نلاحظ بوضوح ملفت تناغم الأصوات الذي يقارب ما بين:

– "الإعصارِ" و"الشرّير": שערה+שער/ראש ("شِعرَهْ"+"شَعَرْ"/"رُشْ")،

– و"الفَهْم" الذي يعكس حروف الكلمة العبريّة **נביא**، "نبي"، لتصبح **בינא** ("بِينَا"): **הִתְבּוֹנְנוּ، בָּה בִּינא** ("هِتْبُنِنُو"، "بَهْ بِينَا").

"في آخِر الأيّام تفهمون فهمًا" (آ ٢٠): تبدو النبوءات بالنسبة إلى معظم سامعيها وكأنّها أحاجي غامضة المرامي، وبالتالي لا يَفهَمُ مضمونَها إلاّ أحبّاء الله؛ ولكن عندما تتحقّق النبوءة، "في آخِر الأيّام"، وتصبح بوقائعها واضحة المضمون ومكشوفة، فعندها "يفهمون فهمًا".

آ ٢١:
"إنّي لم أُرسِل الأنبياء، وها إنّهم يَركُضون،
ولَم أُكَلِّمْهم، وها إنّهم مُتَنَبِّئون".

هذه الآية هي التابع الطبيعيّ للآية ١٧. هؤلاء الأنبياء لم يُرسَلوا. بناءً على ذلك، يتوضّح أنّ البلاغ الإلهيّ هو علامة أخرى للنبوءة الحقيقيّة[٨]؛ هذا ما تؤكّد عليه أقوال مماثلة لإرميا، هي التالية:

– "فقالَ لِي الربّ: إنّ الأنبياءَ يَتَنَبَّأونَ بِاسْمي كَذِبًا، وأنا لم أُرسِلْهم ولم آمُرْهم ولم أُكَلِّمْهم،
إنّما يَتَنَبَّأُونَ لكم برؤيا كاذبة، وبالعِرافةِ والباطلِ ومَكرِ قلوبِهم" (١٤: ١٤)؛

– "لأنّي لم أُرسِلْهم، يقولُ الربّ، وقد تَنَبَّأُوا باسْمي كذبًا،
لأَدفَعَكم فتَهلِكوا، أنتُم والأنبياء الذينَ تَنَبَّأُوا لكم" (٢٧: ١٥)؛

– "فإنّهم إنّما يَتَنَبَّأُونَ لكم بِاسْمي كذبًا، وأنا لم أُرسِلْهم، يقولُ الربّ" (٢٩: ٩).

إنّ زمنَي النبيّ الكلاسّيكيَّين هما الإرسال وتبليغ الرسالة. الفعل "ركض" (רָצוּ)، بدلاً من الفعل الشائع "مشى"، "ذهب" (הלך)، لا يخلو من السخرية. علاوةً على ذلك، ظهر في آ ١٠ الفعلُ "رَكَضَ" ذاتُه كَاسْمٍ، מִרוּצָתָם، أي "مساعيهم" أو "ركضهم"، من מְרוּצָה، أي "الركض" أو "طريقة الركض".

آ ٢٢:
"ولو وَقَفوا في مجلسي، أسمَعوا شعبي كلامي،
كانوا أَرجعوهم عن طريقِهِم الشّرّير، عن شَرِّ أعمالِهم".

تُنقَل الكلمة בסוֹדִי إلى العربيّة عادةً بكلمة "في مجلسي"[٩]؛ نجد استعمالاً مماثلاً في إر ٦: ١١: "وعلى مجلس الشّبّان جميعًا" (וְעַל סוֹד בַּחוּרִים יַחְדָּו)؛ ولكنّها قد تعني أيضًا "مجموعة أصدقاء"، أو "العشْرة" و"المعاشرة"، كما في مز ٥٥: ١٥: "يا مَن تَربِطُني به أَحلى معاشرة" (אֲשֶׁר יַחְדָּו נַמְתִּיק סוֹד)؛ أو "أمين أو أمناء السرّ"، كما في أي ١٩: ١٩: "قد مَقَتَني أُمَناءُ سِرِّي" (תִּעֲבוּנִי כָּל-מִתֵּי סוֹדִי)؛ أخيرًا لا آخِرًا قد تشير إلى "جمعيّة الله" و"مجلسه الإلهيّ"، ونجد مثالاً على ذلك في ١ مل ٢٢: ١٩ي: "رأَيتُ الربَّ جالسًا على عرشِه، وجميعُ قوّاتِ السّماءِ واقفةٌ لديه على يمينه وشمالِه"؛ أنظر أيضًا أي ١–٢.

نجد هذا الموضوع خارج الكتاب المقدّس في ميتولوجيا كنعان وبلاد ما بين النهرين؛ هدف "جمعيّة" كهذه هو تحديد "مصائر" السنة الجديدة؛ أمّا في إسرائيل فيبدو أنّ خلْقَ بشريّة وبعض أحداث التاريخ العظيمة كان الهمَّ الأوّل لهذا المجلس[١٠].

آ ٢٣–٣٢: أنبياء الكذب وأحلامهم

يتكلّم أنبياء الكَذِبَ على أحلامٍ يدّعون أنّها جاءتهم من قبل الربّ، محاولين أن يخدعوا الناس بها، ومدّعين أنّ لها قوّة الأقوال النبويّة، أمّا الهدف المخفيُّ فهو

(8) Cf. W.J. WESSELS, "Prophet Versus Prophet in the Book of Jeremiah: in Search of the True Prophets", *Old Testament Essays* 22 (2009) 733-751; "True and False Prophets: Who is to Decide? A Perspective from Jeremiah 23:9-40", *Journal for Semitics*, 21 (2012) 137-156.

(٩) **الكتاب المقدّس**، دار المشرق، بيروت ١٩٩٧.

(10) Cf. G. COUTURIER, « La vision du conseil divin », *ScEs 36* (1984) 5-43.

تسويق ذاتهم وأقوالهم ليس إلاّ. لدينا في العهد القديم كما في الجديد روايات عن أحلام يستخدمها الربُّ لإيصال رسالة ما، ويفسّرها رجال الله، كما فعل يوسف بن يعقوب عندما فسّر الحلمين في السجن لرئيس السقاة ورئيس الخبّازين، وعندما فسّر أحلام فرعون، وأيضًا دانيال النبيّ الذي فسّر أحلام الملك. يوبّخ الله أنبياءَ الكذب الذين يدّعون أنّه يخاطبهم بالأحلام، ويفضح خداعهم وتضليلهم.

إنّ المعيار الأخير في هذا الأمر هو صيغة الإبلاغ؛ ليس للحلم (آ ٢٥ و٢٨) بحدّ ذاته أيّ شيء مشترك مع كلام الله. تُستَعمَل الأحلام لكشف دعوة الآلهة، لكنّها لم تكن شائعةً جدًّا في إسرائيل (رج عد ١٢: ٦؛ ١ صم ٢٨: ٦؛ ١ مل ٣: ٤ي؛ أي ٣٣: ١٥–١٦). هي بشكلٍ عامّ مرذولة رذلاً حاسمًا كوسيلةٍ لكشف الوحي، كما يقول الربّ على لسان إرميا: "فلا تَسمَعوا لأنبيائِكم وعَرّافيكم وحالميكم ومُنَجِّميكم وسَحَرَتِكُم..." (إر ٢٧: ٩؛ رج تث ١٣: ١ي؛ زك ١٠: ٢)[11].

آ ٢٣–٢٤: الله يملأ الأرض بحضوره

٢٣ "أَإلهٌ أَنا عن قُربٍ، يقولُ الربّ، لستُ إلهًا عن بُعْد؟
٢٤ أَيختَبِئُ إنسانٌ في الخفايا أنا لا أَراه، يقولُ الربّ؟
ألستُ مالئَ السّماواتِ والأَرض، قولُ الربّ؟".

يوبّخ الربّ أنبياءَ الكذب لأنّهم قد يتصوّرونه كالبعل، محدودًا في المكان، وغير قادرٍ على معرفة ما في الأماكن المستترة، في حين أنّه يملأ الأرض بحضوره، ويعرف خفايا الأمور ومستوراتها.

قد نستطيع أن نفسّر هاتَين الآيتَين ٢٣ و٢٤ باعتبارهما وجهة نظر إرميا في ما خصّ هذه الأحلام. إنّ إله إسرائيل إلهٌ قريبٌ جدًّا من الجنس البشريّ، من الإنسان، ولا يستطيع أحدٌ أن يدّعي أنّه قادر على أن يتلاعب به لأجل مصالحه الخاصّة، كما يفعل الأنبياء الكَذَبَة، الذين يتوجّب عليهم أن يعترفوا به ويحترموا سموَّه، ويضعوه على مستوى خاصّ بطبيعته[12].

لدينا هنا السؤال البلاغيّ الثاني: إذا كان النبيّ بحاجة إلى أن يكون مرسَلاً، وأن يحضر مجلس الله، لكي يكون مُطَّلِعًا، فإنّ الله لا يحتاج أن يلجأ إلى مخبأ النبيّ الكاذب لكي يستعلم، لأنّه حاضر في كلّ مكان، وليس فقط في الهيكل. إذا حكمنا من خلال طريقةِ تَحَرُّك حننيا (إر ٢٨)، لا يمكننا أن نقول إنّ الأنبياء الكَذَبَة يتحرّكون بطريقة سرّيّة. إنّ التعبير هنا هو عامّ، أي أنّه، لا البُعْد ولا الاختباء يمنعان الربّ من أن يرى ويعلم، كما نقرأ في الاقتباسَين التاليَين:

– **سي ١٧: ١٥، ١٩، ٢٠:**
١٥"طرقُهم أَمامَه في كُلِّ حين، فهي لا تَخْفى عن عَينَيه.
١٩جميعُ أَعمالِهم كالشمسِ أَمامَه، وعَيناه على الدَّوامِ تَنظُرانِ إلى طرقِهم.
٢٠لا تَخْفى عليه مظالمُهم، بل جميعُ خطاياهم أَمامَ الربّ.

– **مز ١٣٩: ١–٢، ٤، ١٥–١٦**، وهو كلاسّيكيّ في هذا المجال، وتحسن العودة إليه لتوضيح الصورة أكثر فأكثر:
١"يا رَبِّ، قد سَبَرْتَني فَعَرَفتني،
٢عَرَفْتَ جلوسي وقيامي. فَطِنْتَ مِن بعيدٍ لأَفكاري...
٤ قَبْلَ أَن يكونَ الكلامُ على لساني، أنتَ يا ربُّ عَرَفتَه كلَّه...

(11) Cf. E. L. EHRLICH, *Der Traum im AT*, Berlin 1953.

(12) Cf. W. LEMKE, "The Near and Distant God: A Study of Jer 23: 23-24 in its Biblical Theological Context", *JBL* 100 (1981) 541-555.

١٥ لم تَخْفَ عظامي عليكَ حينَ صُنِعتُ في الخفاء،
وطُرِّزتُ في أَسافلِ الأَرض.
١٦ رأَتْني عيناكَ جنينًا، وفي سِفْرِكَ كُتِبَت جميعُ
الأيّامِ، وصُوِّرَتْ قَبْلَ أَن توجَد...".

تسمو ألوهيّةُ الله على تَمْييزِ القُرْبِ والبُعْد، لأنّ عَظَمَتَه تملأ كلّ شيء: "الأرض كلُّها مملوءةٌ من مجده" (أش ٦: ٣). إذا أرسل الله نبيًّا، فليس للحفاظ على المسافات، وليس لفتح مسافة جذريّة، بل لاستعمال وسيلة مناسبة؛ فلا المدى ولا الجهل بالتالي يمكنهما أن يحدّاه.

في ما يتعلّق بالقرب وبالبُعْد[13]، وبالكلمة الوسيطة، لنقرأ ما ورد في أش ٥٥: ٨–١١:

٨ "فإنّ أَفكاري ليسَتْ أَفكارَكم، ولا طرقُكم طُرُقي،
يقولُ الربّ.
٩ كما تَعلو السّماواتُ عنِ الأَرض ،كذلك طُرُقي
تَعلو عن طُرُقِكم، وأَفكاري عن أَفكارِكم،
١٠ لأنّه، كما يَنزِلُ المطرُ والثّلجُ مِنَ السماء، ولا
يَرجِعُ إلى هناك دونَ أَن يُروِيَ الأَرض،
ويَجعَلَها تُنتِجُ وتُنبِت، لِتُؤتِيَ الزّارعَ زرعًا والآكلَ
طعامًا،
١١ فكذلك تكونُ كلمتي التي تَخرُجُ مِن فمي: لا
تَرجِعُ إليّ فارغة،
بل تُتِمُّ ما شِئتُ، وتَنجَحُ في ما أَرسَلْتُها له".

آ ٢٥:

إنّي سَمِعتُ ما قالَه الأنبياء المُتَنَبِّئونَ بِاسْمي كَذِبًا قائلين:
"لقد حَلَمْتُ، لقد حَلَمْتُ".

ندخل الآن في مجال الأحلام. إذا كان الحلم قادرًا على أن يكون وسيلةَ تواصلٍ إلهيّ، فإنّ أحلام أنبياء الكذب (נִבְאֵי הַשֶּׁקֶר) هي ألعاب خياليّة؛ إنّها رغبات يعكسها العقل، عندما تسقط موانع اليقظة[14]. يهاجم إرميا ادّعاءَهم بأنّهم يرون أحلامًا، ثمّ يفسّرونها على أنّها رسائل سماويّة. هم يتستّرون تحت اسم الله، فكانت النتيجة أنّ موضوع الأحلام قد شغل فكر الشعب، فنسي الله ووصاياه، وسار في دروب الضلال.

آ ٢٦: أنبياء الكذب ومكرهم

"إلى متى يكونُ ذلك في قلوبِ الأنبياء المُتَنَبِّئينَ بالكذِب،
والمُنبِئينَ بالكذب، المُنبِئينَ بِمَكرِ قُلوبِهم؟".

يهيمن هنا عنصرٌ جديد، ذو أهمّيّة رئيسيّة بالنسبة إلى ما سيلي، كتكملة لفظيّة في جملة مكثّفة: "يتنبّأون بالأكاذيب باسمي". يقدّمون أنفسَهم وكأنّهم مرسَلو الله، ويتكلّمون باسمه، ولكنّهم يكذبون! وهنا يكمن التناقض. لو كان الأمر باسم البعل أو باسم آلهة أُخرى، لكانت المسألة أقلّ جسامة، بالرغم من كونها جدّيّة (تث ١٣: ٢ي). إنّ التفوّه بالأكاذيب باسم الله هو كمن يدعو اسمَ الله بشكل كاذب (خر ٢٠: ٧، الوصيّة الثانية)، وهذا تزوير وتشويه له.

آ ٢٧: أنبياء الكذب يُنسُون الشعبَ اسمَ الله

"والذينَ يَقصِدونَ أن يُنْسوا شعبيَ اسمي،
بأَحلامِهم التي يَقُصُّها كُلٌّ منهم على صاحِبِه،
كما نَسِيَ آباؤهُمُ اسمي لأَجْلِ البعل؟".

عندما يتعرّض اسمُ إنسانٍ ما لسوء السمعة، فإنّه يقع أيضًا في الإهمال، كما حصل بسبب الصور الكاذبة وبسبب البعليم، وكما يحصل مع الأقوال النبويّة والأحلام الكاذبة. في المدى البعيد، لا يتمّ الاحتفاظ بِاسْم الربّ في مناخ الزِيف، وهذا ما يحصل في منفى مصر، كما نقرأ في إر ٤٤: ٢٦:

"ولكِنِ اسمَعوا كلمةَ الربِّ، يا جميعَ بني يهوذا

(13) Cf. W.E. LEMKE, "The Near and the Distant God. A Study of Jeremiah 23:23–24 in its Biblical Theological Context", *JBL* 100 (1981) 541-555.

(14) Cf. P.J. BUDD, «Dream», in C. Brown (ed.), *The New International Dictionary of the New Testament*, vol. 1, The Paternoster Press, Exeter, 1975, pp. 511-512.

السّاكنينَ في أَرضِ مِصر:
هاءَنَذا أَقسَمْتُ باسْمي العظيم، قالَ الربّ،
لا يُذكَرُ اسمي بَعْدَ اليوم في فَم أَحدٍ من يهوذا قائلاً:
حَيٌّ السّيّد الربُّ في كُلِّ أَرضِ مصر".

آ ٢٨: بين الكذب والحقيقة

"النبيُّ الّذي عِندَه حُلمٌ فليَقُصَّه، والذي عِندَه كلمتي فلْيَتَكَلَّمْ بها بالحَقّ.
أَيُّ صِلَةٍ بَينَ التِّبنِ والحِنطَة، يقولُ الربّ؟".

تتعارض "الأحلام" الواقعيّة والمحسوسة التي يتكلّم عليها إرميا مع "كلمة الله"، كتعارض "الكذب" و"الحقيقة"، שֶׁקֶר و אֱמֶת. توضح هذا الفرقَ اللازمةُ التالية: إنّ كلمة الله هي مِثْلُ "حبّة" (דָּבָר = בַּר) خالية من "القشّ"؛ يقال في ١٥: ١٩ خالية من التفاهة أو من الخساسة:

"لذلك هكذا قالَ الربّ: إنْ رَجَعْتَ أَرجِعْكَ، فتَقِفُ بينَ يدَيَّ،
وإن أَخرَجْتَ النَّفيسَ مِنَ الخَسيسِ، صِرتَ كفمي...".

يقيِّم إرميا هذه الأحلام عن طريق مقارنتها بكلام الله، كما التبن بالمقارنة مع الحنطة، ويلزم بالتالي فرزهما عن بعضهما البعض.

آ ٢٩: كلمة الربّ كالنار والمطرقة

"أَلَيسَت كَلِمَتي كالنّار، يَقولُ الربّ،
وكالمِطرَقَةِ التي تُحَطِّمُ الصَّخر؟".

إنّ كلمة الربّ هي كَنَارٍ، ليس فقط بالنسبة إلى النبيّ الذي يشعر بها في أعماقه كنار حارقة، لكن أيضًا في مفاعيلها، كما هي معلنة في الدعوة. هذا ما يقوله إر ٢٠: ٩:

"فقُلتُ: لا أَذكره ولا أَعودُ أَتَكلّمُ باسمه،
لكنّه كانَ في قلبي كنارٍ مُحرِقَة قد حُبِسَت في عظامي،
فأَجهَدَني احتمالُها، ولَم أَقْوَ على ذلك".

ولدينا صورة أخرى في إر ٥٠: ٢٣، هي صورة المطرقة المحطَّمَة:

"كيفَ كُسِرَت وحُطِّمَت مِطرَقَةُ الأرض بأَسرِها؟
كيفَ صارَت بابلُ دَهَشًا عندَ الأُمم؟".

إنّ أحلام أنبياء الكذب هي كالقشّ؛ فكما يُفرَزُ بين حبّة القمح والقشّ، كذلك يجب الفرز بين كلام الربّ وبين الأحلام الكاذبة. وإذا كانت كلمة الربّ كنارٍ تحرق الشرّ، وتلهبه، وكمطرقة تحطّم الأشرار، فإنّ كلمة الربّ تقضي بنارها ومطرقتها على أحلام هؤلاء الأنبياء.

آ ٣٠-٣٢: الربّ ضدّ هؤلاء الأنبياء

٣٠ "لذلك هاءَنَذا على الأنبياء، يقولُ الربّ،
الذينَ يَسرِقونَ كلامي كُلُّ واحدٍ من صاحبه.
٣١ هاءَنَذا على الأنبياء، يقولُ الربّ،
الذينَ يَستَخدِمونَ أَلسنَتَهم ويقولونَ أَقوالاً نبويّة.
٣٢ هاءَنَذا على الذينَ يَتَنَبَّأُونَ بأَحلامٍ كاذبة، يقولُ الربّ،
ويَقُصُّونَها ويُضِلُّون شعبي بأَكاذيبِهم وعُجبِهم، وأنا لم أُرسِلْهم ولم آمُرْهم،
وهم لا يَنفعونَ هذا الشّعبَ في شيءٍ[١٥]، يقولُ الربّ".

هناك أسوأ من الأحلام وأخطر منها، ألا وهو سرقة كلام الربّ كلُّ واحدٍ من صاحبه (آ ٣٠)؛ لكن ماذا يعني بـ"سرقة كلام الربّ"؟ مَن ينطق بكلام الربّ دون أن يختبره ودون أن يصغي إليه أو يعيشه في حياته، بل يسرقه من أفواه الآخَرين أو من كتاباتهم. هكذا فعل

(15) WESSELS W.J., "'So they do not Profit this People at all' (Jr 23:32). A Critique of Prophecy", *Verbum et Ecclesia* 32 (2011) 8 p.

الأنبياء الكَذَبَة الذين تظاهروا بأنّهم ينطقون بكلام الربّ، دون أن يتلقّوه منه، ويكمن السبب في فسادهم ونفاقهم، وبهذا بيّنوا أنّهم فقراء في معرفة مُراد الله، وأن لا أمانة عندهم ولا إخلاص، حتّى في ما بينهم، إذ يسرق بعضُهم البعض، بالتالي لن يستطيعوا أن يكونوا أمناء تجاه شعب الله.

تُختَتم هذه النبوءة بتحدٍّ انتصاريّ ثلاثيّ: هذا الإله الذي يرى ويعرف من بعيد، هو لم يرسل الأنبياء الكَذَبَة ولم يوصِهِم (לֹא־שְׁלַחְתִּים וְלֹא צִוִּיתִים)، لذلك سيعمل هو بالذات ضدّ فئات هؤلاء الثلاث ("هاءَنَذا على الأنبياء") :

– "الأنبياء الذين يسرقون" (נְבִיאִים מְנַנְּבִים):

هم أولئك الذين يسرق الواحد من الآخَر الأقوال النبويّة، مستعملينها خارج المناسبة، ويتعاطون معها وكأنّها كلمة بشريّة ليس إلاّ.

– الأنبياء "المتنبّئون (נְבִיאִים יְנַאְמוּ):

بالرغم من أنّ الاسم נְאֻם يُستَعْمَل أحيانًا ليدلّ على أقوال بشريّة (عد ٢٤: ٣، بلعام؛ ٢ صم ٢٣: ١، داود)، فهو يدلّ عادةً على كلام إلهيّ؛ لكنّ الفعل العامّ يبدو أنّه استنباط ساخر قام به إرميا، لأنّه غير موجود إطلاقًا في البيبليا كلّها.

– "أنبياءُ أحلامٍ كاذبة" (נִבְּאֵי חֲלֹמוֹת שֶׁקֶר):

للمرّة الرابعة أو الخامسة نسمع في هذا الفصل التعبير "كَذِب"، وهي كلمة ملحاحة في سفر إرميا، تعبّر عن كابوس نشاطِه النبويّ. من خلال الكلمة "ضلّل" (וַיַּתְעוּ) نعود كما إلى البدء، إلى آ ١٣.

"التباهي"، وبالتحديد "وبتباهيهم"(וּבְפַחֲזוּתָם):

هذه الصيغة هي حالة فريدة في العهد القديم، بالرغم من أنّ هناك بديلةً تُطَبَّق مرّتين على أنبياء في صف ٣: ٤: "أنبياؤُها مُغامِرونَ خَوَنَة (נְבִיאֶיהָ פְּחִזִּים אַנְשֵׁי בְּגִדוֹת)، وكهنتُها دَنَّسوا القُدْسَ، وتَعَدَّوُا الشَّريعَة". يدلّ هذا على أنّ إرميا قد استخدم هذه الكلمة من أجل تناغم الأصوات مع اسم الكاهن "فشحور" الذي يتنبّأ بالأكاذيب: פַּשְׁחוּר وفَحزوت.

ينتهي النصّ العبريّ مشدِّدًا بشكل قاطع، وللمرّة الحادية عشرة، على "كلام نبويّ من الربّ". نحن أمام تكرارات ملحاحة، تشبه مطرقةً تضرب الأكاذيب وتفتّتها.

٣/٤–آ ٣٣–٤٠: أَنتُم حِمْلُ الربّ

٣٣ إذا سَأَلَكَ هذا الشّعبُ أو نبيٌّ أَو كاهِنٌ قائلاً: "ما حِمْلُ الربّ"،

فقُلْ لهم: "أنتُم حِمْلٌ، فأنا أُلقيكم عنّي، يَقولُ الربّ"،

٣٤ والنبيُّ والكاهِنُ والشّعبُ الذي يَقول: "حِمْلُ الربّ"،

أفتَقدُ ذلك الإنسانَ هو وبَيتَه.

٣٥ قولوا هكذا كُلٌّ مِنكم لصاحِبِه وكُلٌّ لأخيه:

"بماذا أجابَ الربّ" أو "بماذا تَكَلَّمَ الربّ؟"؛

٣٦ أمّا حِمْلُ الربِّ فلا تَذكُروه مِن بَعدُ، فإنّ كَلِمَةَ الإنسانِ تَكونُ حِملَه،

إذ قد حَوّلتُم كَلامَ الإلهِ الحَيّ، رَبِّ القُوّاتِ إلهِنا.

٣٧ هكذا قُلْ للنبيّ: "بماذا أَجابَ الربُّ" أَو "بماذا تَكَلّمَ الربّ؟"؛

٣٨ فإن قُلتُم: "حِمْلُ الربّ"، فهكذا قالَ الربّ: بِسَبَبِ قولكم "حِمْلُ الربّ"،

بَعدَما أَرسَلتُ إليكم قائلاً: لا تقولوا: "حِمْلَ الربّ"،

٣٩ لذلك هاءَنَذا أَرفَعُكم، رَفْعًا وأَنبذُكم عن وَجْهي،

أَنتم والمدينةَ التي أَعطَيتُها لكم ولآبائكم،

٤٠ وأَجعَلُ عليكم عارًا أبديًّا،

وخِزْيًا أَبديًّا لن يُنْسى.

يبدو أنّ مَن يتكلّم هنا هو الربّ على لسان نبيّه إرميا. تُصَوَّبُ هذه الوحدة الأخيرة من هذا الفصل، وهي النبوءة الخامسة فيه، على الأنبياء أيضًا وأيضًا، وتتضمّن

نوعًا من الدينونة للشعب المُصابِ بشيء من العمى، إذ إنّه لا يميّز النبيَّ الحقيقيَّ من الأنبياء الكَذَبَة.

إنّ صياغة هذه الفقرة هي مربكة بعض الشيء، ولكنّ الوضع كان التالي: يبدأ العديد من نبوءات إرميا بعبارة "عبء يهوه" أو "حِمْلُ يهوه"؛ ولكنّ الشعب لم يصدّق هذه النبوءات، وكان منزعجًا من وعظ إرميا المتواصل؛ لذلك صمّموا أن يدعوه، "أنت عبءُ الربِّ القديم!". في كلّ مرّة كانوا يرونه، كانوا يسخرون منه ويسألونه: "حسنًا، ما هو عبء الربّ اليوم؟!". يوحي ذكرُ الأنبياء الكَذَبَة والكهنة الذين انضمّوا إلى هذه السخرية من نبيّ الله الحقيقيّ بأنّهم ربّما نظّموا هذا الاستهزاء بإرميا بشكلٍ منهجيّ.

في مختلف آيات هذه الفقرة، كانت إجابة الله على هذا السلوك الفاضح هي التالية: "أَنا أُلقيكم عنّي" (إر ٢٣: ٣٣)؛ "أَفتَقِدُ (פָּקַד)[16] ذلك الإنسانَ هو وبَيتَه" (إر ٢٣: ٣٤)؛ ولجميع الذين يستفسرون بشكلٍ ساخرٍ عن كلام الله، لن يكون هناك أيّ ردٍّ على الإطلاق. سيكون استهزاؤهم به "حِمْلَهم"/"عبأهم" أمام الله عندما تتمّ محاكمتهم. "إنّ كَلِمَةَ كلّ الإنسانِ تَكونُ حِملَه" (إر ٢٣: ٣٦)؛ "لذلك هاءَنَذا أَرفَعُكم، رَفْعًا وأَنبُذُكم عن وَجْهي، أنتم والمدينةَ التي أَعطَيتُها لكم ولآبائكم، وأَجعَلُ عليكم عارًا (חֶרְפָּה) أبديًّا، وخِزْيًا (כְּלִמּוֹת) أَبديًّا لن يُنْسى" (إر ٢٣: ٣٩–٤٠).

خاتمة

يطلق إرميا كلمات الويل ضدّ الرعاة الفاسدين (آ–٢) ثم يعلن الربّ أنّه سيرعى هو غنمة (آ ٣–٤)، كونه "برّ" شعبه (آ ٥–٦)، ليصل إلى الإنباء بخروج جديد (آ ٧–٨).

يشكّل إر ٢٣: ٩–٣٢ كتيّبًا يتضمّن مجموعةً من الأقوال النبويّة التي تتعلّق بطبقةٍ من القادة في إسرائيل، هم الأنبياء، ولكنّهم أنبياء ضالّون أساؤوا إلى الرسالة النبويّة المقدّسة والصادقة. لم يتوقّف إرميا عن التنديد بهم، كما نرى في ٢: ٨؛ ٤: ٩؛ ٥: ٣١؛ ٦: ١٣–١٥؛ ١٤: ١٣–١٦؛ إلخ، حيث يعتمد في هذه النصوص مقياسًا يحدّد به هويّة الناقل الحقيقيّ لكلام الله[17]. لم يتوانَ إرميا عن أن يشمل بنقده الجازم الملوك والكهنة أيضًا، وهم شركاء في قيادة الشعب إلى جانب الأنبياء، لذلك جاء هذا الفصل صرخةً عاليةً عبّرت بشكل رائع عن انتفاضةٍ قويّةٍ على واقع مؤلم وصل إليه هذا الشعب بسبب النفاق والخداع والتضليل، ولا خروج منه إلاّ بإخراج كلّ ما يتنافى وتصميم الله وإرادته من القلوب.

وتتضمّن آ ٣٣–٤٠ نوعًا من الدينونة لشعب أضحى عاجزًا عن التمييز بين الحقّ والباطل.

مراجع

الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت ١٩٩٧.

الفغالي بولس، **عهد الله مع قلوب متجدِّدة. إرميا النبيّ**، المجموعة الكتابيّة ٩، المكتبة البولسيّة، لبنان ٢٠٠٠.

الفغالي بولس وعوكر أنطوان، **العهد القديم العبريّ، ترجمة بين السطور، عبريّ–عربيّ**، الجامعة الأنطونيّة، لبنان ٢٠٠٧.

ANDRÉ G., פָּקַד, *TWAT*, VI, 708-723.

(16) G. ANDRÉ, פָּקַד, *TWAT*, VI, 708-723.

(17) Cf. H.-J. KRAUS, *Prophetie in der Krisis*, Neukirchen, 1964; T. W. OVERHOLT, *The Threat of Falshood*, Naperville: Allenson, 1970; I. MEYER, *Jeremia und die falschen Propheten*, Fribourg 1977.

BAUER W., *A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature*, London [2]1979.

BERQUIST J.L., "Prophetic Legitimation in Jeremiah", *Vetus Testamentum* 39 (1989) 129-139.

BOURGUET D., *Des métaphores de Jérémie*, EtB. NS 9, Paris 1987.

BROWN F., *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, Clarendon Press, Oxford [4]1979.

BRUEGGEMANN W., *A Commentary on Jeremiah. Exile & Homecoming*, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, MI, 1998.

BUDD P.J., "Dream", in C. Brown (ed.), *The New International Dictionary of the New Testament*, vol. 1, The Paternoster Press, Exeter, 1975, pp. 511-512.

CARROLL R.P., *Jeremiah. A Commentary*, SCM (Old Testament Library), London, 1986.

COUTURIER G., « La vision du conseil divin », *ScEs 3*6 (1984) 5-43.

CRAIGIE P.C., Kelly, P.H. & DRINKARD Jr, J.F., *Jeremiah* 1–25, Word Books (Word Biblical Commentary), Dallas, TX, 1991.

EHRLICH E. L., *Der Traum im AT*, Berlin 1953.

HOLLADAY W.L., *Jeremiah 1. A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, chapters 1–25*, Fortress Press, Philadelphia, 1986.

KRAUS H.-J., *Prophetie in der Krisis*, Neukirchen, 1964.

LEMKE W., "The Near and Distant God: A Study of Jer 23: 23-24 in its Biblical Theological Context", *JBL* 100 (1981) 541-555.

MEYER I., *Jeremia und die falschen Propheten*, Fribourg 1977.

MUNOZ IGLESIAS S., « Les mauvais pasteurs et le bon pasteur (Jr 23) », *AssSeig* 47 (1970) 34-38.

OVERHOLT T.W., *The Threat of Falsehood. A Study in the Theology of the Book of Jeremiah*, SCM, London, 1970.

WESSELS W.J., "Prophet Versus Prophet in the Book of Jeremiah: in Search of the True Prophets", *Old Testament Essays* 22 (2009) 733-751.

_____,"'So they do not Profit this People at all' (Jr 23:32). A Critique of Prophecy", *Verbum et Ecclesia* 32 (2011) 8 p.

_____, "True and False Prophets: Who is to Decide? A Perspective from Jeremiah 23:9-40", *Journal for Semitics*, 21 (2012) 137-156.

WISSER L., Jérémie, critique de la vie sociale, coll. *Le Monde de la Bible*, Genève, Labor et Fides 1982.

إر ٢٧: ١-٢٢
"ضعوا أعناقكم تحت نير ملك بابل"

الخوري غزوان بحو
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

يعتبر الكثير من علماء الكتاب المقدّس كتاب إرميا أنتولوجيّة الأنتولوجيّات، لأنّه لا يبدأ بموضوع معيّن ثم يستمرّ إلى النهاية، بل يحوي أحداثًا حياتيّة مختلفة معاشة في بيئات مختلفة، مرتّبة في أقوال وإعلانات عامّة ومذكّرات شخصيّة. هذه الأنتولوجيّات منظّمة في مقالات وكتابات مرتبطة بحياة النبيّ، مشكّلة بذلك كتابًا متكاملاً يجعل النبيّ إرميا واحدًا من أكثر الأنبياء معرفة بالنسبة إلى الدارسين. إنّ منطقيّة جمع هذه الأنتولوجيّات غير معروفة جيّدًا، ولكن يمكننا إعادة بنائها للوصول إلى تسلسل معيّن للموضوعات. يمكن اكتشاف البعض من خصائص هذه الأنتولوجيّات المرتبطة مع بعضها في النصّ نفسه؛ مثلاً:

١) إر ٢٥: ١-١٤ يحوي قصّة تعتبر خاتمة لمجموعة من الأقوال النبويّة، على الرغم من أنّ الكتاب يستمرّ لعدّة فصول أخرى.

٢) إر ٣٠: ١-٢ يشكّل مدخلاً إلى "كتاب" آخر، ربّما للفصول ٣٠-٣٣.

٣) إر ٤٦: ١ يبدو أنّه مدخل إلى أنتولوجيّة أخرى، تسمّى مجموعة الأقوال الموجّهة إلى شعوب أجنبيّة.

يحوي الكتاب أيضًا أساليب أدبيّة مختلفة، يقسمها العلماء إلى ثلاثة أنواع رئيسيّة: أقوال نبويّة بشكل شعريّ، وكتابات نثريّة على شكل بيوغرافيّة، وتاريخ مرتبط بصورة أساسيّة بشخص إرميا، وأقوال ومناقشات على أشكال نثريّة بأسلوب خاصّ، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يعني بأنّ الكتاب قد مرّ بمراحل عدّة في تحريره، إلى أن وصل إلينا بشكله الحاليّ. ولكنّ هذا يخلق أيضًا مشكلة هي التالية: أيّ الأقوال تعود إلى النبيّ نفسه، وأيّ منها أضيفت لاحقًا؟ يتّفق العلماء على أنّ الأقوال الشعريّة تعود إلى النبيّ نفسه، بينما الأقوال النثريّة تعتبر إضافات لاحقة على أقوال النبيّ من قبل تلاميذه لإيصال رسالة النبيّ إلى الأجيال اللاحقة، كمثل الأجيال التي عاشت في المنفى.

ولكن هناك أسئلة تطرح نفسها في ما إذا كان النبيّ نفسه قد استعمل أسلوبًا واحدًا في الكتابة (شعر) أو أسلوبين (شعرًا ونثرًا)؟ يمكن القول أيضًا بأنّ رسالة النبيّ الأساسيّة كانت على شكل شعر مرتّل بشكل شفهيّ، ثمّ في مرحلة لاحقة، أثناء البدء بالكتابة، أضاف الأقوال النثريّة. مجموعة أخرى من العلماء تعتبر أنّ الأقوال الشعريّة هي الأصل، وفي فترة لاحقة تطوّرت إلى مناقشات، وتمّ تطبيقها على أحوال وظروف مختلفة كتلك التي كانت في المنفى، أي أنّ تلاميذ إرميا هم

المسؤولون عن كتابة الأجزاء النثريّة. هكذا فإنّ فكرة أنّ القطع النثريّة لا تعود إلى النبيّ نفسه يشكّل ما يُقال "لغة التثنية" لإرميا، وهذا يتّضح من وجود تأثير "لغة التثنية" على كلّ كتاب إرميا. وعلى هذا الأساس يمكننا تمييز بعض الأجزاء التي تعود إلى إرميا وبعضها إلى مرحلتين لاحقتين تعود إلى تلاميذه، بحيث أنّ إر ١–٢٥ و٢٦–٤٥ تمّت كتابتها حوالى السنة ٥٥٠ ق. م.، والباقي في مرحلة لاحقة؛ إذن يوجد أسلوبان للكتابة في كتاب إرميا: الشعر الذي كتب من قبل النبيّ نفسه الذي عاش في الفترة ٦٢٧–٥٨٧ ق. م.، ثمّ النثر والجزء التاريخيّ الذي ربّما أضيف من قبل باروك أو أحد تلاميذ النبيّ.

هيكليّة نصّ إر ٢٧: ١–٢٢

يفضّل قراءة الفصل ٢٧ مع الفصل ٢٨ كوحدة واحدة لكي تفهم بسهولة لأنّها تحوي موادّ متشابهة وأقوالاً مشتركة ولها الواقع التاريخيّ نفسه، ولكن مع هذا يمكننا فصلها للأسباب التالية:

١) إر ٢٧ يستعمل الشخص الأوّل من قبل النبيّ نفسه، بينما في إر ٢٨ يتمّ الكلام بالشخص الثالث بعد آ ١.

٢) بداية الفصل ٢٨ تبدو عبارة بداية وحدة جديدة.

٣) لكلّ من الفصلين صفات مختلفة.

يمكن تقسيم الفصل ٢٧ كما يلي:

أوّلاً: الرسالة الإلهيّة بشكل علامة – حدث وقول لملوك الجوار (آ ١–١١)

١. الرسالة الإلهيّة بشكل علامة – حدث (آ ١–٢)

١) الوقت

٢) عبارة الكلمة – الحدث

٣) القول النبويّ للإرسال

٤) الأمر بصنع رُبُط وأتاد

٢. الرسالة إلى ملوك الجوار (آ ٣–٤)

٣. قول إلى الملوك الخمسة (آ ٥–١١)

٥) تقديم ذاتيّ للخالق (آ ٥)

٦) إعلان نبوخذنصّر كخادم لله (آ ٦–٧)

٧) سلبيّات متناوبة (آ ٨)

٨) الحذر من الأنبياء الكذبة (آ ٩–١٠)

٩) إيجابيّات متناوبة (آ ١١)

ثانيا: قول نبويّ لصدقيّا (آ ١٢–١٥)

١. مدخل، باستعمال الشخص الأوّل (آ ١٢أ)

٢. الأمر بالخضوع لملك بابل (آ ١٢ب–١٣)

٣. الحذر من الأنبياء الكذبة (آ ١٤–١٥)

ثالثا: أقوال نبويّة للكهنة والشعب (آ ١٦–٢٢)

١. مقدّمة باستعمال الشخص الأوّل (آ ١٦أ)

٢. الحذر من الأنبياء الكذبة (١٦ب–١٧)

٣. تحدّي الأنبياء وقول نبويّ بخصوص آنية الهيكل (آ ١٨–٢٢)

تفسير النصّ

أوّلاً: الرسالة الإلهيّة بشكل علامة – حدث وقول لملوك الجوار (آ ١–١١)

١. الرسالة الإلهيّة بشكل علامة – حدث (آ ١–٢)

[١]في بَدْءِ مُلكِ يوياقيمَ بنِ يوشيّا، مَلكِ يَهوذا، كانَت الكَلِمَةُ هذه إلى إرميا مِن عندِ يهوه قائلاً: [٢]هكذا قالَ يهوه لِي: "إِصنَع لَكَ رُبُطًا وأتادًا وضعها على عُنُقِكَ".

يبدأ الفصل ٢٧ من كتاب إرميا النبيّ بمقدّمة تتضمّن أربعة أجزاء:

١) الوقت: **"في بَدْءِ مُلكِ يوياقيمَ بنِ يوشيّا، مَلكِ يَهوذا"**.

٢) الكلمة – الحدث: "**كانَت الكَلِمَةُ هذه إلى إِرميا مِن عندِ يهوه قائلاً:**".

٣) القول النبويّ للإرسال: "**هكذا قالَ يهوه لِي**".

٤) الأمر: "**إِصنع لَكَ رُبُطاً وأتادًا وضعها على عُنُقِكَ**".

هذه الأجزاء الأربعة مع بعضها تُبرز منذ البداية العلاقة الشخصيّة بين النبيّ والله الذي يرسله، موضحًا فيها رسالة النبيّ الإلهيّة. يتمّ تحديد الزمن المرتبط بتاريخ حكم ملك من ملوك يهوذا، كذلك الكلمة التي سوف يتمّ نقلها من قبل النبيّ والتي هي كلمة إلهيّة، ومن ثمّ الأمر الإلهيّ الذي سوف ينفّذه المرسل. فحوى الرسالة متضمّن في فعل الأمر الإلهيّ: "إصنع وضع". نفهم من النصّ أنّ الكلمتَين "رُبُط" و"أتاد" تشيران إلى أجزاء "النير" الذي كان يستعمل لربط الثور بالمحراث. يتكوّن "نير" الثور من جزءين أساسيّين: قطع خشب طوليّة تعبّر عنق الثور أمام الكتف والرُبُط مع قطعتي خشب متوازيتَين تدوران حول العنق لتربطها بكتف الثور. الهدف منها كان تقييد الثور لكي يتمكّن من سحب المحراث. لسان المحراث مثبت بمركّز القطع الطوليّة. رمز "النير" يوضح كلمة الربّ التي يوجّهها إلى شعبه بواسطة إرميا، ومن خلالها يدعو السامع إلى أن يدخل هو أيضًا في المكان الفارغ من "النير" لكي يخضع لكلمة الله.

الرسالة إلى ملوك الجوار (آ ٣-٤)

٣وأَرسِلْ بها إلى مَلِكِ أَدومَ ومَلِكِ موآبَ ومَلِكِ بَني عَمُّونَ ومَلِكِ صورَ ومَلِكِ صَيدون، بأَيدي الرُّسُلِ القادمينَ إلى أُورَشَليم، إلى صِدقِيَّا، مَلِكِ يَهوذا. ٤ومُرْهم أَن يَقولوا لِسادَتِهم قائلاً: "هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل: هكذا تَقولونَ لِسادَتِكم.

يظهر الملوك الخمسة في آ ٣ بالترتيب نفسه في إر ٢٥: ٢١-٢٢ التي هي جزء من القائمة الطويلة للأمم التي سوف تشرب من كأس غضب الله. هنا تتمّ الإشارة إلى الأمم التي هي بجوار يهوذا. الترتيب يبدأ من الجنوب الشرقيّ باتجاه الشمال الغربيّ. لا ذكر لاسم الفاطيّين ربّما لأنّهم كانوا تحت سلطة اليهود. الإشارة إذن إلى الفصل ٢٥ تذكّر الشعب اليهوديّ بأنّهم تحت حكم الله مع الشعوب الأخرى. ولهذا فإنّ فراغ اسم الفلسطيّين يؤكّد هذه النقطة. الممالك الخمسة كانت جميعها خاضعة أو متعاهدة مع داود. والأكثر من ذلك كانت كلّها، باستثناء صيدون، قد ساعدت في توفير الآنية للهيكل بطريقة أو بأخرى. كان داود قد كرّس للربّ آنية الذهب والفضّة التي أخذها من جميع الشعوب الذين أخضعهم، من بني عمّون والموآبيّين (٢ صم ٨: ١١-١٢)، كما أنّ العهد بين سليمان وحيرام من صور ساعد في تقديم موادّ البناء للهيكل (١ مل ٥ و٧: ١٣-٤٧). وبعد إكمال بناء الهيكل من قبل الملك سليمان وضع جميع آنية الفضّة والذهب في خزينة الهيكل (١ مل ٧: ٥١).

لا يستطيع النبيّ إرميا هو نفسه حمل الرسالة إلى الملوك، ولهذا فإنّه يبعث النير بأيدي مرسلين يحملونه إلى الملوك ومن ضمنهم صدقيّا أيضًا. بالنسبة إلى إرميا النبيّ فإنّه يجعل برسالته هذه إلى الملك صدقيّا أن يتألّم لأنّ الرسل الذين أرسلهم ليتفاوضوا معه بعثهم إرميا حاملين النير الذي يعتبر علامة خضوع مرسلة من قبل الربّ لكي يحملوه إلى سيّدهم. هكذا فإنّ المرسل إليه سَمِع الإعلان، وعليه أن يجاوب عليه لكي يرسله من جديد إلى المرسل إليه. المرسلون إلى الملك في هذه الحالة يحملون رسالة سلبيّة إليه وإلى الملوك الخمسة.

قول إلى الملوك الخمسة (آ ٥-١١)

١) تقديم ذاتيّ للخالق (آ ٥)

٥أَنا صَنَعتُ الأرض والبَشَرَ والبَهائمَ الَّتي على وَجهِ الأرض، بِقُوَّتي العَظيمَةِ وبِذراعِيَ المَبْسوطَة، وأَعطَيتُها لِمَن حَسُنَ في عَينَيَّ.

يبيّن إرميا في هذه الآية بأنّ الله هو الذي له سلطة على الجميع، وذلك كونه "خالق الأرض والبشر وكلّ

شيء". الأجزاء الثلاثة لهذه الآية مرتبطة مع بعضها: الخلق والقدرة والسلطان. الجزء الأوّل يبيّن أنّ الله هو الخالق، وفيه إشارة واضحة إلى سفر التكوين (تك ١-٢). العبارتان "قدرة الله" و"ذراعه المبسوطة" مع بعضهما تشيران بصورة واضحة إلى سفر الخروج (أنظر خر ١٤-١٥ وتث ٤: ٣٤).

إستعمال العبارتين "قدرة الله" و"ذراعه المبسوطة" في نصّ إرميا (كما في إر ٣٢: ١٧) يبيّن أنّ عمل الله الخالق هو أيضًا حدث خلاصيّ. تغيير عبارة "خلق العالم" إلى عبارة "خلق كلّ البشر والبهائم التي على وجه الأرض" يحوّل الأنظار إلى وصف الخلق كحدث شخصيّ. الكلمة العبريّة المستعملة لوصف الكائنات الحيّة هي "بِهِمَةْ"، أي "بهيمة"، وتعني كلّ الأحياء التي خلقها الله باستثناء البشر (كما في مز ٣٦: ٧) أو الكائنات الحيّة التي تعيش مع الإنسان (نصّ يون ٤: ١١ وزك ٢: ٤ يوضحان أنّ المدينة كان يعيش فيها البشر والبهائم أيضًا)، هكذا فإنّ إرميا يعني الكائنات الحيّة التي تعيش مع الإنسان وكلّ الأحياء الأخرى. الله "خالق كلّ المخلوقات الحيّة" يستطيع أن يجعل الحيوانات البرّيّة تخدم نبوخذنصّر (آ٦). الجملة الأخيرة من الآية تعتبر حلقة وصل بين سفر الملوك الأوّل والثاني وما يتعلّق بملوك إسرائيل وعملهم. مثلاً، العبارة "ما هو حسن في عينيّ، وما يبدو حسنًا بالنسبة إليّ" تشرح أعمال داود في ١ مل ١٤: ٨، عكس ما يعمله يربعام. ولكن في نصّ إرميا تشير هذه العبارة إلى شخص اختاره الله ليس من أجل أعماله الحسنة، ولكن لأنّ الله شاء أن يختاره، لأنّ الفعل العبريّ "ناتان" أي "يعطي"، والذي يظهر أيضًا في آ٦ يشير إلى قدرة الله التي تبيّن سلطانه على الأرض في اختياره من يشاء، الذي في هذه الحالة اختار الملك نبوخذنصّر.

إعلان نبوخذنصّر كخادم لله (آ٦-٧)

٦والآن قد أَسلَمتُ أنا جَميعَ هذه الأَراضي إلى يَدِ نَبوخذنَصَّر، مَلِكِ بابِل، عَبْدي، وأَعطَيتُه أيضًا وُحوشَ الحَقْلِ لِتَخدِمَه.

بعد أن تمّ تحديد الأحداث الأساسيّة في آ٥، يُصدر الربّ إعلانه في آ٦ الذي هو: "نبوخذنصّر هو الملك الذي يملك السلطة على كلّ هذه الأراضي". في العهد القديم، كان الأنبياء يعلنون أمر الله بنقل الملوكيّة من ملك يرفضه الربّ إلى ملك آخر يختاره هو نفسه. يُعتبر الفصلان ٢١-٢٢ كتحضير لإعلان نبوخذنصّر متسلّطًا على كلّ الأرض لأنّ ملوك يهوذا فقدوا عرشهم بسبب ظلمهم وعنفهم وبحثهم عن المكسب الخسيس (٢٢: ١٧). بينما في الفصل ٢٧ يبيّن إرميا كيف أنّ القارىء نفسه سيفهم موقف الربّ وعمله تجاه التغيير السياسيّ وتغيير السلطة.

الكلمة العبريّة "هَأَرَصُوتْ"، أي "الأراضي"، ترتبط بوضوح مع الكلمة العبريّة "إِرِصْ"، أي "الأرض"، في آ٥، بحيث تحدّد سلطة الملوك الذين وردت أسماؤهم في آ٣. الربّ، خالق الكائنات الحيّة، يجعلها جميعها في خدمة نبوخذنصّر. بما أنّ الوحوش كان من الممكن أن تشارك في الحروب، ففي حالة نبوخذنصّر فإنّ الربّ قد سلّمها إليه كي تساعده في حربه ضدّ الممالك الأخرى (تث ٧: ٢٢؛ حز ٣٩: ٤).

من الصعب في هذا النصّ تفسير الكلمة العبريّة "عَبدي"، أي "عبدي"، وتنسيبها إلى الملك نبوخذنصّر (أنظر أيضًا إر ٢٥: ٩ ؛ ٤٣: ١٠)، وذلك لأنّنا لا نعرف تاريخيًّا إذا كان نبوخذنصّر يستحقّ هذا اللقب مثل موسى وداود، ومثل عبد الربّ المتألّم عند أشعيا. والأكثر من ذلك، فإنّ إرميا نفسه في ٥٠: ١٧ و٥١: ٣٤ يستعمل صيغًا أخرى مناقضة، بحيث أنّه يصف شعب إسرائيل "بالغنم المشتّتة"، بينما ملك أشور أوّل من افترسهم، وملك بابل آخر من سحق عظامهم. هكذا فإنّ التفسير المقبول في هذه الحالة يعتبر نبوخذنصّر "عبد الربّ"، بمعنى أنّه أداة في يد الربّ يستعملها كما يشاء ليعاقب شعبه، كما فعل مع ملك أشور في أش ١٠: ٥-٢٠. إنّ المصطلح العبريّ "عِبْدْ"، أي "عبد"، في نصوص من الشرق الأدنى القديم وبعض النصوص

الكتابيّة (١ صم ٢٧: ١٢؛ ٢ مل ١٦: ٧) هو مصطلح يعني "الخاضع". كان من واجب الملك الخاضع أن يساعد سيّده بتوفير الأسلحة ومساعدته في الحروب، وهذا ما يطلبه الربّ من نبوخذنصّر كي يفعل في إر ٢٥: ٨-١١ و٤٣: ٨-٤٤: ١٤. كذلك فإنّ الربّ يضع حدًّا لسلطة الملك البابليّ الذي في الجملة التالية يوضح بأنّه سوف يحين يوم عقابه هو أيضًا. وبالإشارة إلى أش ١٠، فإنّ الملك البابليّ يجب أن يطيع فقط ما يطلبه الربّ منه دون أن يعبر حدوده، بينما في آ ٨ سوف يوضح إرميا بأنّ الربّ يعاقب بيد نبوخذنصّر من لا يخضع له، كما كان أيضًا ملك أشور عصا في يد الربّ ليعاقب شعبه في أش ١٠.

كان الربّ قد عاقب شعب مملكة إسرائيل في الشمال بواسطة الملك الأشوريّ سركون الثاني الذي كان في سنة ٧٢١ ق. م. قد دمّر السامرة وسبى شعبها إلى نينوى. وبعدها عاقب الربّ المملكة الأشوريّة لأنّها عبرت حدودها حسب نصّ أش ١٠، وذلك مع سقوط العاصمة نينوى في ٦١٢ ق. م.، والتي كان النبيّ ناحوم قد تنبّأ بها؛ شكّل ذلك سببًا في نشوء صراعات في المنطقة بين البابليّين والمصريّين للحصول على السلطة والسيطرة الكاملة، ولكنّ الربّ كان قد اختار الملك البابليّ هذه المرّة ليعاقب به شعبه.

كانت المعركة الحاسمة للنزاع حول السلطة سنة ٦٠٥ ق. م. في كركميش على نهر الفرات بين الفرعون نخو ٢ (٦٠٩-٥٩٤ ق.م.) وبين الملك البابليّ نابوبّولاصّر ١ (٦٢٥-٦٠٥ ق. م.)؛ اعترض يوشيّا، ملك يهوذا، الفرعون في مِجدُّو، فقُتِل فيها (٢ مل ٢٣: ٢٩؛ ٢ أخ ٣٥: ٢٠-٢٦)، وخلفه يوآحاز ابنه ملكًا في أورشليم، وبدّل اسمه يوياقيم. انتصر البابليّون في هذه المعركة على فرعون، وفرضوا سيطرتهم على كلّ المنطقة، ومن ضمنها أورشليم.

إستلم السلطة في بابل الملك الكلدانيّ نبوخذنصّر ٢ (٦٠٤-٥٦٢ ق.م.)، وحكم كلّ مملكة بابل الكلدانيّة الكبيرة. وبعد عدّة سنوات من حكمه، في سنة ٥٩٨ ق. م.، تمرّدت أورشليم على الملك البابليّ، فحاصر المدينة (٢ مل ٢٤: ٨-١٧؛ ٢ أخ ٣٦: ٩-١٠). ويروي سفر أخبار الأيّام الثاني كيف أنّ يوياقيم فعل الشرّ في نظر الربّ إلهه، فأرسل الربّ نبوخذنصّر ملك بابل إلى يهوذا، فاحتلّ أورشليم ونفى عددًا كبيرًا من سكّانها إلى بابل (٢ مل ٢٤: ١٤-١٦؛ إر ٥٢: ٢٨)، وأسر يوياقيم وقيدّه بسلسلتين من نحاس، وجاء به إلى بابل، ووضع بدلاً عنه يوياكين؛ وأخذ الملك البابليّ آنية من هيكل أورشليم ووضعها في قصره في بابل. كذلك يوياكين فعل الشرّ في عيني الربّ، وملك مئة يوم فقط، فأرسل نبوخذنصّر رسلاً إلى أورشليم، فجاؤوا إلى بابل بيوياكين، وبما كان في هيكل الربّ من آنية نفيسة، وأقاموا صدقيّا عمّ يوياكين ملكًا على أورشليم. كذلك هو عمل الشرّ في عيني الربّ، فقرّر الربّ تسليم أورشليم بيد الملك البابليّ. في سنة ٥٩٤ ق. م. تمرّد الملك صدقيّا ضدّ بابل، وذلك بمساعدة مصر، وشكّل حلفًا ضدّ بابل، فحذّره النبيّ إرميا من ذلك، ودعاه إلى الخضوع للملك البابليّ (إر ٢٧-٢٩)، لكنّه عاند الربّ إله إسرائيل وقسّى قلبه ولم يرجع إليه، فهرب البعض من أورشليم إلى مصر خوفًا من البابليّين، وأخذوا معهم إرميا وباروك قبل وقوع الكارثة (٢ مل ٢٥: ٢٦؛ إر ٤٢-٤٣). ولكنّ صدقيّا قرّر الاستمرار بمخطّطه، ممّا أدّى إلى ردّة فعل قويّة للملك البابليّ نبوخذنصّر ٢ الذي، في ذروة قوّته العسكريّة، حاصر أورشليم، ومن ثمّ احتلّها ودمّرها بصورة كاملة مع الهيكل في سنة ٥٨٧ ق. م. تمّ أَسْر الملك الهارب وقتْل أبنائه أمامه، ثمّ فقأ عينيه ونقله أسيرًا إلى بابل حيث مات بعد عدّة سنوات (إر ٥٢: ٣١). في ربلة تمّ إعدام الكثير من القادة اليهود (٢ مل ٢٥: ٢-٧؛ إر ٥٢: ٧-١١)، ونفي عدد كبير من الشعب إلى بابل (حسب إر ٥٢: ٢٩ كان المجموع الكلّيّ للمسبيّين أربعة آلالف وستّة مئة)، وعيّن جدليا حاكمًا على اليهوديّة.

هكذا بدأت الفترة المعروفة بالمنفى البابليّ للشعب اليهوديّ (٢ مل ٢٤؛ ٢ أخ ٣٦؛ إر ٣٩، ٤٦–٤٧، ٥٢)، والتي سوف تترك بصماتها المؤثّرة في تاريخ شعب إسرائيل القديم وفي إعادة تكوين الكثير من التقاليد اليهوديّة والكتابات البيبليّة وقصص خلق العالم. على الرغم من كونها فترة قصيرة، نصف قرن، إلاّ أنّها أثّرت كثيرًا على الشعب اليهوديّ: لأوّل مرّة يتمّ تدمير أورشليم والهيكل، والقضاء على سلالة الملك داود، وإبعاد الشعب من أرضه: بالنسبة إلى الشعب اليهوديّ في ذلك الوقت كان الله يهوه قد تركهم فريسة بأيدي الأعداء (مرا ٢)، وكان الإله مردوك قد سلّم كلّ الأرض بيد نبوخذنصّر لأنّه كان قد انتصر في كلّ حروبه وكان الأقوى. بينما إرميا كان يعتبر ذلك عدم طاعة الربّ والخضوع لأمره حين أرسله ليعلن لملك أورشليم بأنّ إرادة الربّ هي الخضوع لملك بابل، ولكنّ الملك تمرّد على أمر الربّ، فكان الهلاك له، ولشعبه السبي إلى أرض بابل. في أرض غريبة، كان شعب إسرائيل مجبرًا على المشاركة في الطقوس والممارسات البابليّة، خاصّة في احتفاليّة عيد أكيتو وقصّة خلق العالم "إنوما إليش" التي كانت تتلى أثناء العيد. الاحتفال في شوارع المدينة مع تمثال الإله مردوك، المنتصر في المعركة، أثّر كثيرًا على إيمان الشعب في المنفى. بهذه الطريقة اختبر الشعب اليهوديّ علاقته مع إلهه يهوه الذي كان يبدو أنّه ترك شعبه، على الرغم من أنّ أنبياء وكهنة المنفى كانوا يَعِدُونَ الشعب بتدخّل إلهيّ قريب، وبتحريرهم من المنفى والظلم والمعاناة، وهذا ما تحقّق في سنة ٥٣٩ ق. م.، مع احتلال بابل من قبل الملك الفارسيّ قورش، فوضع نهاية لفترة المنفى، وحرّر اليهود من بابل، وتحقّق وعد الله لإرميا بأنّه سوف يعاقب بابل، ويرجع آنية الهيكل إلى مكانها في أورشليم.

٧ **فتَخدمُه جَميعُ الأُمَم، وتَخدمُ ابنَه وابنَ ابنه، إلى أَن يَبلغُ أَوانُ أرضه أَيضًا، وتَستَعبدُه أُمَمٌ كَثيرةٌ ومُلوكٌ عُظَمَاء.**

في هذه الآية يتحدّث إرميا عن ثلاثة أجيال تشير إلى إر ٢٩: ١٠، حيثما يتمّ الكلام على "سبعين سنة". كما أنّ إرميا نفسه كان قد أعلن عن معاقبة ملك بابل بعد مرور "سبعين سنة" في إر ٢٥: ١٢–١٤ والتي تشير بوضوح إلى الفصول ٥٠–٥١. إنّ مصطلح "السبعين سنة" كقياس لخضوع إسرائيل لحكم البابليّين يتكرّر في العهد القديم ست مرّات: إر ٢٥: ١١–١٢؛ ٢٩: ١٠؛ زك ١: ١٢؛ ٧: ٥؛ دا ٩: ٢؛ ٢ أخ ٣٦: ٢١. بالإضافة إلى أنّه في أش ٢٣: ١٥، ١٧ يعد الربّ بالتعامل مع مدينة صور في نهاية "السبعين سنة"، كفترة تقابل فترة حكم الملك. يعطي مز ٩٠: ١٠ "السبعين سنة" كمقياس لحياة الإنسان التي يعيشها في الألم ولكنّها تمرّ بسرعة. الرقم "سبعون" الذي هو حاصل الضرب سبعة في عشرة هو رقم رمزيّ بمعنى مقياس الكمال في تك ٤٦: ٢٧؛ ٥٠: ٣؛ تث ١٠: ٢٢؛ قض ١: ٧؛ ١ صم ٦: ١٩؛ ٢ صم ٢٤: ١٥.

هذا الرقم يطابق زمنيًّا فترة دمار أورشليم والهيكل من قبل البابليّين، ولهذا فإنّه يصبح مهمًّا في العهد القديم. إنّه يبدأ من دمار الهيكل في ٥٨٦ ق. م.، إلى بناء الهيكل الجديد في ٥١٥ ق. م.، أو ممكن قياسها من انتصار الملك البابليّ في معركة كركميش واقترابه من أورشليم سنة ٦٠٥ ق. م. إلى احتلال بابل من قبل قورش سنة ٥٣٩ ق. م.

٢) سلبيّات متناوبة (آ ٨)

٨ **والأُمَّةُ والمَملَكَةُ الَّتي لا تَخدمُ نَبوخذنَصَّر، مَلكَ بابل، وكُلُّ مَن لا يَجعَلُ عُنُقَه تَحتَ نير مَلك بابل، فإِنِّي بالسَّيف والجوع والطَّاعون أَفتَقِدُ تلكَ الأُمَّةَ، يَقولُ الرَّبّ، إِلى أَن أُفنِيَها بيَدِه.**

هناك اختياران مقدَّمان للأمم في آ ٨ و ١١، إختيار عدم الخضوع لنبوخذنصّر سوف يؤدّي إلى الدمار. الويلات الثلاثة "سيف وجوع ووباء"، والتي تنتهي بالفناء، نجدها أيضًا في إر ٢٧: ١٣؛ ٢٤: ١٠؛ ٢٩: ١٧ (بالإضافة إلى ستّ مرّات أخرى في كتاب إرميا)،

هي موجّهة إلى سكان أورشليم. آ ٨ تركّز على دور نبوخذنصّر، ولكن في الوقت نفسه تبيّن بأنّ الدور الأساسيّ هو للربّ.

مصطلح "نير نبوخذنصّر"، المستعمل كثيرًا في نصوص من الشرق الأوسط القديم، يشير إلى استلام السلطة. وفي اللغة الأكّديّة يستعمل مصطلح "نيرو" بالمعنى نفسه، سواء مع "نير الملك" أو مع " نير الآلهة". في العهد القديم يستعمل "النير" كرمز للإشارة إلى سيطرة يعقوب على عيسو (تك ٢٧: ٤٠)، وسيطرة سليمان على قبائل الشمال (١ مل ١٢: ٤)، وفي التحرير من عبوديّة مصر (لا ٢٦: ١٣)، وفي حالة السيطرة الأشوريّة (أش ٩: ٣ ؛ ١٠: ٢٧ ؛ ١٤: ٢٥)، والسيطرة البابليّة (أش ٤٧: ٦ ؛ إر ٣٠: ٨ ؛ حز ٣٤: ٢٧). أمّا في كتاب إرميا فإنّ رمز "النير" مستعمل لتقديم خدمة لله، والتي يرفض الشعب تقديمها (إر ٢: ٢٠). ولكنّ النصّ الموازي في ٥: ٥ يوضح للشعب أنّ حمل "نير الربّ" يعني السير حسب إرادته والعيش حسب عدالة الربّ. هذا ما سوف يوضحه يسوع نفسه في العهد الجديد حينما يطلب من أتباعه أن يحملوا نيره لأنّه خفيف (مت ١١: ٢٨-٣٠).

٣) الحذر من الأنبياء الكَذَبَة (آ ٩-١٠)

٩ أمّا أنتم فلا تَسمَعوا لأَنبيائكم وعَرَّافيكم وحالِميكم ومُنَجِّميكم وسَحَرَتِكمُ الَّذينَ يُكَلِّمونَكم قائلين: إِنَّكم لا تَخدِمون مَلِكَ بابِل. ١٠ فإِنَّهم بالكَذِب إِنَّما يَتَنَبَّأُونَ لَكَم لكي تُبْعَدوا عن أَرضِكم، هكذا أَدفَعَكم فتَهلِكوا.

ثلاث مرّات يتكرّر إعلان النبيّ إرميا بالحذر من الأنبياء الكذبة في هذا الفصل (آ ٩-١٠ و١٤-١٥ و١٦-١٧؛ قارن أيضًا إر ٢٨: ١٥ و٢٩: ٨-٩). يتمّ هنا استعمال الشخص الثاني بوضوح في أسلوب المخاطبة المباشر، بينما كان يستعمل الشخص الثالث وصيغة غير شخصيّة في آ ٨ وكذلك في آ ١١. العبارة "إنّهم يتنبّأون باطلاً" (آ ٩أ) لها تفسير خاصّ في آ ٩ب، ولكنّ الرابط بينهما هو العبارة "سوف لا تخدمون ملك بابل"، بينما الإشارة إلى "الأرض" ليست واضحة، لأنّها تعتمد على آ ٨ وآ ١١ لتوضيحها. إذا كانت الشعوب لا تصدّق الرسل، فإنّها سوف ترفض الخضوع لملك بابل، وهكذا فإنّ الوعد في آ ٨ سوف يطبّق عليها. توضح آ ١٠ بأنّ هذا العقاب سوف يبدأ مع السبي إلى بابل، بعكس ما سوف يحدث للذي يخضع لها، بحيث يبقى في أرضه حسب الوعد في آ ١١. هكذا فإنّ آ ٩-١٠ تبيّن الفرق بين من يطيع ويحصل على الخلاص، وبين من يرفض ويحصل على الهلاك. خطر الأنبياء الكذبة يكمن في إبعاد الشعب عن سماع كلمة الله وتحقيق إرادته. النتيجة هنا هي السبي ثمّ الموت، بينما نبيّ الله هو الذي يحمل الشعب على سماع كلمة الله ثمّ الخلاص.

إيجابيّات متناوبة (آ ١١)

١١ أَمَّا الأُمَّةُ الَّتي تَضَعُ عُنُقَها تَحتَ نيرِ مَلِكِ بابِلَ وتَخدِمُه، فإِنِّي أُقِرُّها في أَرضِها، يَقولُ الرَّبّ، فتَحرُثُها وتَسكُنُ فيها.

العبارة الإيجابيّة تختم الإعلان الإلهيّ المرسل من قبل النبيّ. يُستعمل هنا الفعل في صيغة الشخص الثالث غير المحدّد للإشارة إلى كلّ أمّة تضع عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه حسب أمر الله، أي إنّها تخضع لإرادة الله فتنال الخلاص، الذي يتمثّل بالبقاء في أرضها والسكن فيها بسلام. هكذا تظهر مضادّة قويّة في النصّ تبيّن الفرق ما بين الذي يطيع والذي سوف يرفض، الخلاص لِمَن يطيع والهلاك لِمَن يرفض، البقاء في الأرض أو السبي بعيدًا عن الأرض.

ثانيًا: قول نبويّ لصدقيّا (آ ١٢-١٥)

١. مدخل، باستعمال الشخص الأوّل (آ ١٢أ)

١٢ وإِلى صِدقِيَّا، مَلِكَ يَهوذا، تَكَلَّمتُ بِكُلِّ هذا الكَلامِ قائلاً.

تبدأ آ ١٢ باستعمال الفعل بالشخص الأوّل حينما يتحدّث إرميا مع الملك صدقيّا ليبيّن العلاقة المباشرة

بين النبيّ والملك. وبما أنّه في حالة النبوءة فإنّ الله هو الذي يتكلّم بلسان النبيّ، والرسالة في هذه الحالة موجّهة مباشرة من الله إلى الملك دون الحاجة إلى مرسلين كما كان الحال مع ملوك الجوار. كان الملك صدقيّا قد فعل الشرّ في نظر الربّ كيوياقيم، وكان غضب الربّ على أورشليم وعلى يهوذا شديدًا، وتمرّد صدقيّا أيضًا على ملك بابل (أنظر ٢ مل ٢٤: ٢٥)، وكان الربّ قد أنذره على لسان إرميا، وها هو الآن يخاطبه مباشرة قبل وقوع الكارثة.

٢. الأمر بالخضوع لملك بابل (آ ١٢ب-١٣)

١٢ضَعوا أَعْناقَكم تَحت نيرِ مَلِكِ بابل، واخدموه مع شَعْبه فتَحيَوا. ١٣فلماذا تَموتُ أَنتَ وشَعبُكَ بالسَّيف والجوع والطَّاعون، كما تَكَلَّمَ الرَّبُّ على الأُمَّةِ الَّتي لا تَخدِمُ مَلِكَ بابِل؟

أفعال الأمر الثلاثة في النصف الثاني من آ ١٢ متّصلة مع بعضها منطقيًّا: "ضعوا، أخدموا، أحيوا". فعل الأمر الأوّل في اللغة العبريّة "هَبِيئُو"، الذي يعني "ضعوا أعناقكم"، يرتبط بعلامة – حدث إرميا في آ ٢ والإشارة إليه في آ ٨، حيث يظهر المصطلح للمرّة الأولى. فعل الأمر الثاني يفسّر الأمر الأوّل ومشابه له في اللغة العبريّة "عِبْدُو" والذي يعني "أعبدوا". أمّا فعل الأمر الثالث في اللغة العبريّة "حَيْو"، بمعنى "إحيوا"، يعتبر تأكيدًا ووعدًا لما سيحدث في حالة تنفيذ الأمر الأوّل والثاني. الصيغ نفسها سوف تتكرّر أيضًا في ٢٧: ١٧ و٢٩: ٥-٦. السؤال الذي يوجّهه النبيّ إلى الملك والشعب في بداية آ ١٣، "لَمّا"، أي "لماذا"، تعتبر مقدّمة لما سوف يحدث في حالة رفض الطاعة للأمر الأوّل والثاني، أي بمعنى: "وإلّا أنت وشعبك سوف تموت". الموت "بالسيف والجوع والوباء" في حالة عدم الخضوع لملك بابل هي الرسالة نفسها الموجّهة إلى ملوك الجوار، بحيث أنّ آ ١٣ب تشير بصورة واضحة إلى آ ٨. هكذا فإنّ القول الموجّه إلى صدقيّا يحقّق الوعد الذي صدر في بداية الآية. إنّ الأمر بالخضوع لملك بابل يعني الطاعة لإرادة الربّ وتعني الخلاص، وإلّا فإنّ الرفض يؤدّي إلى الموت. كان هذا أمر الربّ للشعب قبل الدخول إلى أرض الميعاد في سفر الخروج أثناء إبرام العهد: "ها أنا سأرسل أمامكم ملاكًا يحفظكم في الطريق ويجيء بكم إلى المكان الذي أعددته، فانتبهوا له، واسمعوا إلى صوته، ولا تتمرّدوا عليه، لأنّه لايصفح عن ذنوبكم، لأنّه يعمل باسمي؛ فإن استمعتم إلى صوته، وعملتم بكلّ ما أتكلّم به، عاديت من يعاديكم، وضايقت من يضايقكم" (إر ٢٣: ٢٠-٢٢)، "وإلّا فإنّ الربّ إلهكم إله غيور حاضر في ما بينكم، فإذا اشتدّ غضبه عليكم يبيدكم عن وجه الأرض" (تث ٦: ١٥).

٣. الحذر من الأنبياء الكذبة (آ ١٤-١٥)

١٤فلا تَسمَعوا لِكَلامِ الأنبياءِ الَّذينَ يُكَلِّمونَكم قائلين: لا تَخدموا مَلِكَ بابل، لأنَّهم إِنَّما بالكذب يَتَنَبَّأُونَ لَكم، ١٥لأَنِّي لم أُرسِلْهم، يَقولُ الرَّبّ، وقد تَنَبَّأُوا باسْمي كَذِبًا، لِأَدفَعَكم فتَهلِكوا أَنتُم والأنبياءُ الَّذينَ تَنَبَّأُوا لَكم.

هذه الآيات هي مطابقة لما هو موجود في آ ٩. الاختلاف هو في الإضافة المهمّة ضدّ الأنبياء: "أنا لم أرسلهم". الأمم المجاورة لا يهمّها إذا كان الأنبياء والمرسلون هم مبعوثون من قبل إله إسرائيل، لأنّهم لا يؤمنون به، ولهذا فإنّ هذا الأمر لا مبرّر له في هذه الآيات. العبارة الأخيرة في آ ١٥ تتضمّن بوضوح الحكم بالموت على الأنبياء أيضًا. الحكم على حننيا في ٢٨: ١٥-١٦ وشمعيا في ٢٩: ٣١-٣٢، اللذين لم يبعثهما الربّ يتحقّق في آ ١٥.

ثالثًا: أقوال نبويّة للكهنة والشعب (آ ١٦-٢٢)

١. مقدّمة باستعمال الشخص الأوّل (آ ١٦أ)

١٦ وإلى الكَهَنَةِ وكُلِّ هذا الشَّعبِ تكلّمت قائلاً.

كما كان الحال في مخاطبة الملك بالشخص الأوّل، فإنّ الرسالة الموجّهة إلى الكهنة هي أيضًا باستعمال الشخص الأوّل لكي يبيّن النبيّ بأنّ كلمة الله موجّهة مباشرة إلى كهنة الشعب الذين يخدمون الله ويقدّمون له

الذبائح باسم الشعب. كان الربّ قد اختار هارون وبنيه لكي يتكرّسوا كهنة لخدمة الربّ، وذلك منذ أن كانوا في البرّيّة بعد الخروج من مصر، فكان واجبهم خدمة الربّ وتقديم الذبائح (خر ٢٩؛ لا ٨).

٢. **الحذر من الأنبياء الكَذَبَة (١٦ب-١٧)**

١٦هكذا قالَ الرَّبّ: لا تَسمَعوا لِكَلام أَنبيائِكمُ الَّذينَ يَتَنَبَّأُونَ لَكم قائلين: ها إِنَّ آنِيَةَ بَيتِ الرَّبّ يُؤتى بِها مِن بابِلَ عن قَريب، فإِنَّهم إِنَّما بِالكَذِبِ يَتَنَبَّأُونَ لَكم. ١٧(لا تَسمَعوا لَهم، بل اخدموا مَلِكَ بابِلَ واحيَوا، فلِماذا تَصيرُ هذه المَدينَةُ خَراباً؟).

ينقل النبيّ كلمة الله إلى الكهنة مباشرة بحيث يبدأ بالقول النبويّ المعروف، "هكذا قال الربّ"؛ هذا يعني بأنّ ما يلي هو رسالة مهمّة جدًّا من الله تتعلّق ببيت الربّ وآنيته. كانت آنية الهيكل من ضمن خدمة الكهنة واهتماماتهم (خر ٢٥-٢٧)، والوعد بعودتها إلى الهيكل كان بالنسبة إلى النبيّ إرميا كذبة لا يتحمّلها. كان الغزاة قد أخذوا هذه الآنية، ليس بسبب قيمتها المادّيّة، ولكن لأنّها كانت ترمز إلى انتصار الإله مردوك بحيث كان له الحقّ أن يمتلك كلّ شيء ويظهر انتصارة على الآلهة الأخرى؛ ففي هذه الحالة على الكهنة والشعب أن يخدموا الإله المنتصر والذي يملك الآنية. عودة هذه الآنية إلى الهيكل يعني أنّ بابل قد تمّ تدميرها. حسب نصّ ٢ مل ٢٤: ١١-١٧ فإنّ كلّ آنية وخزينة الهيكل والقصر الملكيّ كان نبوخذنصّر قد أخذها في سنة ٥٩٧ ق. م.، ولكنّ إرميا في ٢٧: ١٨-٢٢ يشير إلى وجود بعض الآنية التي بقيت في أورشليم. نصّ ٢ مل ٢٥: ١٣-١٧ // إر ٥٢: ١٧-٢٣ يشير إلى بعض الآنية البرونزيّة المشار إليها في آ ١٩ كآنية تمّ كسرها وأخذها من قبل نبوخذنصّر في سنة ٥٨٦ ق. م. كذلك نصّ ٢ أخ ٣٦: ٧ و١٠ و١٨ يشير إلى بعض آنية الهيكل التي أخذت في الحالتين السابقتين. يمكننا إذن تحديد ثلاثة أنواع من آنية الهيكل:

١) آنية برونزيّة في بلاط الهيكل؛

٢) آنية ذهبيّة لقدس الأقداس؛

٣) آنية ذهبيّة ونحاسيّة في خزينة الهيكل، تتضمّن تلك التي أخذها ملوك يهوذا كغنيمة في حروبهم.

في حالة الحاجة إلى دفع جزية الحروب، فإنّهم سوف يدفعونها من خزينة الهيكل (٢ مل ١٤: ١٤؛ ١٦: ٨؛ ١٨: ١٤-١٥). هكذا فإنّ نبوخذنصّر في سنة ٥٩٧ ق. م.، أخذ آنية الهيكل من الخزينة ومن قدس الأقداس. وفي سنة ٥٨٦ ق. م.، أثناء احتلال بابل لأورشليم وتدمير الهيكل، تمّ نقل قطع البرونز الكبيرة من الهيكل إلى بابل. فقط آنية الذهب والنحاس المأخوذة من خزينة الهيكل سوف يتمّ إعادتها إلى أورشليم بعد السبي، وهي تلك التي نجدها عند عزرا ١: ٥-١١. يؤكّد إرميا للكهنة والشعب معًا على أن لا يسمعوا لأنبياء آخرين لم يرسلهم الربّ: "**لا تَسمَعوا لَهم، بل اخدموا مَلِكَ بابِلَ واحيَوا، فلِماذا تَصيرُ هذه المَدينَةُ خَراباً؟**". هذه هي رسالة الربّ الحقيقيّة الموجّهة إلى الملك والكهنة والشعب، والتي أرسلها من خلال إرميا النبيّ؛ من ينقل رسالة مخالفة لها فإنّه يُعتَبَر نبيًّا كاذبًا، وعلى الشعب أن لا يسمع له. إرادة الله هي الخضوع لملك بابل وخدمته لنيل الخلاص، ١٧فإنّ عدم طاعة الربّ يؤدّي إلى الخراب.

٣. **تحدّي الأنبياء وقول نبويّ بخصوص آنية الهيكل (١٨-٢٢)**

١٨وإِن كانوا أَنبياء وكانَت عِندَهم كَلِمَةُ الرَّبّ، فلْيَشفَعوا لَدى رَبِّ القُوَّات، لِئَلاَّ يَذهَبَ ما بَقِيَ مِنَ الآنِيَةِ في بَيتِ الرَّبِّ وبَيتِ مَلِكِ يَهوذا وفي أُورَشَليم إِلى بابِلَ. ١٩لأَنَّه هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات على الأَعمِدَةِ وعلى البَحرِ وعلى القَواعِدِ وسائِرِ الآنِيَةِ الباقِيَةِ في هذه المَدينة، ٢٠ممَّا لم يَأخُذْه نَبوخذنَصَّر، مَلِكُ بابِل، لَمَّا جَلا يَكُنْيا بنَ يوياقيم، مَلِكِ يَهوذا، من أُورَشَليم إِلى بابِل وكُلَّ أَشرَافِ يَهوذا وأُورَشَليم. ٢١هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل، ما بَقِيَ مِنَ الآنِيَةِ في بَيتِ الرَّبِّ وبَيتِ مَلِكِ يَهوذا وفي أُورَشَليم: ٢٢إِنَّه سيُذهَبُ بها إِلى بابِل وتَكونُ هُناكَ إِلى يَومِ افتِقادي لَهم، يَقولُ الرَّبّ: فأُصعِدُها وأُرجِعُها إِلى هذا المَكان.

يؤكّد إرميا بأنّ التشفّع والصلاة إلى الربّ هو من

مسؤوليّة الأنبياء، ولهذا فإنّه يتحدّى الأنبياء بأن يصلّوا، لا لكي تعود آنية الهيكل إلى مكانها، بل أن يصلّوا لكي لا يتمّ الاستيلاء على ما تبقّى من آنية الهيكل التي لم يتمّ الاستيلاء عليها بعد. ولهذا فإنّ إرميا يؤكّد أنّه في خلاف ذلك سوف يتمّ الاستيلاء على ما تبقّى من آنية الهيكل من قبل ملك بابل. بما أنّ إرميا نفسه لا يستطيع أن يتشفّع للشعب لأنّه قد مُنِع من ذلك في ١١: ١٤ و١٤: ١١–١٢، فإنّه يطلب من الأنبياء الآخرين أن يتضرّعوا إلى الربّ ويتشفّعوا للشعب. هذا هو التحدّي مع الأنبياء الآخرين. هكذا فإنّ الأمل في إمكانيّة بقاء الآنية في الهيكل يقابل الرسالة الموجّهة إلى ملوك الأمم الذين، إذا قدّموا الخضوع لملك بابل، سوف يبقون في أراضيهم. موضوع التشفّع في آ١٨ يقابله الموضوع الذي يشرح خطّة الله في آ٢١–٢٢. في هذه الحالة فإنّ الآنية الباقية في خزينة الهيكل والقصر سوف يتمّ نقلها إلى بابل. حكم الله القضائيّ سوف يتحقّق في السبي والذي يتضمّن أيضًا قولاً خلاصيًّا في نهاية آ٢٢ حيث أنّ الربّ سوف يعاقب بابل في الوقت المناسب، ثم يخلّص شعبه من المنفى بعد مرور سبعين سنة.

الخاتمة

نفهم من قراءة نصّ إر ٢٧ بأنّ النبيّ يقرأ علامة الزمن الذي يعيشه على مستوى المخطّط الإلهيّ. يحاول النبيّ تفسير كلمة الله وحملها لشعبه وملكه. على الرغم من ذلك، فإنّ النبيّ يلاقي صعوبة لنقل هذه الكلمة إلى الجميع لأنّ الملك يرفض السماع له، ويفضّل السماع لأنبياء كذبة. إرميا يعلن بأنّ إرادة الله هي الخضوع لملك بابل، وذلك لأنّه هو الذي أرسله وأعطاه السلطة على كلّ البشر والكائنات الحيّة والممالك. على الملك والشعب أن يثقَا بكلمة الله وبإرادته لكي ينالاَ الخلاص، وبخلاف ذلك فإنّ الهلاك لا مفرّ منه. في كثير من المرّات من الصعب فهم إرادة الله، وخاصّة حينما يطلب من شعبه الخضوع لسلطة خارجيّة: "ضعوا أعناقكم تحت نير ملك بابل". ولكنّ طاعة هذا الأمر تحدّد الحياة والموت بالنسبة إلى مَن يسمع. النبيّ يشرح للشعب بأنّ الربّ الخالق قد سلَّم كلّ شيء لنبوخذنصّر إلى حدّ تسميته "عبدي". إنّ الخضوع لملك بابل هو حقيقة تاريخيّة لا بدّ منها. ولكنّ هذه الفترة التاريخيّة بالنسبة إلى إله إسرائيل هي فترة محدّدة يختبر فيها مدى ولاء الشعب له وثقته به، لأنّه يعد بعدها بأنّه سوف يعاقب أيضًا ملك بابل ليحرّر شعبه من المنفى والظلم. هكذا فإنّ سلطة نبوخذنصّر هي سلطة معطاة له من الإله الخالق، والخضوع له يعني الخضوع لِمَن أعطاه السلطة التي يمارسها تاريخيًّا والتي ستكون فترة محدّد في التاريخ وليست أبديّة، لأنّ السلطة الأبديّة هي للخالق فقط.

كانت وصايا موسى الأخيرة للشعب هي الخضوع لأمر الربّ لنيل الخلاص، وعدم طاعته يؤدّي إلى الهلاك وفقدان الأرض لأنّه يقول: "أنظروا، ها أنا اليوم جعلت بين أيديكم الحياة والخير، والموت والشرّ؛ فإذا سمعتم كلام الربّ إلهكم الذي أنا آمركم به اليوم، وهو أن تحبّوا الربّ إلهكم، وتسلكوا في طرقه، وتعملوا بوصاياه وسننه وأحكامه، فأنتم تحيون وتنالون بركة الربّ إلهكم في الأرض التي أنتم داخلون إليها لتملكوها. وإن زاغت قلوبكم عنّي ولم تسمعوا لي، وضللتم وسجدتم لآلهة أخرى وعبدتموها، فأنا أخبركم اليوم بأنّكم تبيدون ولا تطول أيّامكم في الأرض التي أنتم تعبرون الأردن لتدخلوها وتمتلكوها، وأنا أُشهِد عليكم اليوم السماء والأرض بأنّي جعلت بين أيديكم الحياة والموت، والبركة واللعنة، فاختاروا الحياة لتحيوا أنتم وذرّيّتكم. أحبّوا الربّ إلهكم واسمعوا كلامه وتمسّكوا به، لأنّ به حياتكم وطول أيّامكم في الأرض التي أقسم الربّ إلهكم لآبائكم، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أن يعطيها لهم" (تث ٣٠: ١٥–٢٠).

المراجع

AHARONI Y., *The Land of the Bible: A Historical Geography.* Philadelphia: Westminster, 1967.

AUGUSTIN F., "Baruch und das Buch Jeremia", *ZAW* 67 (1955) 50–56.

BRIGHT J., *A History of Israel.*. Philadelphia*: Westminster*, [3]1981.

BRUEGGEMANN W., "At the Mercy of Babylon: A Subversive Rereading of the Empire", *JBL* 110 (1991) 3–22.

CARROLL R. P., *From Chaos to Covenant: Prophecy in the Book of Jeremiah*. New York: Crossroad, 1981.

HOLLADAY W. L., "Prototype and Copies: A New Approach to the Poetry-Prose Problem in the Book of Jeremiah", *JBL* 79 (1960) 351–67.

KEOWN G. L. - SCALISE P. J. - SMOTHERS T. G., *Jeremiah 26-52,* Word Biblical Commentary, Volume 27: (Dallas, Texas: Word Books, Publisher), 1998.

MALMAT A., "The Last Kings of Judah and the Fall of Jerusalem", *IEJ* 18 (1968) 137–56.

NOTH M., *The History of Israel.* New York: Harper and Row, [2]1960.

OVERHOLT T. W., "Remarks on the Continuity of the Jeremiah Tradition", *JBL* 91 (1972) 457[4].

PRITCHARD J., B., ed., *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.* Princeton: Princeton UP, [2]1955.

SCHREINER J., "Tempeltheologie im Streit der Propheten: Zu Jer 27 und 28", *BZ* 31 (1987) 1–14.

SEEBASS H., "Jeremia's Konflikt mit Chanania: Bemerkungen zu Jer 27 und 28", *ZAW* 82 (1970) 449–52.

WEINELD M., "The Loyalty Oath in the Ancient Near East", *UF* 8 (1976) 379–414.

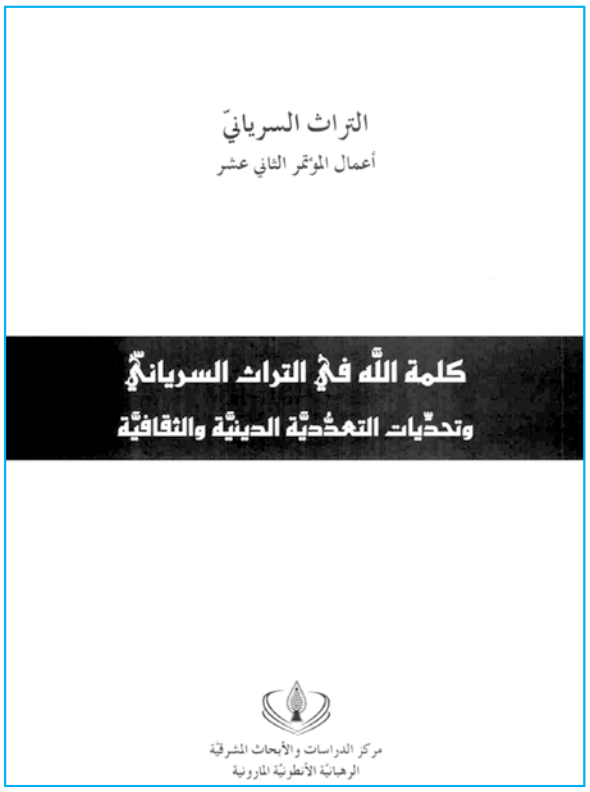
التراث السريانيّ
أعمال المؤتمر الثاني عشر
كلمة الله في التراث السريانيّ
وتحدّيات التعدّديّة الدينيّة والثقافيّة
مركز الدراسات والأبحاث المشرقيّة
الرهبانيّة الأنطونيّة المارونية

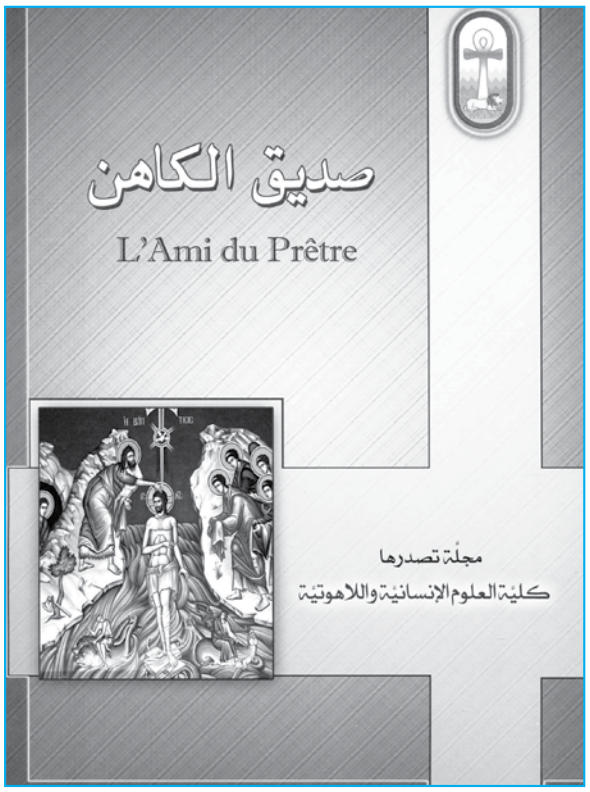
صديق الكاهن
L'Ami du Prêtre
مجلّة تصدرها
كليّة العلوم الإنسانيّة واللاهوتيّة

٤٩
ملفات الكتاب المقدس
بقلم عدد من اليسوعيين
هل لعلى الله
مركز الدراسات الكتابية
في يوبيله الفضي

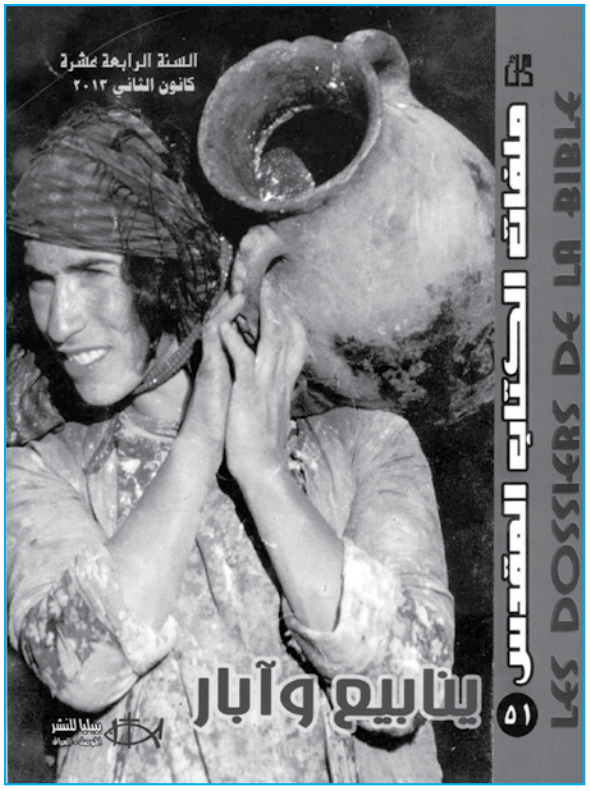
السنة الرابعة عشرة
كانون الثاني ٢٠١٣
٥١
LES DOSSIERS DE LA BIBLE
ينابيع وآبار

إر ٣٨: ١-١٣
إرميا يُطْرَحُ في الجبّ

الأخت روز أبي عاد
دكتوره في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

حوالى ٥٨٨–٥٨٧ ق. م. كانت الأمور تتهاوى في مملكة يهوذا؛ فالبابليّون حاصروا أورشليم ثم فكّوا عنها الحصار، ولكنّ خطرهم بقي محدقًا بالمدينة. ثلاث مرّات يستنجد الملك صدقيّا بالنبيّ إرميا ليتضرّع إلى الله حتّى ينقذهم من محنتهم، وربّما ليسمع منه ما يروق له. ولكنّ إرميا المفوّض من الله لإيصال كلمته، يأبى أن يحابي الوجوه. ولذلك، فمن جهة، يخيّم شبح الموت على أورشليم، ومن جهة أخرى، يهدّد شبحُ الاعتقال إرميا من قبل الرؤساء.

١ – الإطار المباشر

بين الفصلين ٣٧ و٣٨ توجد نقاط عدّة مشتركة: كلاهما دُوِّنا بالفنّ الأدبيّ السرديّ. ثمّ، بالنسبة إلى وضع إرميا، يبدو لنا وكأنّ الأحداث تتكرّر هي ذاتها، بحيث يبدأ الفصلان بالإشارة إلى حالته: هو حرّ ويوصل رسالته علنًا للشعب[١]. ثم يصبح ضحيّة مكيدة الرؤساء، الذين اعتقلوه بادئ ذي بدء في بيت يوناتان الكاتب (٣٧: ١٥)، وفي ما بعد، زجّوه في جبّ ملكيّا ابن الملك الذي في دار الحرس (٣٨: ٦). ومن النقاط المشتركة بين الفصلين ذكر "باب بنيامين"[٢]، حتّى ولو كان الكلام عنه في مناسبتين مختلفتين. من ناحية أخرى، يبرز دور الملك الإنقاذيّ، إذ يتدخّل وبفضله تُفَكّ قيود النبيّ. وأخيرًا، وبعد كلّ إنقاذ، ينفرد الملك صدقيّا بالنبيّ إرميا ليسمع من فمه الكلام من لدن الربّ[٣].

٢ – الشرح

آ ١:

يبدأ النصّ بذكر أسماء الرؤساء الأربعة الذين سيقفون بالمرصاد لإرميا لينالوا منه. شفطيا بن متّان، في العبريّة يعني اسم שְׁפַטְיָה، "الربّ يحكم (قضائيًّا)". لم يؤتَ على ذكره في أيّ مكان آخر، ولذلك لا نعرف عنه أيّ شيء سوى أنّه من الرؤساء، معاوني الملك في الحكم (آ ٤). ثمّ، جدليا بن فشحور، هو أيضًا غير معروف، ولكن

(١) رج إر ٣٧: ٤؛ ٣٨: ١.
(٢) رج إر ٣٧: ١٣؛ ٣٨: ٧.
(٣) رج إر ٣٧: ١٧؛ ٣٨: ١٤.

من الممكن أن يكون ابن فشحور الكاهن الذي جعل إرميا في المقطرة بعد أن سمعه يتنبّأ عن خراب مدينة أورشليم (إر ٢٠: ١–٣). ثمّ يوكل بن شلميا: كان الملك صدقيّا قد أرسله إلى إرميا، برفقة صفنيا بن معسيا، ليطلبا صلاة النبيّ (٣٧: ٣). وأخيرًا، فشحور بن ملكيّا: يعني الاسم מַלְכִּיָּהוּ "الربّ هو ملكي". هو أيضًا، سبق لصدقيّا أن ارسله إلى إرميا، ليتشفّع لدى الربّ من أجل شعبه، ويُبعد عنهم خطر نبوكدنصّر (إر ٢١: ١–٢).

كان الفصل ٣٧ قد انتهى بمشهد إرميا مقيمًا في دار الحرس، ولكن في هذه الآية (٣٨: ١) نرى أنّه بالرغم من إقامته تحت الحراسة، فإنّ حرّيّته الكاملة لم تُسلب منه، إذ ما زال بإمكانه أن يستقبل الشعب ويكلّمهم. أمّا صيغة الفعل المستعملة في العبريّة מְדַבֵּר، فهي اسم الفاعل لفعل דִּבֵּר على وزن فعّل، وهو يعني ليس فقط أنّه كان "يكلّم الشعب"، لا بل أنّه كان "يكرّر كلامه"، وقد يعني أنّه كان "يكثّف من حدّة كلامه"، وهذا ما تسبّب في ردّة فعل الرؤساء العنيفة تجاهه.

آ ٢:

الكلام الذي يتفوّه به إرميا هو بالواقع إعادة لخطاب سبق وقاله في ٢١: ٩؛ فالشعب الذي يزوره في دار الحرس يسمع الكلام نفسه الذي قاله للملك.

أمّا عبارة "يموتُ بالسّيف والجوع والطّاعون" فتدلّ على انعدام السلام، والتهديد المباشر بالحرب. نجد هنا تناقضًا كبيرًا بين ما يقوله سائر الأنبياء على أنّ الشعب لا يرى سيفًا ولا يحلّ به جوع (إر ١٤: ١٣، ١٥)، وما يقوله إرميا[٤]. وقد رأى هو ذاته بأمّ العين النتائج الوخيمة للسيف والجوع (إر ١٤: ١٨)، علمًا أنّ هذا الدمج بين السيف والجوع، وفي بعض الأحيان يضاف إليهما الطاعون هو من الأمور التي ترد بشكل مقولب في نبوءة إرميا[٥].

في القسم الأخير من آ ٢: "الذي يخرج إلى الكلدانيّين يحيا، وتكون له نفسه غنيمة فيحيا"، قد يفهَم أنّ إرميا يشجّع على الاستسلام أمام الأعداء، وهذا هو أمر مخزٍ للملك. ولكنّ صدقيّا لم يكن بعد قد نسي حين حاصر ضبّاط نبوكدنصّر أورشليم سنة ٥٩٧، فاتّخذ حينذاك الملك يوياكين وأمّه الملكة القرار بالاستسلام[٦]، ذلك لأنّ قرار التصدّي لملك بابل سيُلحِق به وبشعبه الكارثة. وعليه، فما يقوله إرميا لا يعني التحريض على الخيانة العظمى، بل دعوة إلى قراءة الأمور بواقعيّة واختيار الشرّ الأقل ضررًا. لكن سنرى في ما بعد أنّ صدقيّا ومستشاريه سيعبثون بأقواله وسيتكبّدون كلّ نتائج الاحتلال الوخيمة.

آ ٣:

مرّة جديدة، يكرّر إرميا ما ورد على لسانه، في ما يخصّ سقوط أورشليم بيد نبوخذنصّر[٧].

آ ٤:

يدلّ اسم الفاعل מְרַפֵּא الذي يُستعمَل على وزن فعّل على التشديد، ويعني أوهن أو ضعّف. أمّا عبارة "يُضعّف أيدي رجال القتال" فهي صورة بلاغيّة، إذ إنّ في القتال، كان يعوَّل كثيرًا على قوّة الأيدي. وعليه، أن يتّهم الرؤساء إرميا بإضعاف أيدي رجال الحرب، يُقصَد به أنّه يصرّ على إحباط معنويّاتهم[٨].

(٤) تشكّل أفكار إرميا صدًى لما ورد في نشيد موسى حيث يعد الربّ بأن يرسل السيف والجوع ومصائب أخرى جوابًا على خيانة الشعب له (تث ٣٢: ٢٤–٢٥).

(٥) رج إر ١١: ٢٢؛ ١٤: ١٢–١٣، ١٥–١٦؛ ١٦: ٤؛ ٢١: ٧، ٩؛ ٢٤: ١٠؛ ٢٧: ٨، ١٣؛ ٢٩: ١٨؛ ٣٢: ٢٤، ٣٦؛ ٣٤: ١٧؛ ٣٨: ٢؛ ٤٢: ١٦–١٧، ٢٢؛ ٤٤: ١٢–١٣، ١٨، ٢٧.

(٦) رج ٢ مل ٢٤: ١٠–١٦.

(٧) رج إر ٢١: ١٠؛ ٣٢: ٣؛ ٣٤: ٢، ٢٢؛ ٣٧: ٨؛ ٣٨: ١٨، ٢٣.

(٨) هذا وكان إرميا ذاته قد استعمل عبارة "إسترخت أيدينا" لدى بلوغه أخبار الاجتياح القريب لعدوّ مقبل من الشمال لمدينة أورشليم (إر ٦: ٢٤).

تشير عبارة הַנִּשְׁאָרִים בָּעִיר، "الباقين في المدينة"، إلى تكبّد خسائر جمّة في الأرواح، وإلى أنّ معنويات المحاربين الباقين منخفضة جدًّا. لهذا السبب، يعرف الرؤساء جيّدًا أنّ كلام إرميا سيلقى آذانًا صاغية في أواسط رجال القتال الباقين. بالمقابل يضغط الرؤساء بالقوّة على الملك للنيل من حياة إرميا. في عهد يوياكين كان الكهنة والأنبياء الذين طالبوا بموت إرميا (٢٦: ١١)، والآن يتّهمه الرؤساء بأنّه أفاد من وجود هؤلاء المقاتلين بالقرب من القصر وراح يخاطبهم بغية إقناعهم ليس فقط بالاستسلام إلى الكلدانيّين، بل أكثر من ذلك عليهم الاعتراف بالحقائق السياسيّة والعسكريّة. علمًا أنّ إرميا لم يقصد قطّ أن يحطّ من معنويّات رجال الحرب، فإذا عدنا إلى الوراء نرى أنّه عندما كان جيش ملك بابل يحاصر أورشليم، وكان حينئذٍ إرميا النبيّ محبوسًا في دار الحرس في بيت ملك يهوذا، إشترى حقلاً في عناتوت من أرض بنيامين، وكان شراء الحقل عملاً نبويًّا لأنّه ينتهي ببادرة خير وعودة إلى الأرض والسكن فيها بطمأنينة (إر ٣٢).

آ ٥:

"ها إنّه في أيديكم، لأنّ الملك لا يستطيع معكم شيئًا": ببساطة مخزية يسلّم الملكُ النبيَّ إلى نفوذ الرؤساء. كلامه خير دليل على أنّه مغلوب على أمره، فهو يعي تمامًا خطر إحباط العزائم، ولكنّه لا يريد أن يُطلق عقوبة الإعدام بحقّ إرميا (٢٦: ١٥)، لذلك يترك القرار بين أيدي الرؤساء.

بالإضافة إلى ضعف موقف صدقيّا، يمكننا من جهة ثانية أن نقول إنّه يقوم بحساباته الخاصّة؛ هو يطلق العنان لهؤلاء الذين يودّون إسكات إرميا، ولكنّه في الوقت عينه يحاول كسب الوقت، لكي لا ينتزعوا منه عقوبة الإعدام. إنّه هزيل إزاء معاونين مستبدّين. ويمكن أيضًا تفسير تصرّفه من قبيل المماطلة؛ إنّه نوع من التردّد الذي يؤدّي إلى تفاقم الأمور.

للمرّة الثانية في الفصلين ٣٧-٣٨ يبدو الملك وكأنّه لا يملك زمام الحكم، بل يهاب الرؤساء الذين يأخذون قرار سجن إرميا دون أن يستشيروه (٣٧: ١٥-١٦)؛ والأسوأ من ذلك، هو إنّه لا يجرؤ على التكلّم مع النبيّ علنًا بل سرًّا (آ ١٧).

آ ٦:

لقد سبق لإرميا أن قبع في السجن في "بيت يوناتان الكاتب" (٣٧: ١٥). وكان سجنه إذّاك يهدف إلى إلزامه أن يكفّ عن موقفه السياسيّ المناوئ لملك يهوذا، وإلى منعه من الإدلاء برأيه بحرّيّة. أمّا عندما ألقوه في جبّ ملكيّا ابن الملك الذي في دار الحرس[٩]، فكأنّهم نصبوا له فخًّا مميتًا، بحيث سيغرق في الوحل دون التمكّن بأيّ حيلة من الخلاص منه؛ فالآبار كانت كناية عن حفر عميقة، ذات فوهة صغيرة، ولذا، مَن يقع فيها أو من يُرمى فيها عن سابق قصد وتصميم، فمن المستحيل أن يخلص منها. أمّا خطورة خبثهم فتكمن في كونهم يعون أنّ إرميا سيلاقي حتفه في هذه البئر، ولكن لن تُلقى عليهم تهمة إراقة دم زكيّ.

"ولم يكن في الجبّ ماء، بل وحل": عادة الآبار التي كانت تفرغ من الماء، كانت تترك أثرًا من الوحل في قعرها، وهذا ما كان يحصل في نهاية فصل الصيف وقبل أن يبدأ المطر يتساقط، فغاص إرميا في الوحل[١٠].

(٩) بالنسبة إلى ملكيّا ابن الملك، لم يكن ابن صدقيّا الذي لم يكن له آنذاك من العمر أكثر من اثنين وثلاثين عامًا (رج ٢ مل ٢٤: ١٨). ولذا، لا ندري ابن أيّ ملك، إذ إنّ الملوك كان لهم أحرام كبيرة وأولاد كثر.

(١٠) بهذه الصورة عينها ستتغنّى النساء اللواتي سيُقتدن إلى رؤساء بابل قائلات عن صدقيّا: "أصدقاؤك الأحمّاء خدعوك وغلبوك، فغاصت رجلاك في الموحل، وهم انصرفوا عنك" (إر ٣٨: ٢٢).

وما يدلّ على نواياهم الشرّيرة، هو أنّهم أسرعوا في أخذ القرار، ثمّ إنّهم طمسوا فعلهم ولم يفصحوا للملك ما قاموا به، لأنّهم كانوا يعلمون أنّهم اتّخذوا إجراءات غير قانونيّة.

آ ٧–٨:

يلفت انتباهنا أنّ رجلاً كوشيًّا توسّط لدى الملك ليخلّص حياة إرميا، وأكثر من ذلك كان خصيًّا. السؤال الذي يطرح ذاته: كيف يمكن لعبد في البلاط الملكيّ، وهو غريب، أن يتدخّل في ما يخصّ القرار السياسيّ الذي اتّخذ بين الملك ورجال الدولة؟ من الجائز أن يكون رئيس حرم الملك المنوّه إليهنّ في آ ٢٢، وهو بالتالي يتمتّع ببعض النفوذ، كما يعرف جيّدًا أقسام القصر وبإمكانه الوصول إلى الأماكن الأكثر سرّيّة، أي إلى أسفل المخزن حيث يقبع إرميا (آ ١١).

وكان الملك جالسًا بباب بنيامين، لذلك خرج عبد ملك من القصر ليتكلّم معه. لا نعرف بالتدقيق أين يقع باب بنيامين، ولكن من الأكيد أنّ الملك كان يأتي إلى ذاك المكان لسماع الشكاوى وإصدار الأحكام[١١].

آ ٩:

لم يكن بمقدور عبد ملك أن يلوم سيّده، كونه هو الذي سمح للرؤساء بأن ينالوا من إرميا، ولكن كلّ ما كان بإمكانه فعله هو تجنيب العمل الانتقاميّ ضدّ إرميا، الذي يكاد يودي بحياته.

كان يكفي أن يقول "هو يموت جوعًا هناك" دون الحاجة إلى إضافة معلومات أنّه "لم يبق في المدينة خبز"، إذ إنّ إرميا في الجبّ سيواجه حتميّة الموت، لا محالة، أمّا خروجه منه، حتّى ولو كانت المدينة تعاني من الحصار ومن الشحّ في المآكل، فسيعطيه فرصة للبقاء على قيد الحياة.

آ ١٠:

بعد أن كان الملك قد جيّر كلّ سلطته لمعاونيه في الحكم، نراه الآن يستعيد صلاحيّاته لإحباط مؤامرة الرؤساء الذين أوكل إليهم مصير إرميا. لقد أثار الموظّف الحبشيّ حالة إرميا الحرجة، فما كان من الملك سوى أن أمر باستخراجه من البئر بأسرع ما يمكن.

يبدو العدد "ثلاثين رجلاً" مبالغ فيه قصد إخراج إرميا من الجبّ[١٢]. ربّما كان يهدف هذا العدد الكبير إلى التصدّي للرؤساء الأربعة الّذين نصبوا المكيدة لإرميا، أو ربّما كانوا بحاجة إلى هذا العدد بسبب الهزال الذي أصابهم من جرّاء الجوع.

آ ١١:

ليس من الضروريّ أن يقصد بعبارة בֵּית־הַמֶּלֶךְ "بيت الملك، القصر الملكيّ، بل بالحريّ بناء تابع لمجمّع القصر، وكان يستعمل كمخزن للأسلحة، أو للحبوب، أو للنبيذ، أو للزيت، وظاهريًّا للخرق البالية. كان عبد ملك يعرف جيّدًا الطريق المؤدّية إليه وتحته توجد غرفة خشبيّة؛ فالخزانة الملكيّة توجد عادة في القصر ذاته، ولا تحوي ثيابًا رثّة وخرقًا بالية.

آ ١٢:

من المحتمل أن يكون إرميا قد وضع الخرق البالية تحت الحبال التي تلفّ ظهره، إذًا استعملها كوسادة لئلاّ تمزّق الحبال جسده. يستوقفنا الفرق في معاملة الرؤساء الفظّة له حين "دلّوه بحبال" (آ ٦)، وبالمقابل معاملة عبد ملك له إذ يحاول تفادي أذيّته على الإطلاق.

آ ١٣:

"فرفعوا إرميا بالحبال، وأخرجوه من الجبّ". لقاء إنقاذه لإرميا سيخلّص الربّ عبد ملك من الاجتياح، فلن

(١١) رج ٢ صم ١٥: ٢–٦.

(١٢) على كلّ حال، فالترجمة الحرفيّة لعبارة שְׁלֹשִׁים אֲנָשִׁים هي "ثلاثون رجلاً"؛ من هنا نلاحظ خللاً ما في هذه العبارة غير الصحيحة نحويًّا.

يسقط بالسيف، ذلك لأنّه توكّل على الربّ (٣٩: ١٥–١٨).

أمّا الرؤساء الذين لحقت بهم الإهانة، فسينتهي دورهم ويضمحلّون عن الساحة دون أن يملكوا أيّ نفوذ في ما بعد (آ ٢٤–٢٧).

خاتمة

في إر ٣٨: ١–١٣، تمكّن الرؤساء حقًّا من تكبيل النبيّ ومن النيل من حرّيّته، ولكنّهم عجزوا عن تكبيل كلمة الله، فما إن انتُشل إرميا من الجبّ، حتّى بادره الملك صدقيّا ليسمع منه كلمة الله، وها هو يقولها له كما ائتُمن عليها؛ فقد عانى المشقّات واحتمل القيود كمجرم، "ولكنّ كلمة الله ليست مقيّدة"، ولا يمكن لأيّ قدرة أن تقيّدها[١٣].

في كلامه إلى الرؤساء: "ها إنّه في أيديكم، لأنّ الملك لا يستطيع معكم شيئًا" (إر ٣٨: ٥)، بدا صدقيّا حقًّا وكأنّه يلعب دور بيلاطس البنطيّ الذي غسل يديه من دم الصدّيق (مت ٢٧: ٢٤). لقد راوغ حقًّا إزاء أخذ القرار الذي تعود إليه وحده مسؤوليّة البتّ فيه، فظهر غير مسؤول وجبان.

في طرح الرؤساء لإرميا في البئر الفارغة، نعود بالذاكرة إلى المشهد ذاته، يوم تآمر إخوة يوسف بن يعقوب عليه وطرحوه في أحد الآبار، لأنّ نار الحسد والضغينة كانت تلتهمهم. الأسوأ في هكذا تدبير، أنّ المجرمين لا يتحمّلون عقوبة إراقة الدماء، بحيث هم لم يقتلوا الضحيّة، بالرغم من أنّهم هم الذين أودوا بها لتموت وتركوها تحتضر ببطء. ولكن ألم يقرأ هؤلاء أنّ الربّ يسبر الإنسان ويعرف جلوسه وقيامه، هو يفطن لأفكاره من بعيد، فلا شيء يخفى عليه، لأنّ كلّ شيء تحت ناظريه، هو فاحص القلوب والكلى[١٤]. هم حاولوا أن يسكتوا صوت النبيّ بدم بارد، ولكنّ صوته هو صوت الله، الذي تعجز أيّ قوّة فيّ العالم أن تطمسه.

في توسّط الخصيّ لإنقاذ إرميا من الموت، نرى حلقة من سلسلة تدخّلات إنقاذيّة لأناس غير يهود في سبيل المختارين من الله؛ فراعوت الموآبيّة أنقذت نسل أليملك من الانقراض، لا بل سيخلَّد ذكرها في نسب يسوع المسيح (مت ١: ٥)، وقورش الفارسيّ سيكون أداة حسنة في يد الله إذ سيتمّم كلّ ما يشاؤه وسيدعى مسيح الربّ[١٥]. وفي هذا الإطار يندرج مثل السامريّ الصالح الذي أعطاه يسوع في العهد الجديد (لو ١٠: ٢٩–٣٧)؛ فإذا كان الربّ يعاقب شعبه بشعب غريب، كما هي الحال في نبوءة إرميا، ولكن في الوقت عينه، هو يخلّصهم بهم أيضًا.

يدهشنا التباين بين موقفَي صدقيّا الملك وإرميا النبيّ؛ ففي حين أنّ صدقيّا الذي يريد أن يحيا، يذهب إلى الموت المحتوم لقاء عدم وضع ثقته في كلام الله، فإرميا الذي وثق بالله وسلّم له حياته سينجو من مكايد كثيرة ضدّه كما سيخرج آمنًا من حصار أورشليم.

أخيرًا، طيلة حياته عاش إرميا منعزلاً، مكرهًا، مضطهَدًا. كانت كلمة الله عنده ذات قوّة لا تضاهى، وقد عجزت السلطات الأرضيّة عن إسكاته. في مغامراته النبويّة، دخلت عدّة مرّات كلمة الإنسان في خصام مع كلمة الله، ولكن في النهاية الغلبة لله ولكلمته. ألا نجد في مراحل حياة إرميا تسبيقًا لأهمّ الأحداث التي ستواجه يسوع، إذ ستتآمر عليه السلطات الدينيّة لتنال منه ولكن دون أن تعي أنّ الكلمة الأخيرة في منطق الله هي للقيامة بعد أهوال الموت.

(١٣) رج إر ٣٨: ١٧–١٨؛ ٢ تم ٢: ٩.
(١٤) رج مز ٧: ١٠؛ ١٣٩: ١–١٦.
(١٥) رج أش ٤٤: ٢٨؛ ٤٥: ١–٨؛ عز ١.

مراجع

LUNDBOM Jack R., *Jeremiah 3752-, A New Translation With Introduction and Commentary*, New Haven, London, Yale University Press, 2008.

MARTENS E. A., *Jeremiah*, Scottdale, Pa., Herald Press, 1986.

McKANE William, *A Critical and Exegetical Commentary on Jeremiah*, Edinburgh, T&T Clark International, 1986.

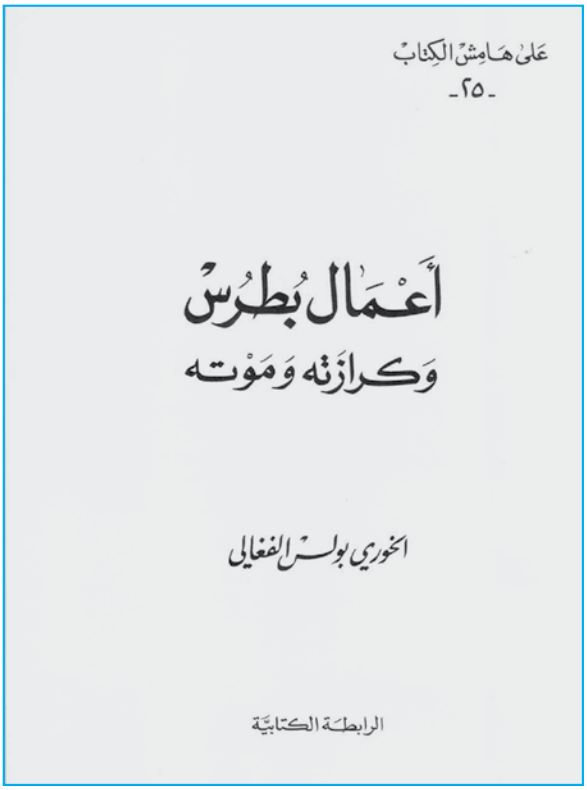

إيشوعداد المروزيّ
حول العهد القديم
تفسير الطوباويّ إرميا النبيّ

الخوراسقف بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

المقدّمة

وأيضًا أكتب تفسير الطوباويّ إرميا النبيّ، الذي (ألّفه) أيضًا قدّيس الله إيشوعداد[1] من حداثة (أو: الحديثة، على نهر دجلة)، ربّنا ساعدني بمراحمك آمين.

بدأ إرميا نبوءته من سنة ثلاث عشرة للملك يوشيّا حتّى نزل اليهود إلى مصر بسبب قتل جدليا، فامتدَّ زمن نبوءته أربعين سنة. وكلُّ نبوءته كانت على بيت يهوذا، لأنَّ الأسباط العشرة سباهم الأشوريُّون من السنة السادسة لحزقيّا وتسع لهوشع بن إيلة، أي قبل اثنتين وتسعين سنة على نبوءته.

بعد سبي أورشليم الكامل في السنة الحادية عشرة لصدقيّا، حين سبى نبوزردان صدقيّا وسكّان أورشليم، أنزلوا أيضًا إرميا معهم وهو أسيرٌ في القيود لدى ملك بابل، في ربلة. فعندئذٍ (سبق) وأُسر بيد أبناء شعبه إذ قالوا له: أنت هارب لدى ملك بابل. وإذ رآه الملك، حلَّه (من قيوده) ووهبه هبات كثيرة وقال له: "إمضِ إلى كلِّ موضع ترغبُ أن تمضي إليه". وأخذ معه تابوت الشهادة وعاد إلى أورشليم. وطمر التابوت وما عُرف (أين هو) حتّى يومنا. وإذ نزل اليهود إلى مصر، أنزلوه معهم وهناك رجموه. وألقى الكهنة نار القدس (أو: النار المقدَّسة) في الجبِّ لئلاَّ ينجَّس من قبل البابليِّين. وبعد أن عادوا من السبي، وازدهرت المدينة وبُنيَ البيت (= الهيكل) وترتَّبت كلُّ الأغراض (الضروريَّة) للذبيحة، رشَّ الكهنةُ من وحل هذا الجبِّ على الذبائح، وفي الحال اشتعلت النار من هذا الوحل. عرَّف هذا عزرا الكاتبُ في كتابه.

هناك الذين قالوا: "إرميا هو من كتب نبوءته". وآخرون قالوا: "باروك". وحين كُتِبَتْ مرَّة أولى، أوقدها (أحرقها) يوياقيم، فعاد وكتبها كما أمرَ الله.

ومع أنَّ المعرفة التي ترى كلَّ شيء هي عارفة (بروح الجدال) في الشعب، فتعتبر أقوال الأنبياء على أنَّها نافلة، إلاَّ أنَّها كانت محنة لوجدان اليهود الشرِّير. وكانت أيضًا مفيدة جدًّا ومطلوبة لنتعلَّم معرفة البشر والملائكة ولنكتشف استقامة برِّ دينونة الله العادلة؛ فالبشر والملائكة لم تكن لهم المعرفة المسبقة، التي

(1) Ceslas VAN DEN EYNDE, *Commentaire d'Išo'dad de Merv sur l'Ancien Testament,* Louvain, 1972 (CSO 328-329Syr/146-147). Pour Jérémie, p. 1-38/1-43.
إيشوعداد المروزيّ. توفّي سنة ٨٥٠ تقريبًا. فسّر العهد القديم كلّه مستندًا إلى البسيطة، كما عاد أحيانًا إلى الهكسبلة الأوريجانيّة.

بها لا يحتاجون، بواسطة الأمور الجليّة، أن يتعلّموا شرور اليهود، ولا رحمة الله الداعية لهم ولا برّ عدله المعاقب لهم. ولهذا تكلّم النبيُّ أيضًا، مرارًا، على هذين الخيارين الاثنين: فإن تابوا يُمنَع عنهم السيف والسبي، وإلاّ تدركهم الشرور.

الإصحاح الأوّل

١: ٥ قبل أن أصوّرك في الحشا. ليس بالنسبة (إلى النبيّ) وحده، ولا بالنسبة إلى (أناس) آخرين، عرف الله من قبل أنّهم يأتون إلى الوجود، لكن لأنّ (إرميا) كان عتيدًا أن يسأل (أو يرفض) بعد ذلك عن عمل النبوءة، استبق الله وبيّن له أنّه ما اختاره صدفة، ولا كأنّه عارفٌ من الآن أنّه خليق بالنبوءة، أرسله لدى الشعب، ولكن، حقًّا، لكي يقتنع (إرميا) أنّ تكوينه وتركيبه هما من أجل النبوءة إذ أخجله (الله) بهذا (الكلام) لئلاّ يماحك قبالة من هو مجده وجابله، بل يستمع (= يطيع) لما فيه فائدة له ولشعبه، وبعد ذلك (فائدة) الناس كلّهم.

وهذه: **قدّستُك**، أي ميّزتك.

١: ٩ وهذه: **فمدّ يده وقرّبها من فمي**، لكي يتعلّم (إرميا)، بواسطة يد جسميّة (حز ٨: ٣) أنّه اقتبل قوّة لا تُرى ولا تُغلَب لكي يقدر أن يقف قبالة شرّ أبناء شعبه. وكذلك قرّب (الله) الجمرة من أشعيا (٦: ٦)، وأعطى حزقيّال أيضًا دَرْجًا ليأكله (٢: ٨؛ ٣: ٣). وعلى الرسل أحلّ ألسنة من نار (أع ٢: ٣)، وعلى ربّنا شبه حمامة (لو ٣: ٢٢). قرّبها (= اليد) من فم (إرميا) ليعرف أنّه يغلب بالكلمة الناسَ كلّهم. ومثل هذا قال ربّنا أيضًا: "أنا أهبُ لكم فمًا وحكمة"، إلخ (لو ٢١: ١٥).

١: ١٠ وهذه: **أسلّطك على الشعب والشعوب.** هذه تشبه: "إمضِ، إسْمَعْ حزائيل على أدوم" (بل أرام؛ ١ مل ١٩: ١٥)؛ فهو ما كان سلّط النبيّ (إيليّا) على الشعوب. **للقلع.** يتكلّم عن السبي، **للغرس** (يتكلّم) عن العودة.

١: ١١-١٢ هذه: **اللوز.** وهذه: **وأسرع**، والباقي. لأنّ طبيعة اللوز حامية، فيسبق الأشجار الأخرى فيبرعم. أعني: الشرّ يُسرع في المجيء بيد البابليّين على أورشليم قبل جميع الشعوب.

١: ١٣ هذه: **وجهه من الشمال.** لا أنّ للقدر وجهًا، لكن قال، انطلاقًا من بابل، أنّ القدر الموضوعة في الشمال تلتهب، أو تكسوها النار والشرّ. بواسطة **القدر** أشار إلى أورشليم وسكّانها.

* * *

٢: ١٠ كتيم (ك ت ي م): اليونان.

٢: ١٣ جبب مشقّقة، أي: مكسّرة. يدعو الأصنام هكذا، لأنّ لا فائدة فيها

٢: ١٤ وإذ هزئ بهم كما (يُهزَأ) بالمجانين، قال: **ألعلّ إسرائيل عبدٌ**، والباقي؛ ففي الكتب، لا يُقال "العبد" فقط بالنسبة إلى الجسد، ولكن أيضًا بالنسبة إلى الوجدان والسلوك الشرّير، أي: لو لم يكن (إسرائيل) عبدًا بوجدانه وبعمله، لما كان سُبيَ وسُلِبَ. ومع أنّه "مولود البيت" يُقال له أيضًا "عبد". وُضعت هنا (تسمية) الابن قبالة العبد، أي كما صنع (إسرائيل) نفسه عبدًا للأصنام، صار عبدًا للبابليّين.

٢: ١٥ الأسود. البابليّون.

٢: ١٦ ممفيس وتمفيس. هما مدينتا المصريّين. وهذه: **رأس، رأس** (أو: كلٌّ رأس، كلٌّ رئيس)، أي يسبونك ويأخذون منك الرؤساء. بما أنّ المصريّين بدأوا وسبوا منهم: فرعون الذي قتل يوشيّا واقتاد يوآحاز إلى مصر.

٢: ١٨ شيحور والنيل وجيحون. واحد هو **مياه النهر.** الفرات ودجلة. عرّفنا بواسطة هذه (الكلمة) على استغاثتهم بالمصريّين وبالأشوريّين. وتُشبه هذه: "وأيضًا إلى أشور يحملون الهدايا إلى ملك يرب" (هو ١٠: ٦). وتشبه هذه: "يحملون على ظهر الجحاش غناهم" (أش ٣٠: ٦). هذا توبيخ واحد من ثلاثة أنبياء. يبدو، أنّه في هذا الوقت بعد، لبث قائمًا ما تبقّى من مملكة الأشوريّين.

٢: ١٩ هذه: **توبتك توبّخك**، أي تلومك وتذنّبك، لأنّك ما كنت (تائبة) بالحقيقة لكن بالاستخفاف.

٢: ٢٠ هذه: **كسرتِ نيرك وربطك** (قطعتِ)، أي

المصريُّون الذين استعبدوكم بقساوة.

٢: ٢١ **مثل جفنة غريبة**، أي مثل جفنة عبيَّة، متمرِّدة على الفلاَّح وعلى الثمار، ومحبَّة التشبُّه بالأشجار الغريبة.

٢: ٢٢ **النطرون**، أي البورق. هو ما يبيِّض الثياب. اليونانيّ، **إذًا تغتسلون بالنطرون وتُكثرون**.

الإصحاح الثاني

٢: ٢٣ (انطلقَ) من **بعل** واحد، فتكلَّم عن جميع الأصنام.

٢: ٢٤ **تنشَّقت الريح مثل ابن آوى**. قال: مثل ابن آوى الذي (يرى) أبناءه مقتولين من يقف على تلَّة ومن بعد أن يخدش نفسه، يتنشَّق بعد ذلك الهواء ليفرِّج عنه. هكذا تتخدَّشون قدَّام الأصنام فلا تفيدكم. ولهذا من يقدر أن **يميل** بالشرِّ الآتي عليكم؟ وأيضًا من يقدر أن **يعيدكم** إلى الحقيقة؟

٢: ٢٥ **إمنعي رجليك من الحفى**، إلخ، أي أتركي الفجور الذي به تكونين عريانة وتبقين حافية قدَّام الشياطين. وامنعي حلقك، أي نفسك العطشى إلى راحة الشياطين – قبل أن تمضي حافية قدَّام السابين وتنفسدي بالجوع والعطش.

٢: ٣٠ هذه: **أكل السيف أنبياءكم**، أي الأنبياء الدجّالين، مثل أخاب بن تولايا وصدقيّا بن معسيا اللذين قلاهما نبوخذنصَّر بالنار (إر ٢٩: ٢١–٢٢).

٢: ٣١ **برِّيَّة وأرض عطشى**. (هكذا) دعا الأصنام التي لا قوَّة لها ولا ثمار.

٢: ٣٣ **كيف أتقنتِ طرقك**. عرَّف بهذا (الكلام) أنَّهم ما سألوا المراحم من كلِّ قلبهم.

٢: ٣٤ **ما وجدتهم في ثلمة**، أي هم ما خطئوا في مخبأ، وسجدوا للشياطين مثل سرَّاق يثقبون الجدران ويسرقون خفية، لكن بجلاء وتحت كلِّ شجرة.

٢: ٣٦ **لماذا تهتّكت كثيرًا واستعدْتِ طرقك؟**، أي كيف عدت وبسطتِ طرقك وانطلاقك باتِّجاه المصريِّين وتبيعين شخصكِ للعار والاحتقار؟

* * *

٣: ١ هذه: **زنيت برعاة (كثيرين)**، أي بالأصنام والشياطين الذين بحسب ظنون عابديهم هم قوَّاد ومدبِّرون، كما الله يُدعى الراعي (مز ٨١: ١).

هذه: **إذا طلَّق رجل امرأته**...، إلخ، تُقال في الناس على زنى في الجسد، أمّا هنا فعلى فجور الوجدان. في الكتب، كلُّ خائفي الله يُشار إليهم في وجه امرأة بسبب إيمانهم بالله، ومعروف أنَّه بالنسبة إلى الالتصاق يكون الكلام على الفجور والزنى، إن على مستوى الجسد وإن على مستوى النفس. أيا رحمة الله! فقال: أن تعودي إليَّ بالحقيقة، لن أرذلك لأنَّك تستحقِّين، بل أُهمل، في الساعة، ما أمرتُ في الناموس وأعود إليك وأعتني بك.

٣: ١١ هذه: **صدقت نفس ساكنة إسرائيل**، إلخ، أي نكتشف من أعمالهم أنَّ أولئك الذين سُبوا إلى أشور كانوا أكثر صدقًا من هؤلاء الذين تتنبَّأ الآن عليهم. وتُشبه هذه: "رجال نينوى يقومون...، والباقي" (مت ١٢: ٤١؛ لو ١١: ٣٢).

٣: ١٢ هذه: **إمضِ اكرز بهذه الأقوال في الشمال**، أي: في أشور، لا أنَّ الربَّ يرسله ليكرز لدى هؤلاء الأسباط العشرة الذين في أشور، إذ يمضي إليهم بجسمه، لكن فقط بنبوءته. ومثل هذا الفكر وُجد كثيرًا في الكتب، ما عدا ما يتعلَّق بيونان.

٣: ١٥ **رعاة بحسب قلبي**، أي يشوع الكاهن وزربَّابل.

٣: ١٦ بواسطة **تابوت** (الشهادة) الذي قال عنه: **لا يتذكَّرونه**، والباقي، بسبب عظمة (أحداث) العودة، حسبَ كلَّ (الأحداث) السابقة لأنَّ الأسفار التي رُسِمَتْ فيها هذه (الأحداث) السابقة كانت موضوعة فيها (رج تث ٣١: ٢٤–٢٧). ولأنَّ (أحداث) العودة ستكون مدهشة، بحيث إذا قابلناها مع تلك التي حصلت في الخروج من مصر، إلخ، سوف تتفوَّق عليها. وأيضًا ليبيِّن أنَّه إنَّ التابوت الذي هو محلّ الله يُحتقَر ولا يُطلَب، فكَمْ بالأحرى لا تستعمل بعد سائر (أغراض الماضي المقدَّسة).

الإصحاح الثالث

٤: ٣ أنيروا لكم سراجًا. دعا **السراج** نور المعرفة، **والأشواك** الأصنام التي تشبه الأشواك المؤذية والتي لا ثمر فيها، "وتحرمكم من غلاَّت شغلكم، من حياة النفس والجسد، من الله"، إلخ.

٤: ٩ هذه: الكهنة يندهشون والأنبياء يتعجَّبون. من الواضح أنَّه لا (إرميا) ولا أنبياء آخرون عرفوا قوَّة وجدان الذين كانوا يتنبَّأون.

٤: ١١ ريح تائهة. دعا هكذا (الريح) التي تصنع دورانًا فتُدعى "عاصفة"، فتَرفع وتطرد كلَّ ما هو خفيف – قابل (النبيّ) الأصنام بالزوابع والعواصف؛ فكما أنَّها لا تميِّز التبن من الحنطة، هكذا الأصنام أيضًا لا تفيد عابديها.

٤: ١٢ روح مملوء أكثر من روحهم. يتكلَّم النبيّ عن نفسه: أنا اقتبلتُ من الإله الحقّ روحًا مملوءًا من موهبته ومكمَّلاً بشكل أفضل من روح الباقين. وتشبه هذه (الكلمة) كلمةَ ميخا: "أنا مملوء من قوَّة روح الله" (مي ٣: ١٨).

٤: ١٩ هذه: **أمعائي** (أو: أحشائي) **توئلمني وأنياطي** (قلبي)؛ فبهذه العتيدة أن تؤلم، استبق النبيُّ وصار مريضًا، فبيَّن بهذه (الكلمة) آلامهم. وبواسطة هذه الأجزاء الثلاثة بيَّن أيضًا الترتيبات والدرجات التي تميِّز أولئك الذين يمسكون الشعب كلَّه، على مثال القلب والأمعاء والأنياط التي (تمسك) الجسد كلَّه. دعا **الأمعاء** الجيوش الموضوعة بشكل طعام لقيام المملكة كلِّها. على مثال الأمعاء التي بها يتعلَّق بإطعام الجسد. **والأنباط** هي العظماء، الذين يميِّزون ويقرِّرون كلَّ شيء في الشعب. **والقلب** هو الملوك الذين هم في الوسط ويمسكون هؤلاء وأولئك على مثال القلب الذي فيه تسكن النفس كما (كُتب) مع الفلاسفة والأطبّاء يقولون إنَّها في المخّ. وبهذا يعرِّفنا بالألم الذي يدركهم كلُّهم بيد البابليِّين. مثل (كلمة) أشعيا: "الرأس كلُّه في الألم"، والباقي (١: ٥). وعلى الأشوريِّين (قال): "من رأسه حتَّى شعر رجليه، وينتزع له ذقنه" (أش ٧: ٢٠). دعا الرجلين الجيوش، والذهن العظماء، ورأسه موت الملك نفسه؛ فإن كنت تأخذ هذه الأجزاء الثلاثة بالنسبة إلى الأنبياء والملوك والقضاة والكهنة، لا تعرجُ (أي: تكون مصيبًا).

٤: ٢٣-٢٤ هذه: **(نظرت) السماوات ونورها لا وجود له والجبال ارتجفت.** وكذلك قال أشعيا بالنسبة إلى لذَّة العودة: "يكون نور القمر مثل (نور) الشمس، و(نور) الشمس سبعة أضعاف، في اليوم الذي يضمِّد الربّ" (أش ٣٠: ٢٦) والباقي. هكذا هنا تكلَّم (إرميا) بسبب ضيقات السبي، والباقي.

٤: ٢٦ من **الكرمل**، كجزء تكلَّم على الأرض كلِّها.

٤: ٣٠ هذه: **إذ تلبس ثياب القرمز**، والباقي، أي على مثال زانية تتزيَّنين لكي يحبُّوك أكثر. والآن، في السبي، لا يعينونك.

* * *

٥: ٦ دعا الأعداء الأسد من الغابة بسبب قوَّته، **وذئاب المساء** بسبب جرأتها، **والنمور** بسبب خفَّتها.

٥: ٨ شبق. هائج. **عهر.** مجنون ومشحون بالشهوة.

٥: ١٣ هذه: **ليكن الأنبياء للزوبعة**، أي يلغون ويحتقرون الأنبياء الحقيقيِّين على أنَّهم مدجِّلون. قالوا: "ليُحمَلوا كما في زوبعة ويبيدوا". مثل هذه، (الكلمةُ) التي قيلت بفهم أبنائهم لإليشع: "إصعدي، يا زوبعة" (٢ مل ٢: ٢٣).

الإصحاح الرابع

٥: ١٥ هذه: **شعب من الدهر**، أشار إلى قدم مملكة البابليِّين وقساوتها، إذ هي انتقلت مملكتهم من نمرود، أوَّل الملوك.

٥: ١٧ هذه: **يأكل بنيك وبناتك**، لا أنَّ البابليِّين يأكلونهم، لكن عكس ذلك: هم (= العبرانيُّون) يعملون هذا من الجوع (مرا ٤: ١٠). أو هو قال على (البابليِّين) الذين يقتلون ويسبون.

* * *

٦: ١ وعلى بيت كارم رفعوا آية (راية). كارم هي مدينة

معروفة في بيت بنيامين – إذ (انطلق) من هذا السبط، أشار إلى اليهود كلِّهم. هذه: رفعوا آية. وضعوا علامة انتصارهم. مثل هذه: "صنعوا من آياتهم آيات" (٢ مل ٢٥: ٤، أي من راياتهم علامات).

٦: ٣ **الرعاة**، ملوك البابليّين. **القطعان**، جيوشهم.

٦: ٥ هذه: **قوموا! لنصعد عليها في الليل**، أشار إلى الوقت الذي فيه أُخِذَت المدينة. هذه (الكلمة) لا تعارض تلك التي (قيلت) أعلاه: **قوموا! لنصعد عليها في الظهيرة**؛ فهناك يعرِّفنا بطابع العمل الجليّ والسهل. وأيضًا هذه: **لنصعد في الظهيرة**، قيلتْ من قبل الأقوياء. وهذه: **في الليل** (قيلت) من قبل الحكماء (ربَّما: الضعفاء)، فسهل على السارقين أن يسطوا في الليل.

٦: ٧ هذه: **هكذا جمعت شرّها**، أي كما الجبُّ يُتقَن بأمانة وتعب بحيث يكون متقبِّلاً كلَّ المياه المجاورة، هكذا نفسه هي أيضًا أُتْقِنَتْ بواسطة الأفكار العديدة لتكون قادرة على إمساك حدِّ كلِّ الشرور.

٦: ٦ هذه: **آذانكم لا مختونة** (لا تزال في الغرلة)، أي غرباء عن سماع هذه (الكلمات) التي منّا.

٦: ١٠ هذه: (**إسألوا**) **عن سبُل العالم**، أي إسألوا وتعلَّموا من الأنبياء ومن الشريعة كلَّ الأعمال والتحوُّلات التي حصلَتْ في العالم، من البدء حتَّى تلك التي عندكم ومنها تستطيعون أن تفهموا خَلْقي وتدبيري، والباقي.

٦: ١٧ **وأقمتُ عليكم رقباء**، أي أنبياء؛ **لكي تسمعوا صوت البوق**، أي أصوات كلامهم.

٦: ٢٣ **مثل بحرٍ يتصارع**، أي تبلبله الأمواج.

٦: ٢٨–٢٩ **المنفخ**، أي النبوءة، **توقَّف بسبب نارهم**، أي من العقوبات التي أتت عليهم. الرصاص: ثقل كلِّ العقوبات. المذوَّب، ذاك الذي يهب كلمة النبوءة ويجلب العقابات الشديدة. هذه: **لا نهاية لشرّهم**، أي لهذه كلِّها ما تنقَّوا من شرِّهم، ومن الآن أدعوهم **فضَّة مرذولة**. أراد بمثَل (النبيّ) أن يبيِّن أنَّهم مرذولون؛ فالصنّاع الذين يذوِّبون الفضَّة ويصبُّونها، فمتى صعبَتْ عليهم وما تنقَّت، يخلطون بها الرصاص والحديد والنحاس، إلخ. ومتى مُزِجَتْ بهم داخل الكور بحماوة النار التي تشعل هذين المعدنين وغيرهما، تترك الفضَّة عكرها في المعدنين وتتنقَّى وتكون للشغل. أمّا إن كانت بهذه لا تتنقَّى، بل تبقى ممزوجة معها ولا تُفصَل، تُحسَب عندئذٍ مرذولة ولا تنفع في شيء. هذا التشبيه علَّمنا النبيُّ على اليهود فقال: في ضيقاتهم يشبهون الفضَّة التي تُمتحن. وبما أنَّها ما تنقَّت بوصيَّة الشريعة، أرسل إليهم الأنبياء الذين ينفخون كلمة النبوءة مثل منفخ الصانع، ووضع نار الضيقات لكي يمتحنهم، وأضاف لهم أيضًا التأديبات الشديدة. أمّا هم ففي وسط هذه كلِّها ثبتوا في إثمهم، ولهذا رُذلوا إلى الأبد وصاروا غرباء على مخافة الله مثل الفضَّة التي تُفسَد في وسط الكور فلا تنفع لشيء. وهذه أيضًا: **مثل النحاس والحديد كلاهما يُفسدان**، أي يخلطون المكر في كلِّ أعمالهم فيشبهون النحاس والحديد اللذين حين يُفسدان في وسط الكور لا ينقَّيان بعد ولا ينفصل الواحد عن الآخر.

الإصحاح الخامس

٧: ٤–٥ هذه: **هيكل الربّ**، والباقي، أي لا تظنُّوا، وأنتم أشرار، أنَّكم تنجون من السبي بفضل الهيكل، لكن ينبغي لكم أن تعرفوا أنَّ الأعمال الحسنة مطلوبة، هذه القادرة أيضًا أن تجعل من الإنسان هيكل الله.

٧: ١٢ **أمضوا إلى مقامي الذي في شيلو**، والباقي. خراب شيلو ليس معروفًا بجلاء من الكتاب (١ صم ٤: ١٠–١١)، لكن يبدو أنَّ ذلك حصل في أيَّام عالي (١ صم ٤: ١ي)، حين ضُرب الشعب بالسيف وأُخذ تابوت (العهد)، والباقي.

٧: ١٨ **الكعكات التي تقرَّب للكوكب عوزي** (أي الإلهة عشتاروت). تُصنَع على شبه القلوب، من السميد الملتوت بالزيت والعسل، مثل أقراص الزبيب.

٧: ٢١ هذه: **أكلوا اللحم الذي ما أمرتُهم**، والباقي. إليك فكرَه: أراد أن يبيِّن أنَّه لا يطلب الذبائح لأنَّه لا يحتاج إليها، لكن أراد أن يقرِّبهم منه بعلَّة الذبائح، يعني: أنا حذَّرتهم بالأحرى من أشياء أخرى تليق بي وتساعدهم، وهي تشبه هذه: "الربُّ لا يريد (من يقدِّم)

الذبائح والقرابين، بل من يسمع صوته" (١ صم ١٥: ٢٢). وهذه: "إقتربوا لتسمعوا: هذه أفضل من الذبائح البليدة" (جا ٤: ١٧). وأيضًا قال: "أنا ما طلبت منهم ذبائح وقرابين حين كانوا في العبوديَّة، ثمَّ نجَّيتُهم"؛ فهم اجتهدوا خلال (العبوديَّة) بأن يذبحوا الحيوانات الكثيرة لكي يَكثر لهم اللحم. وكذلك قال: حين أخرجتكم من مصر، ما أمرتكم بأن تسجدوا للأصنام وتأكلوا لحم ذبائحهم.

٧: ٢٩ **جيل عابر**. (هكذا) دعاهم على أنَّهم عبروا كلُّهم من موضعهم في السبي أو بيد الموت.

* * *

٨: ١ هذه: **يُخرجون عظام الملوك**، والباقي، أي لأنَّهم يظنُّون أنَّ مقتنياتهم مطمورة. **يُخرجون**، أي يبدِّدونها هنا وهناك.

٨: ٧ **اللقلق** الذي هو فيلرجا (أي لقلق)، والهرجل، يشبه الكركي. **يعرف زمانه**، أي يفقه المواعيد (أو: الفصول) التي حدَّدتها له الطبيعة لكي ينتقل من موضع إلى موضع آخر، ومتى تضعُ أبناء. **والسنونو** أيضًا **والكركي** يحفظان الزمن: متى يأتيان نحونا، ومتى ينتقلان إلى أماكن أخرى.

الإصحاح السادس

٨: ١٣ هذه: **وهبتُ لهم فأجازوهم**، أي: وهبتُ لهم من قبل فيضًا من الغلاَّت ومن الثمار، ولأنَّهم لم يعرفوا من وهبهم هذه عبروا عنها لأنِّي سآخذها منهم.

٨: ٢٢ **الشمع**، قيروتا (الشمع أيضًا). **ألا يوجد بعدُ في جلعاد؟** جلعاد جبل في جزء من أرضهم، الذي بحسب شهادة الكتاب، وُجد فيه أدوية لكلِّ الأمراض. قالت: **إصعدي إلى جلعاد وخذي الصموغ** (إر ٤٦: ١١). وأيضًا: "جِمال العربان الذين حملوا الصموغ واللاذن والفستق، أتوا من جلعاد (تك ٣٧: ٢٥). ولكن (إذ ذكروا) الشمع، السمّ الجسميّ الذي كان معروفًا لهم أنَّه يفيد (لصنع) الضمادات ويخفِّف أيضًا الآلام القاسية، تكلَّم على الشفاء الروحيّ الذي يقرَّب لنفوسهم من عند الأنبياء بواسطة الكلمة. قال: النبوءة القادرة، بالرحمة، أن تضمِّدهم، لم تكن قريبة، أو أنَّ الله الذي هو الطبيب ما استطاع أن يشفيهم، ولهذا لم ينالوا الشفاء. وبيَّن بهذا أنَّه لا لأنَّه لم يُوجَد عندهم الدواء أو الطبيب (لم يُشفَوا)، لكن لأنَّهم ما أرادوا أن يُشفَوا، فتركوا الله ولجأوا إلى الأصنام الموضوعة في جبل جلعاد.

* * *

٩: ٢ هذه: **كلُّهم يفجرون**، أي بالجسد وبالنفس.

٩: ٢١ هذه: **صعد الموت إلى كوانا**، والباقي، أي البابليّ الذي جمعهم كلَّهم من البيوت ومن السطوح ومن الكوى لدى الموت الموجع، أي: في كلِّ موضع دخل البابليُّون رمَوا القتلى.

٩: ٢٦ دعا مقصوصي اللحى بني طيء (أي العرب)، الذين هم أيضًا مختونون، أعني: هؤلاء هم مختونون. لكن، لأنَّهم ليسوا لله بسبب ما في نفسهم، فهم مرذولون. قال: إذًا، خطأ يظنّ الجهَّال الذين بينهم (جماعة يهوذا) أنَّ اسم الله الذي (وُضع) عليهم وختانة الجسد يكفيانهم. كما سبقوا وقالوا أعلاه (ف ٧): "مع أنَّنا صنعنا الشرور لا تأتي علينا الشرور من أجل هيكل الله الذي بيننا"، والباقي – اقتبل المصريُّون الختان من يوسف مدبِّرهم الذي ختن ابنيه، والعرب (بنو طيء) من إسماعيل، وبنو قطُّورة من إبراهيم، والموآبيُّون والعمونيُّون من لوط.

الإصحاح السابع

١٠: ٢ **آيات السماء**. دعا (هكذا) الكواكب والنيِّرات كلَّها.

١٠: ٤ **ق ف ل و ط ا**. هي أيضًا مسامير ورأسها مدوَّر.

١٠: ١٣ **وهب صوت هيجان المياه في السماء**، تكلَّم على عنف المطر النازل من هناك، أو على تحرُّك المياه التي في السحب؛ فمتى كثرت أسمعت صوت هيجان؛ فهو ما قال إنَّ من السماء ينزل المطر أو من هذه المياه التي فوق (السماء)، وإن كانت هذه في زمن الطوفان،

بحسب بعض الناس (باسيل، أفرام السريانيّ)، أو العتيدة أن تكون في النهاية، بحسب آخرين، ولكنَّه حسب ما تراءى لنا أنَّ (المطر) ينزل إلينا من فوق، لهذا قال: **وهب صوتًا** (... **في السماء**) لأنَّ الكتاب يسمِّي سماء كلَّ مطرح يقع فوق الأرض. قال: "الطير ومنَّ السماء"، إلخ – يُصعد السحب من أقصاها (= الأرض). بهذه الإضافة أضاء على ما قال: وإن رُئيَ المطر نازلاً من السماء أي من فوق، فمن تحت، من وجه الأرض، يتَّخذ الهواء جسمًا ويحمل المياه ويُصعدها إلى العلاء ثمَّ يصبُّها على الأرض. ولكن يحصل حين تتراكم السحب في العلاء بشكل غير منظور بواسطة التدبير الملائكيّ، تُصعد (السحب) المياه من البحار والأنهار وترشُّها.

١٠: ١٧ هذه: **إجمعي من الأرض عارك**، أي أصنامَك التي بسببها تستعدِّين لتُحتَقري بيد البابليِّين، وألقيها إلى الخارج. مثل هذه: "تبدِّدونها مثل مياه امرأة طامث" (أش ٣٠: ٢٢).

* * *

١١: ١٥ هذه: **يُعبرون منك لحم القدس** (أو: اللحم المقدَّس)، أي: بمجيء الأعداء تتوقَّفين عن تقريب الذبائح وأكْل لحم القدس.

١١: ١٦ دعا الربُّ اسمك زيتونة (خضراء)، أي بهذه الأعمال عينها جعلك مزدهرة. **لصوت المختونة الكبيرة**؛ فمع أنَّ الجدران تُدعى مختونة، لكن من الواضح هنا أنَّه يتكلَّم على كدسة حطب إذ يدعو (الحبيبة، أو الشعب) زيتونة خضراء أي كدسة (حطب) كبيرة. دُعيَ الحطب "مختونًا" لأنَّ الحطب قُطع بالحديد.

الإصحاح الثامن

١١: ١٩ هذه: **لنفسد الشجرة مع خبزها**: الشجرة مع ثمارها، أي: النبيّ وأقواله معه. دعا الشجرة شخص النبيّ. وثمر الشجرة الذي هو خبز الشجرة أقوال النبوءة، أي: لنُبده كلِّيًا هو وأقواله التي بها يتنبَّأ علينا بالشرور. وأيضًا لنخلط بخبز الشجر بعض السمّ القاتل لكي يموت ويبيد من الحياة. اليونانيّ: **تعالوا نرمي حطبًا في خبزه**، إلخ.

١٢: ١ هذه: **أتكلَّم قدَّامك بشأن الحكم**، قال: لا لكي أوبِّخ، ولكنِّي أريد أن أتعلَّم وأعلِّم الآخرين. هذه تشبه أمورًا كثيرة قالها الأنبياء (في الهامش: مثل داود وحبقوق)، لا أنَّهم يلومون الله ورحمته، لكن لأنَّهم رأوا الكثيرين يأثمون ولا يقتبلون التقويم، تضايقوا في أنفسهم وأرادوا أن يعرفوا لأيِّ سبب وُهبَت لهم هذه المناسبة بأن يأثموا (يقترفوا الآثام)، إلخ.

١٢: ٤ هذه: **لا نرى آخرتنا**، أي لا نُسبَى. هذه: **عشبُ الحقل ييبس**، يبدو أنَّ هذا من قلَّة المطر أو أنَّه كان جوع حين قال النبيّ هذه الأقوال.

١٢: ٥ هذه: **مع المشاة ركضتَ فأتعبوك**، إلخ. **سمَّى المشاة وأرض السلام** أعمال شعب النبيّ. (سمَّى) الخيل وعظمة الأردنّ أعمال تدبير الله التي هي عميقة ولا مدركة لدى مصنوعاته. وللنبيّ الذي استصعب (الأمور) في نفسه لأنَّه لم يدرك هدف تدبير الله، قال (الله): وأنت إذًا، يا من لم تدرك ولم تفهم أعمال شعبك التي حين تُقابَل مع (أعمال) تدبيري السريع، تشبه المشاة الذين يركضون مع الخيل، وإذ تُقابَل بذاك الذي يعبر عظمة الأردنّ تُشبه ذاك الذي يمشي في أرض السلام، أي (تُشبه) أولئك الذين ظننتَ أنَّهم يريدون سلامك (أو: خلاصك)؛ فهؤلاء يتآمرون ليقتلوك – كيف تستطيع حساباتك الضعيفة أن تسعى لتمتحن وتعرف تفكير ألوهيّتي العظيم واللاملموس؟".

١٢: ٨ هذه: **ميراثي كان لي مثل أسد في الغابة، ورفع عليَّ صوته**، أي تمرَّد (وابتعد) عنِّي، ودخل في الغابة التي فيها وضعَ أصنامه، وأمامها رفع صوته وعليَّ جدَّف.

١٢: ٩ ميراثي كان لي طائرًا مصوَّرًا، أي مزيَّنًا بالأصنام (ص ل م) وتشابيه الأوثان وبأعمال الإثم المتنوِّعة. **وطائر يحيط به**، أي: شعوب متفرِّقة وغريبة ومتنوِّعة أتوا بسرعة وأحاطوا به من كلِّ جانب. دعا **الطائر** البواشق. وأيضًا قال: مثل طائر أي عصفور مصوَّر على الحائط ومزيَّن بألوان (متعدِّدة)، إلخ. (قال) القطريّ (وهو أحد الشرَّاح): ط ي ر ا. هو طائر، أجنحته ورقبته بيضاء، وفوق جانبيه سواد. وحين يطير في العلاء، لأنّ أجنحته

تُرى، يُرى هو أيضًا مثل شيء أبيض. وحين يقيم على العشّ في الأرض يُرى كأنَّه أسود، ولهذا يُقال عنه **مصوَّر**.

١٢: ١٠ الرعاة. مدبِّرو بابل. **كرمي**: الشعب.

* * *

١٣: ١ هذه: أن يكون (الله) أمرَ النبيّ أن **لا يبلَّ المنطقة في الماء، لكن أن يربطها على حقويه دون أن يُغسلها**، يبيِّن أمرين، أي الالتصاق واللاإلتصاق. الالتصاق، من جهة، لأنَّ الله، مرَّة واحدة، ألصقه (= الشعب) به منذ الخروج من مصر. واللاإلتصاق، من جهة ثانية، من جهة الشعب الذي لم يغتسل أبدًا من وصمة الشياطين.

١٣: ٤ هذه: أن يكون (الله) أرسل النبيّ إلى الفرات ليطمر (المنطقة) في شقّ الصخر، يعرِّفنا أنَّ الشعب يُسبَى ويعبر الفرات باتِّجاه بابل. وهناك يُترَك من قبل الله الذي يواضعه بضيقات السبي.

١٣: ١٦ هذا: **قبل أن يأتي الظلام**. دعا **الظلام وظلال الموت** عدم القدرة على البلوغ إلى الموت، والنور (دعاه) النجاة.

الإصحاح التاسع

١٣: ٢٠ أين هو القطيع (الذي أعطي لك) غنم مجدك، أي أين هو هذا القطيع الناطق الذي هو شعبك والذي كان مجيدًا باعتنائي به.

١٣: ٢٢ هذه: **تدحرجت أسافلك**، أي عُرِّيت وكُشفت.

١٣: ٢٣ هذه: **كما أنَّ الهنديّ (أي الحبشيّ) لا يستطيع**، إلخ، أي عرَّفنا بتركُّزهم في الشرّ وصعوبة التبدُّل عندهم إلى الخير، لأنَّ العادة هي طبيعة ثانية، حسب الحكماء.

١٣: ٢٧ زنى زناكِ. دعا (هكذا) زنى الجسد والنفس. **صهيلك**: فجورهم الكثير الذي يشبه صهيل الحيوانات، (فجور) مع الشياطين والنساء. هذه: **لن تتنقَّي**، يعني هذا: ما تنقَّيت اليوم.

* * *

١٤: ٢ صياح. صوت قويّ يتحرَّك بواسطة الآلام.

١٤: ٦ هذا: **تنشَّقوا الريح مثل بنات آوى**، أي اجتذبوا لهم نسمة هواء من دون فائدة، بسبب اليباس الذي يوقدهم على أثر غياب المطر؛ فيقال بالنسبة إلى هذا الحيوان: متى يموت واحد من بنيه لا يحتمل أبدًا ضيقه ولا يتعزَّى حتَّى يموت هو أيضًا، ولكنَّه يتنشَّق فقط الريح.

١٤: ٨ لا تكن مثل نزيل لوقت قليل، ومثل مسافر يعبر بسرعة ولا يهتمُّ بالمكان الذي حلَّ فيه.

١٤: ١٧ دعاها **بتولاً** كما فعل في الأزمنة القديمة حيث (**بنتُ شعبه**) لم تكن بعدُ اغتُصبت في السبي.

* * *

١٥: ١ هذه: **حتَّى وإن قام موسى وصموئيل**، إلخ. بما أنَّ النبيَّ توسَّل مرَّتين، وُضع: لا تصلِّ لأجل الشعب، وهكذا لا يتضايق حين يفكِّر بأنَّ طلبته لم تُقبَل، بسبب تقصيره، عزَّاه (الله) الآن فذكَّره بهذين المطوَّبَين. بما أنَّ هذين صلَّيَا من أجل الشعب فسُمِعَتْ صلاتهما – سواء موسى في البرِّيَّة **الذي قام** مرَّات كثيرة على المثغرة (حرفيًّا: **الترعة**) **قدَّامه** (مز ١٠٦: ٢٣)، أو صموئيل في أرض الموعد الذي أنزل البرَد على الأعداء (١ صم ٧: ٥ حيث ذُكر الرعد لا البَرَد) – وصالحَا الله مع الشعب، ذكَّر (الربُّ) النبيَّ بهذين الرجلين المعروفَين: حتَّى لو كان هذان على قيد الحياة لا يرتضي الله فيقتبل طلبتهما، فبيَّن، بواسطة هذا، أنَّ شرَّ الشعب تجاوز شرَّ الأقدمين.

١٥: ٩ هذه: **ذبلَتْ تلك التي ولدت سبعة**. تكلَّم عن الجماعة كلِّها ودعاها تلك **التي ولدت سبعة** ليبيِّن كثرتَهم وملء إنجابهم السابق بواسطة البركات الإلهيَّة. تكلَّم الكتابُ عن العدد سبعة (للإشارة) إلى الملء. وهذه: **غربَت** (= **غابت**) **الشمس في نصف أيَّامها**، أي (انطلاقًا) من هذا العدد اللامحدود (من السكّان)، أتوا لدى هذه بأن يقتبلوا نهايتهم بموت أرهب من سيف البابليِّين في منتصف طَوْر حياتهم مثل الشمس الغاربة في الساعة السادسة. فدعا **الشمسَ** حياتهم التي خلالها يستطيعون أن يروا الشمس أيضًا. قال: **في نصف أيَّامهم غربت الشمس** لأنَّهم يموتون كلُّهم، شبّانًا وشيوخًا، لا بموت طبيعيّ بل بموت السيف. **ولدت سبعة**. قالوا: سبعة أصنام صنعتها

جماعة بني إسرائيل: العجل في البرّيّة (خر ٣٢)؛ عجلَيْ يربعام (١ مل ١٢: ٢٦-٣٣)، صنم أربعة وحده (صنعه) منسّى ليسجد له الإنسان من كلّ موضع، فيَصعد نحوه السجود (٢ أخ ٣٣: ٧). **وانتفخ بطنه** بالإثم.

١٥: ١٠ ويلٌ لي، يا أمّي، يا من ولدتني. من هنا شرع النبيُّ يروي الضيقات التي حمَّله أبناء شعبه لأنَّه تنبَّأ لهم – إذ هو معروف أنَّه لا يلوم الأبوين اللذين ولداه، ولكن هم من يلوم ويوبِّخ بواسطة الويل الواهب لشخصه – هذه: **أيُّها الرجل المتَّهم**، لا كأنَّه وُضع هكذا من قبل أبويه من أجل هذا أو من قبل الله أو من إنسان من الناس، لكن سمَّى هو نفسه **القاضي والمتَّهم** لأنَّه تنبَّأ لهم بهذه الأمور التي (تتعلَّق) بالحكم وبالاتِّهام.

١٥: ١١ هذه: **لا أتركك للخير**. ما قال هذا للنبيِّ لكن للشعب.

الإصحاح العاشر

١٥: ١٧ هذه: **لأنَّك ملأتني غضبًا**، أي لأجل المعرفة التي وضعتَ فيَّ ملأتني غضبًا قبالة كلِّ الأعمال الشرّيرة التي كانت من عند الشعب. وتشبه هذه: من أضاف المعرفة أضاف الغمّ.

١٥: ١٨ لماذا كان غمّي شديدًا وجرحي، إلخ. غمّ وجدان النبيّ حصل أنَّه لم يكن رأى عندئذٍ تحقيق أقوال نبوءته وعلى هذه هزئ به الشعب. **مياه كاذبة لا يؤمَّن لها**؛ دعا (هكذا المياه) الآتية من المطر أو من الثلج، في وقت قصير، ولا تغتذي بشكل دائم بينابيعها التي دعاها أيضًا **مياهًا غريبة**. أي: هكذا تشبه أقوالُ نبوءتي قدَّام الشعب، لأنّي أتكلَّم كلَّ يوم، ولكنَّ (نبوءتي) لا تتحقَّق بالفعل، فيُهزَأ بي على أنّي كاذب (لا حقيقيّ).

١٥: ١٩ وإذ روى ما أجابه الله إلى ذلك، قال: **إذا تتوب أعيدك**، إلخ. إذا تتوب من أفكارك هذه وتخرج من قطْع الرجاء هذا الذي تسلَّط على نفسك، أعيدك إليَّ وأقيمك قدَّامي، أي أبيِّن لك بالأعمال أنَّ عندك دالَّة (جلاء الوجه) كبيرة قدَّامي – وبما أنَّ النبيَّ حسبَ أنَّ عددًا قليلاً من الناس، أو لا أحد، يستفيدون من نبوءته، قال له الله: **إذا تخرج ما هو مرذول ممّا هو ثمين (تكون) مثل (فمي)**. قال: حتَّى إذا كنت لا تستطيع أن تعين إلاّ إنسانًا واحدًا وتعيده من الذلِّ والفراغ إلى الواجب، أحسبك أيضًا ثمينًا مثل الأقوال الخارجة من فمي.

* * *

١٦: ٢ أُمِر النبيُّ ألاَّ يأخذ امرأة، لأنَّه يبدو أنَّه أراد أن يأخذ واحدة.

١٦: ١٦ الصيّادون أي البابليّين.

* * *

١٧: ١ هذه: **بقصبة من حديد وبضفر من الماس**، أي: إلى هذا كلِّه كانت الخطيئة ملبوسة (= ملتصقة) بهم، متركِّزة (فيهم) ولا تُقلَع من قلبهم على مثال حروف محفورة بقصبة من حديد. **ضفر من الماس**، هو حجر (ثمين) يُدعى هكذا. وهو أسود ولا يكسره شيء.

١٧: ٥ الذراع. يدعو (هكذا) القدرة.

١٧: ٨ ولدى النجيل (شجرة مضرَّة) **ثبْت جذوره**. ينبت النجيل في الأماكن التي فيها ماء ولا يخاف من الحرّ.

الإصحاح الحادي عشر

١٧: ١١ مثل الحجل الذي يدعو. قال: مثل الحجل المعتاد أن يدعو بأصوات حادَّة، لا أبناءه ولا الإناث مثل سائر الطيور، ويحثُّهم على أن يأتوا لديه، لا للخير، لكن للموت الذي يصل إليه في النهاية. هكذا أيضًا الجائر يدعو بواسطة حيله، لا القريبين بل الغرباء، ويبلبلهم مثل الحجل، ويأخذ مقتناهم ويميتهم. وبعد ذلك، هو أيضًا يصطاده البشر أو دينونة الله ويُسلَّم إلى الموت.

١٧: ١٢ هذه: **كرسيّ مجد رُفع من (الابتداء)**، إلخ. دعا **الكرسيّ** المملكة. و**المكان المقدَّس** أرضَ الموعد والهيكل. قال: هذه المملكة التي كانت مجد الشعب نمت ورُفعَت بأعمال الجور وما خافت أيضًا من قربها من بيت الله، هي أيضًا تُرفَع وتُنزَع بيد البابليّين. أو هكذا: هذه المملكة التي كانت من الابتداء رفيعة وممجَّدة بسبب هذا الوضع المقدَّس، لا ينبغي أن تستسلم إلى

أعمال لا توافق هذا الموضع والمقدس والناموس.

١٧: ١٣ كلّ الذين تركوك يخزون والمتمرّدون في الأرض يُكتَبون. هذه: **يكتبون**، أي يُحسَب المتمرّدون ويُعرَفون بأسمائهم في الأرض كلِّها، جميع الذين تركوا الله ومخافته. وهذا يشبه الكلمة على يكنيا: **اكتبوا: هذا الرجل مكروز (بدون بنين)**، أي: هذا الرجل يُحسب لكم بدون أبناء، ومكروز، أي مطرود من أرضه ومملكته. لذلك ينبغي أن يُقرأ هذا القول بشكل مقطوع: **المتمرّدون يكتبون في الأرض.** أو يقول: بدلاً من أن يستعدُّوا لأن يُكتَبوا في سفر الحياة، يتثبَّت هلاكهم في الأرض ولا يرجعون بعد إلى الحياة. وهكذا أشار (النبيُّ) بجلاء إلى عقابهم.

١٧: ١٦ هذه: **ما اشتهيتُ يوم الإنسان**، أي كراماته ومرغوباته وتجارته وحياة العالم أو الإنسان. قال (الكتاب): رغب أن يرى يومي، إلخ (يو ٨: ٥٦)، أي: رغبتُ وصاياك فوق كلِّ مرغوبات العالم.

١٧: ١٧ دعا **اليوم الشرّير** الزمن الذي فيه طلبوا قتله.

* * *

١٨: ١٤ هذه: **إذا يزول الثلج من جبل الثديين**، إلخ. دعا **المياه الباردة والغريبة** المياه الجارية من الثلج، لا من الينبوع، ولكن تجري حين يذوب الثلج. **والثديان** هما **جبلان** ملتصقان الواحد بالآخر مثل ثديين. **ولبنان** يكون فوقهما، وعلى الدوام لا يزول عنه الثلج، لأنَّ (الثلج) الجديد يدرك العتيق. بواسطة الطبائع الصامتة وبَّخ (الإنسان) الناطق.

١٨: ١٥ وإذ بيَّن ماذا يريد أن يعرِّفنا بهذا قال: **لأنَّ شعبي نساني ووضع البخور للباطل.** قال: هذه المياه التي تكلَّمتُ عليها لا تستطيع أن تنقطع ولا أن تزول، مع أنَّ هذا ليس من طبعها. أمّا هذا الشعب الذي أنا لهم أبٌ ومربٍّ وعناية، فما تذكَّروني إطلاقًا، لكن (تذكَّروا) الأصنام الفارغة الباعثة على الخطيئة.

١٨: ١٧ هذه: **مثل ريح الحرّ أبدِّدهم.** بيَّن معنيين اثنين: إبادة الذين يموتون، وفصْل الذين سُبوا. (**وريح**) **الحرّ**: تصنع احتراقًا، وتقلب أيضًا الأعماق وتفسدها.

١٨: ١٨ هذه: **لا يبيد الناموس من الكهنة، والفكر من الحكماء، والكلمة من الأنبياء**، أي: إن تُرك إرميا يتنبَّأ، يقتنعُ الشعبُ به. ومن هنا ينقص وقار الكهنة ماسكي الناموس. ويَبطل أيضًا الناموس المملوء بالخيرات للشعب كلِّه. وتُحتقر أفكار الحكماء الذين ينصحوننا ويرافقوننا. وتُهمَل النبوءة التي تقوِّينا وتعزّينا وتَعدنا بالخيرات الآتية من عند الله. وهذه تشبه ما قالوا عن ربِّنا: "إذا تركناه، آمن به الجميع"، إلخ (يو ١١: ٤٨). وهذه: **تعالوا، إن نضربه بلسانه**، إلخ، أي نقتله بحيث لا يتكلَّم بعد، ولا نسمع صوت أقواله.

الإصحاح الثاني عشر

١٩: ١ الإبريق يشبه بشكله القربة. فمه صغير وله أذنان اثنتان. يُدعى في القرية: **إبريق** (ب ر ب و ج ا).

١٩: ٢ وادي بن هنوم حيث كانت توضَع الأصنام التي يسجد لها أهل يهوذا. "ب ر ه ن و م" هو رجل.

١٩: ٣ تُنصت أذناه. بابتعاده في عزلة وفراغ الأمكنة، قد يسمع إنسانٌ مثل أصوات صنوج.

* * *

٢٠: ١ فشحور: يرمز إلى الازدهار والخيرات.

٢٠: ٧ فتنتني: في البداية لكي أتنبَّأ، **فافتتت** وأنا لا أريد.

٢٠: ١٢ ناظر الكلى والقلب، أي النفس وأفكارها.

٢٠: ١٤-١٥ ملعونٌ يومٌ وُلدتُ فيه، إلخ. ما لعن اليوم ولا أبغض الحياة وإلاَّ ما كان لعن اللذين ولداه ولا الذي بشَّر (بولادته). ولكن بلفظ **يوم** (أشار) إلى هؤلاء الذين يضايقونه لكي يُلعَن، بحيث يَلعن أيضًا الأيَّام والبشر، وفي الوقت عينه ليبيِّن سرَّ بني قومه.

* * *

الإصحاح الثالث عشر

٢١: ١٢ أقضوا في الصباح. قال هنا **الصباح** عن سرعة (التنفيذ).

* * *

٢٢: ٦ جلعاد هو رأس لبنان. دعا أورشليم جلعاد

بسبب التشابه بين أعمالها (وأعماله). كذلك يدعوها (الكتاب) "أهلا" (حز ٢٣)، و"سدوم" (أش ١: ١٠)، و"زانية" (أش ١: ٣١). ودعا **رأسَ لبنان** الملك الذي ظنَّ أنَّ جيوشه كثيرة مثل أرزات لبنان (إر ٢٢: ١٥).

٢٢: ١٠ لا تبكوا على الميت، إلخ، أي على شلوم الذي هو يوأحاز بن يوشيّا، الذي سباه فرعون فمات في مصر.

٢٢: ١٣ ها أنا عليكِ أيَّتها الجالسة في الوادي. دعاها (= أورشليم) جالسة في الوادي لأنَّ حولها جبال أعظم منها ووديان تحيط بها من ثلاثة جوانب. **عميقة واطئة** لأنَّ الموضع هو هكذا، أو لأنَّكِ تستعدِّين لكي يدوسك الأعداء.

٢٢: ١٥ وقال ليوياقيم: **أبوك أكل وشرب**، أي حزقيّا أو يوشيّا، لا أنَّ (يوياقيم) ما أكل ولا شرب، ولكن (تكلَّم النبيّ) ليوبِّخه. قال: تدبَّرَ (أبوك) أيَّامه بالشراهة مثلك، لكن في الاعتدال، (وما راح) وراء الأبنية المفرطة وتجميع الفضَّة مثلك.

٢٢: ٢٣ وإذ هزئ (بأهل يهوذا) قال: **سكنتَ في لبنان وجعلتَ عشَّك في الأرزات**، أي أنتم يا من أتكلَّم على ارتفاع مدينتكم وكأنَّها مبنيَّة لكم في لبنان (أي جبل لبنان)، والتي تشبه الطير الذي جعل عشَّه في رأس الأرزات، أتكلَّم على ارتفاع الجبال التي في أرضكم التي فيها تضعون أصنامكم، قريبٌ هو الوقت الذي فيه يأخذكم السابون.

٢٢: ٣٠ هذه: **أكتبوا هذا الرجل: مكروز** لا أنَّ (الله) يأمر إنسانًا بأن يَكتب، ولكنَّه يتكلَّم على حقيقة ما يُعمَل. قال: قريبًا يُمحى اسم يكنيا بن يوياقيم وأبنائه من المُلك. وقال: هذا الحكم ثابت مثل شيء مكتوب. هذه: **يكون بلا أبناء**، لا أن ليس له أبناء، وإلاَّ كان من النافل أن يُقال، كما في أمْر، **أكتبوا (بدون أبناء)**، لأنَّ الأمور تشهد عليه، لكن لا يجلسون على العرش، كما قال؛ فما جلس شلتائيل على عرشه، لكن صدقيّا عمّه الذي به انتهت المملكة. ولكي يعرِّفنا أنَّ نسله لن يُرذَل من الملك إطلاقًا، لأنَّ زربّابل ابن ابنه (حفيده) يكون ملكًا، قال: **لأنَّ رجلاً في أيَّامه لا ينجح (في الوصول إلى المُلك)**، إلخ.

الإصحاح الرابع عشر

٢٣: ٥-٦ فرع برّ. دعا الساعةَ هذه، زربّابل. وهذه: **الربُّ برُّنا**. (أو: صدقنا بالنسبة إلى صدقيّا)، أي: يُعرَف من أعماله أنَّ الربَّ هو معه ومع الشعب كلِّه، وأنَّه حصَّته وميراثه (تث ٣٢: ١٩) وإيَّاه يُسرُّون لا الأصنام. **برّنا**، أي: حصَّتنا، ولكنَّ تتمَّة هذه (الأقوال) تُرى في ربّنا (يسوع المسيح. هي نبوءة مسيحانيَّة).

٢٣: ١٠ سعيهم، أي وسائلهم.

٢٣: ١٨ هذه: **من قام في سرّه** (= **الربّ**) **وأنصتَ**، إلخ، أي مَن من الأنبياء الدجّالين؟ فيقول: ما من أحد منهم.

٢٣: ٢٨ هذه: **لماذا تخلطون التبن بالحنطة**، أي أحلام الشياطين بتجلِّيات الروح.

٢٣: ٣٠-٣١ هذه: **الذين يسرقون أقوالي**، أي إذ يتمسَّكون باسمي دجلاً يسبق الواحد الآخر ويضعون الكلمة ويؤكِّدون كلُّهم، وكأنَّهم لا يكذبون أنَّها هي وحدها (القول الحقيقيّ) – وهذه: **يقلبون لسانهم**: قال على دجلهم إذ ينتقلون من قول إلى آخر. وحين لا يتثبَّت الأوَّل، يحبلون بدله آخر أكثر دجلاً منه.

٢٣: ٣٥-٣٦ هذه: **هكذا يقول الرجل لصاحبه**، أي: هذا المستحقّ النبوءة من لدن الله (تقولون له). هذه: **لأنَّ القول يكون للرجل نبوءته**، أي: يكون له وحده وهو يقوله قدَّام الآخرين. والآخرون لا يقتدون به لأنَّهم لا يعرفون القول (النبويّ).

* * *

الإصحاح الخامس عشر

٢٤: ١ قفَّتان، أي سلَّتان: الجماعتان. **قدَّام الهيكل**، لأنَّ من هناك يَخرج الحكم عليهم.

* * *

٢٥: ١٥ هذه: **سقيتُ الكأس لكلِّ الشعوب**. ما تكلَّم على كأس ملموسة، ولا هو مضى حقًّا إليهم، ولكنَّه قال هذا (الكلام) لأنَّه كان يتنبَّأ.

٢٥: ١٧ هذه: **أخذتُ الكأس**، أي: الوصيَّة من الربّ.

٢٥: ٢٦ والملك **أرشكيا** (أو: أرشاك)، أي (ملك) بابل؛ فاسم **أرشكيا** يعرِّفنا بالعظمة والازدهار ومثل **ديار أتان** (إر ٤٩: ١٩) وجفنة سبما (إر ٤٨: ٣٢)، عرَّفنا باللذات وبكثرة الخيرات. (قال) آخرون: دعا **أرشكايا** ملك الأرمن.

٢٥: ٢٨ هذه: **إن كانوا لا يريدون أن يأخذوا الكأس من يدك**، أي إن كانوا لا يصدِّقون أنَّ الحرب آتية عليهم.

٢٥: ٣٠ هذه: **يزأر زئيرًا على دياره**، أي: بالدرجة الأولى، من دياره، أي أورشليم. يبدأ بالحرب (أو: الخراب). وعندئذٍ يرسله على جميع الشعوب.

الإصحاح السادس عشر

٢٥: ٣٤ هذه: **ولولوا، أيُّها الرعاة و... أشدَّاء الغنم.** دعا (هكذا) ملوك الشعوب والممجَّدين الذين فيهم.

* * *

٢٦: ٣ هذه: **ربَّما يسمعون ويتوبون**، إلخ. هذه "**ط ك**"، أي ربَّما. من شخص غير عارف، إلاَّ أنَّ (الله) تكلَّم هكذا بشكل ملائم جدًّا؛ فلو أنَّه قال دون أن يضيف "ربَّما" يستعدُّون ليسمعوا لكان حُسب دجّالاً. ولو قال: إنَّهم لن يسمعوا، كان من النافل أن يرسل نبيًّا لدى الذين لا يقتبلون كلامه. لكن قال "ربَّما"، فعلَّق كلامه بشرط. ولئلاَّ يقولوا أيضًا إنَّ معرفته المسبقة هي السبب الفعليّ لعدم استماعهم، وضع كلامه بواسطة الشكِّ والارتياب لئلاَّ يقولوا: استبق الله وقال وليس له وسيلة بحيث لا يحصل هذا. كذلك قالوا بالنسبة إلى يهوذا (يوضاس): استبق ربُّنا وتكلَّم عليه: هو يستعدُّ لكي يسلِّمه (مت ٢٦: ٢٥؛ يو ١٣: ٢١-٣٠). ولهذا قال: صار خائنًا (إذ سلَّمه). يا للجنون! لم تكن المعرفة المسبقة علَّة شرِّ الأشرار؛ (فالله) لا يقتاد الأمور المزمعة أن تكون؛ فالنظر المسبَق إليها هو مجرَّد نظرة – فليس لأنَّ المسيح تكلَّم صار يهوذا خائنًا، ولكن (لأنَّه كان سيصير خائنًا) استبق المسيح وقال. وكذلك هنا قال الله: **ربَّما يسمعون** لئلاَّ يقول اليهود إنَّ الله استبق وقال إنَّهم لن يسمعوا وكأنَّه سيَّج طريق التوبة قدَّامهم، استبق فقطع العلل التي يقومون بهذا (الكلام): **ربَّما يسمعون**، إلخ.

* * *

٢٧: ٢ي هذه: **إصنع لك نيرًا ورباطين وارمها على عنقك**. ومع أنَّه اقتبل هذا في وحي (جليان)، إلاَّ أنَّه نفَّذ بالفعل، فوضع النير على عنقه، لكنَّه لم يرسل، بالحقيقة، النير إلى الشعوب بواسطة مرسال، بل بيَّن للمراسيل النير والرباطات التي كانت مرميَّة في عنقه، وأسمعهم كلامه أي نبوءته، على النير، أي عبوديَّة أسيادهم.

٢٧: ٦ هذه: **وهبتُ له أيضًا حيوانات البرّ**؛ فإذا كان البشر، أسياد الحيوانات، مستعبَدين له، فمن الواضح أيضًا أنَّ هؤلاء يُستعبَدون مع البشر.

٢٧: ٧ ابنه. أويل مروداك. **ابن ابنه** (حفيده) بلشاصَّر بن أويل مروداك، مع أنَّ تيودوريه قال إنَّ أويل مروداك وبلشاصَّر كانا أخوين وابني نبوخذنصَّر. ملكَ نبوخذنصّر خمسًا وأربعين سنة، أويل مروداك سنة واحدة، وربلشاصَّر سنتين اثنتين.

الإصحاح السابع عشر

٢٧: ١٩ م ج س ا، أو أنَّها العواميد التي تحمل البحر (= أحواض الاغتسال، ١ مل ٧: ٢٧-٣٧) أو آنية السكيب.

٢٨: ١٣ هذه: قال لحننيا: **بدل رباطات الخشب التي قطعت، إصنع لك نيرًا من حديد.** قال هذا في كلمة وما صنع نيرًا من حديد، ولا حننيا أيضًا أطاع إرميا.

الإصحاح الثامن عشر

٢٩: ٢٤ نحمليا، أي حالم الأحلام.

* * *

٣٠: ٩ هذه: **داود ملكهم**، أي زربّابل الذي خرج من داود وأمسك مُلكه. وكما دُعيَ الشعبُ يعقوب بل إسرائيل لأنَّهم خرجوا من هذا، هكذا بحقٍّ أعطى اسمَ داود لذلك الذي منذ داود كان مقيمًا في المُلك لأنَّه خرج من داود ومن نسله.

٣٠: ١٨ هذه: **تُبنى المدينة على تلَّتها. المدينة:** أورشليم. **التلَّة:** الجبل الذي عليه بُنيت. **المعبد** (= ناووس): الهيكل.

الإصحاح التاسع عشر

٣٠: ٢٣ عاصفة الربّ. هكذا دعا جيشَ البابليِّين.

* * *

٣١: ٢ هذه: **وجد رحمةً في البرِّيَّة، الشعبُ الذي نجا من السيف،** إلخ، أي شعب إسرائيل الذي استعبدوه وأتوا به إلى بابل وإلى أشور، كما في برِّيَّة، وحُرم من كلِّ الخيرات، وَجد رحمة قدَّام الله.

٣١: ٣ هذه: **من بعيد تراءى لي الربّ،** إلخ، أي: حين كنّا في موضع ناءٍ جدًّا وبعيد. وقتًا طويلاً قبل أن تتحقَّق المواعيد بالفعل، تراءى لي الله وشجَّعني وقال لي: أجدِّد لكم محبَّتي القديمة التي من أيَّام الأبد، ومن زمن موسى ومن آبائكم الأوَّلين، وأستمرُّ في حبِّي تجاهكم ما قام العالم. وعودتي إليكم تقودكم من السبي ومن الضيقات، وإذ (تنجّيكم) من وجدان منقسم تستحقُّون النعمة.

٣١: ٩ هذه: **يمضون بالبكاء ويعودون بالتحنُّن. بالتحنُّن** يعني بالمراحم.

٣١: ١٥ سُمع صوتٌ في الرامة. ولولةٌ وبكاء، إلخ. باسم **راحيل** دلَّ على سبط بنيامين، لأنَّها كانت أمَّه. وبسبط بنيامين (دلَّ على) كلِّ أهل يهوذا؛ فالرامة هي مدينة أبناء بنيامين وقريبة من أورشليم. وصوت البكاء من هذين السبطين سُمع حين كانا يولولان ويبكيان في زمن الحرب والسبي البابليَّين؛ فهذه الأقوال قيلت على السبي، ولكنَّ الإنجيليّ أخذها على مقتل الأطفال (مت ٢: ١٧-١٨)، فجعلَ التشبيه (بين الحدثين): هيرودس يُشبه البابليّ، والقتلُ القتلَ والسبي، والتخومُ التخومَ، والباقي.

٣١: ٢١ هذه: **أقيمي لك علامة واجلسي في البرِّيَّة،** إلخ، أي إرجعوا إلى إلهكم، لأنَّ هذه هي علامة الخلاص لكم: حين تكونون لي من أهل البيت، تسكنون في مكانكم الذي خربَ مثل البرِّيَّة.

٣١: ٢٢ الأنثى تحبُّ الرجل. هذه هي الأمور الجديدة التي قالوا، أي التحوُّل من البغض إلى المحبَّة، من حيث إنَّ هذا الشعب الذي ترك الله في الماضي وانتقل منه إلى عبادة الشياطين. وإذ كان (الله) يدعوهم، في كلِّ وقت، فلا يلتفتون إليه، فالآن، هم من أنفسهم يركضون نحوه ويتعلَّقون به على مثال المرأة التي بسبب حبِّها نحو رجلها، تركض في إثره وتطلبه.

٣١: ٢٩ هذه: **لا يقولون: الآباء أكلوا الحصرم،** إلخ، أي: يدركون أنَّهم عُوقبوا بسبب خطايا آبائهم، كما كانوا يظنُّون، إنَّما بسبب خطاياهم الخاصَّة. دعا **الحصرم** الخطايا، **وضرس الأسنان** السبي.

٣١: ٣١ دعا **الميثاق الجديد العودة،** أي العهود والمعاهدة التي معهم والوصيَّة، والباقي. دعاها **جديدة** إذ لن يقرِّبوا ذبائح بعد الآن ليخلصوا، لكن فقط سماعًا لله. وكذلك الرسول أيضًا دعا العهد الجديد (رو ٢: ٢٧؛ ٢ كو ٣: ٦-١٤، دياتيقي)، إلخ؛ فهذه الجديدة هي أفضل من تلك (عب ٨: ٦) إذ اقتبلوا بعد العودة معرفة وحبًّا أكثر تبعًا من هذين اللذين صادفوها (من قبل)؛ فالقدماء ما ثبتوا في الحبِّ نحوه ثلاث أشهر ثمَّ صنعوا لهم أصنامًا (حين وصلوا إلى سيناء، خر ١٩: ١). أمّا الذين عادوا من السبي فاستمرُّوا ٣٥٠ سنة في مخافة الله، والباقي.

٣١: ٣٣ هذه: **أكتبها على قلوبهم.** هكذا (كلام) موسى: "لتكن هذه الأقوال على قلبك" (تث ٦: ٦).

٣١: ٣٨-٣٩ وادي جراب والزاوية. هما موضعان دُعيا هكذا، **برج حنائيل** هو في خارج المدينة.

الإصحاح العشرون

٣٢: ١١ هذه: **فعل الشراء المختوم بأمر واللامختوم** لأنَّ القدماء كانوا يصنعون فنعلَيْ شراء في زمانهم: واحد يُلَفُّ ويختم وآخر هو نسخة عن (الأوَّل) كما للتذكير بالشراء.

٣٢: ١٢ هذه: **في دارة الحراسة،** أي في بيت أسرى (= سجن) الملك.

٣٢: ٣٩ هذه: **أهب لهم قلبًا جديدًا وروحًا جديدًا**، أي لا ينقسم وجدانهم باتِّجاه الأصنام. هذه شبيهة بهذه: جماعة الناس الذين آمنوا كانوا نفسًا واحدة (وقلبًا واحدًا)" (أع ٤: ٣٢).

* * *

الإصحاح الحادي والعشرون

٣٣: ١٣ منذ الآن تعبر النعاج على يدَي ذاك الذي يعدُّها. تكلَّم على الشعب الذي يرعاه الله ويحفظ عدده فلا يضلُّ منهم إنسان. **الذين يعدُّون** يُدعَون أيضًا الملوك والكهنة.

الإصحاح الثاني والعشرون

٣٤: ١٨ هذه: **أهب للرجال الذين تجاوزوا عهدي**، إلخ. إذ رأى اليهود أنَّ البابليِّين اقتربوا منهم، خافوا وبيَّنوا العمل الواجب. وكلُّهم أقاموا عهدًا قدَّام الله، فحرَّروا عبيدهم بحسب الأمر الناموسيّ (تث ١٥: ١٢)، ونحروا أيضًا ثورًا وقطعوه اثنين وعبروا بين القسمين (تك ١٥: ١٠) والقناديل في أيديهم. هكذا كانت العادة في ذلك الوقت: "كلُّ من يتراجع عن هذا العهد هكذا يُقطع. وبعد أن علموا أنَّ البابليِّين تراجعوا بسبب الجيش الذي خرج من مصر لمساعدتهم (= اليهود)، عادوا واستعبدوا أولئك الذين حرَّروا؛ فالآن لامهم النبيّ: كما أنَّ هذا العجل قُطع ورُميَ لأجل تثبيت العهد هكذا هؤلاء بسبب دجل عهدهم يُقطعون بسيوف البابليِّين ويُرمون من دون دفن.

٣٥: ٢ أبناء الريكابيِّين. كانوا من عشيرة الكهنة. خرجوا من يوناداب بن ريكاب، ذاك الذي أتى إلى لقاء ياهو فأجلسه (ياهو) في مركبته (٢ مل ١٠: ١٥). هذا إذ رأى تحوُّل الشعب باتِّجاه الشرور، وإذ سمع أيضًا أقوال الأنبياء الكارزين على السبي، اختار له أن يتدبَّر حياته في الفضيلة وفي النذر وفي الامتناع عن الحقول والكروم وعن السكن في المدن، فيتشبَّه بالآباء الذين سكنوا في الخيام. وأمر أبناءه أيضًا بأن يحفظوا هذه (الممارسات) عينها، فصنعوا هكذا في كلِّ الأجيال؛ فمن عشيرته خرج المكابيُّون (١ مك ٢: ١)، فهؤلا الذين يقولون إنَّهم من سبط بنيامين ما أدركوا الحقيقة.

الإصحاح الثالث والعشرون

٣٦: ٢٣ مبضع. في الفارسيَّة: **ن ش ت ر**. أمّا في لغة القرى: **ا ش ت ر ك ا**. (مشراط)؛ فبحسب الحقيقة هو السكِّين القائم في بيت الدواء (= الكتابة). **الموقد:** الكانون. **ثلاثة أو أربعة عواميد:** الحصص التي بحسبها يقسم اليهود لفائفهم كما نحن أيضًا نصوِّر العمود في الكتب – الملك الذي مزَّقه كان يوياقيم.

* * *

الإصحاح الرابع والعشرون

٣٧: ١٢-١٣ هذه: **ليقسم هناك حصَّة على الشعب.** قال (بعض) الناس: خرج ليرى الميراث الذي اشتراه من عمِّه، أو ربَّما كان له شيء يقسمه مع إنسان من الناس، حنطة أو خمرًا أو ثمار الأشجار. قال يوحنّا بيت ربَّان: خرج ليشتري خبزًا، كما يقول اليونانيّ؛ فهذا كان ضروريًّا بسبب حصار المدينة؛ فهذا حصل إذ تمرَّد صدقيّا، فأتى الكلدانيُّون وخيَّموا حول أورشليم. وإذ سمعوا على المصريِّين أنَّهم خرجوا لمساعدة الشعب، انتقلوا ومضوا. وكانت راحة قليلة للشعب للدخول والخروج. ولكنَّ الإنسان المسلَّط على باب المدينة أمسك (النبيّ).

٣٧: ١٦ هذه: **(ورموا إرميا) من كوَّة الجبِّ إلى الجبّ**، لا من جبٍّ واحد إلى جبٍّ آخر لكن من فم الجبِّ، من فوق، إلى وسط الجبّ. ما أدخلوه مثل سائر السجناء بالباب الداخليّ للسجن المدعوِّ الجبّ، ولكن من البيت العالي (أو: العلّيّة) حيث يجلس الحرس في الليل. هم يمسكون لديهم رأس السلسلة المدعوَّة "ت ن و ر ا" (كلمة فارسيَّة تعني الدرع). من هناك ألقوه إلى تحت، إلى أسفل الجبِّ، ووهبوا له رغيف خبز، أي الخبز الذي يحفظ النفس (من الموت جوعًا).

٣٨: ٧ي استمع الملك إلى توسُّل عبد ملك الكوشيّ من أجل إرميا، لأنَّه خاف من رجل غريب ثابت في الله ومحبّ للنبيّ أكثر منهم.

٣٨: ١١ (ملابس) بالية ليغتسل بها. هي الرقعات التي ينشِّفون بها الشعر حين يغسلونه بالماء.

الإصحاح الخامس والعشرون

٣٩: ١٣ كان **نبوردان** رئيس هؤلاء المدعوِّين... بألسنة أخرى، رئيس الجنود "**رب. م ج**"، أي رئيس الجارشين أي الطبّاخين أو قدور الملك.

٤٠: ٥ هذه: **وهبَ نبوزردان هبات** لإرميا. لا مواهب دنيويَّة بل سأله تابوت (الشهادة) الذي فيه الأسفار (المقدَّسة)، كما يعرفنا كتاب المكّابيِّين، وآنية أخرى للخدمة (المقدَّسة)، فأخذها وأخفاها في الجبل في موضع ما في وسط مغارة وقال: لئلاَّ يكشفها إنسان حتَّى يقوم نبيٌّ بعد العودة ويدلَّ عليها. ومن الواضح أنَّه حتَّى يومنا لم يعرف إنسانٌ هذا الموضع.

* * *

٤١: ٥ هؤلاء المحلوقو الذقون، إلخ. يبدو أنَّهم حدَّوا من أجل خراب المدينة.

الإصحاح السادس والعشرون

٤١: ٨ دعا **السيلات**، الجبب وأهراء الحنطة.

٤١: ٧ قتلهم هم أيضًا لأنَّه خاف: ربَّما ينتقمون لدم جدليا.

* * *

الإصحاح السابع والعشرون

٤٣: ٩ هذه: **أطمرها في الملاط، في ملبن**. ملبن، أي بلبنات. دعا **الملاط** الطين على مثال (شغل) لبنات يشبه البيما.

٤٣: ١٠ هذه: **يرفع سلاحها عليها**، أي يرمي ثيابه ويرتاح بعد أن يمسك المدينة.

٤٣: ١٣ هذه: **قاعدة بيت الشمس**، أي الهيكل الذي فيه صُوِّرت مركبة الشمس التي لها يسجد المصريُّون مع الآلهة الأخرى.

الإصحاح الثامن والعشرون

٤٤: ٩ ملكة السماء، هي عشتار وكيوان ورافان وعوزي، والباقي.

* * *

٤٥: ٢ي عليك، يا باروك، إلخ. صنع تصريحًا لما سيحصل لباروك وليس تهديدًا وصحوَ غضب (حرَّكه) وجدان الرجل، كما ظنَّ أناس، أي لأنَّه ظنَّ أنَّه استحقَّ النبوءة؛ فباروك هذا، لأجل حبِّه لله والاهتمام والعناية اللذين بيَّن، كرامةً للنبيّ، ولأنَّه كان مبغوضًا من الشعب كلِّه بسبب إرميا ومعتبَرًا أيضًا من قبل الشعب أنَّه نبيّ، (فباروك هذا) ظنَّ في نفسه أنَّه من أجل هذه كلِّها يليق به أن يوهب له كشف النبوءة. ولكن الآن مُنع، بواسطة هذه الأقوال، من أن يطلب (النبوءة). هناك (أناس) يقولون إنَّها وُهِبَتْ له في ما بعد. ويبدو أنَّ هذا الفكر من الإحباط وقطع الرجاء تحرَّك في نفسه وخصوصًا حين أحرق يوياقيم هذه الكتابات التي كتب من فم إرميا، وأنَّه رغب بكشف النبوءة من أجل تعزية نفسه.

٤٥: ٤ هذه: **ما بنيتُ أنا هادم**، إلخ. تكلَّم (الربّ) قبالة رغبة (باروك) الذي لم يرَ أنَّ الشعبَ يُسبى.

٤٦: ٢ هذه: **فرعون الأعرج**، أو هو يدعوه هكذا لأنَّه ينحدر من شخص كان أعرج، أو يحصل أن يكون هو أعرج. هذه: **حلَّ على نهر الفرات، في كركميش** تحدَّث على الزمن الذي فيه صعد المصريُّون من أرضهم إلى الأماكن القريبة من الفرات وتحاربوا مع البابليِّين فغُلب المصريُّون.

٤٦: ١١ هذه: **إصعدي إلى جلعاد**. وخذي بلسمًا، يا بتول، يا بنت مصر. هذا ما يدلُّ على اثنين. الأوَّل: تبطل كلُّ أمورهم والنشاط التجاريّ لتجّارهم. الثاني، يبيِّن أنَّهم لا يقدرون أن يتقبَّلوا **الشفاء** الذي هو عون لأنفسهم. وأيضًا (حين ذكر) جلعاد والبلسم – أي عصير البلسم – ضمَّ فيها أرض الموعد والخيرات التي

يأتون بها منها.

الإصحاح التاسع والعشرون

٤٦: ١٧ هذه: **مُقلق ومُعبر الأزمنة**، (أي المبلبل) ازدهاره وملكه لأنَّه كان علَّة خراب أرضه هو الذي صعد على أماكن البابليّين، والباقي.

٤٦: ٢٠ دعا **عجلة جميلة** مملكة المصريّين بسبب جمال الخيرات التي تقتني، (عجلة) **مصوَّرة** بسبب كثرة الأصنام وتنوُّعها.

٤٦: ٢٣ هذه: **إقطعوا غاباتها**، أي شعبها وسكّانها.

٤٦: ٢٥ يون أمون. الإسكندريَّة التي بُنِيَتْ على اسم الصنم أمون، ثمَّ وسَّعها الإسكندر ودعاها على اسمه.

* * *

٤٨: ٩ هبوا الإكليل لموآب لأنَّها تُخرَب خرابًا. يدعو الكتابُ **الإكليل**، إمّا الملك وإمّا الكهنوت أو أيّ شيء يكون تامًّا. مثل هذه (قال): التسبحة تكون لكم الإكليل الذي يتقدَّس في الحجّ (أو: في العيد)؛ فهنا تكلَّم على المملكة، والكلمة: **هبوا** يقارب ثلاثة مفاهيم: الأوَّل يعرِّفنا أنَّ الله وهب المُلك للموآبيّين، فهو تبدَّل زمن الكلمة، أي وهبتُ لهم. الثاني، قال: أتركوهم (= الموآبيّين) يقيمون وقتًا قليلاً في مملكتهم؛ فللبابليّين قال: يتركونهم زمنًا قليلاً يفرحون. الثالث: هبوا الإكليل لموآب، وأمّا أنت، يا موآب، (فهبه) لنبوخذنصَّر. وقال أيضًا: "خذ إكليل مملكة موآب وهبه للبابليّين، أو كأنَّ الله أمرَ ملائكته وخدَّامه: "هبوا الإكليل لموآب الذي يهبه لنبوخذنصَّر."

٤٨: ١١ ليس هذا ما يقابل هذه: **أفرغوها من إناء إلى إناء**، أي سفر الملوك (٢ مل ٣: ٤-٢٧): ضُرب الموآبيُّون بالسيف وفسد ازدهار أرضهم من قبل الشعب ومن الأدوميّين بيد ثلاثة ملوك صعدوا عليهم؛ فالموآبيُّون لم يُقتادوا إلى السبي، ولا طُردوا من المملكة، لكنَّ (الأعداء) قتلوا الوجهاء الذين بينهم، وهم عادوا إلى أرضهم. **ارتاحوا**، أي كما الخمر يرتاح على الثمالة.

٤٨: ٣٢ سبما، أي خذ مئة مثقال، قال سيِّد (الكرمة) ذاك الذي طلبها لنفسه بدل مئة (جفنة) جميلة (غُرسَتْ) فيها.

٤٨: ١٣ كوش. هو صنم.

٤٨: ١٧ دعا **الصولجان** الملك، **والقضيب** جذر ملوكهم وسلالتهم.

٤٨: ١٨ ديبون هي مدينة مملكة الموآبيّين. هذه: **لصوص موآب صعدوا عليك** والباقي. ما أراد أن يقول إنَّ لصَّ موآب صعد على الشعوب الآخرين وسلبهم، ولكن على الموآبيّين قال هذه الأقوال كلِّها.

٤٨: ٢١ هذه: **أرض مشور**، لأنَّ هكذا دُعيَتْ أرضُهم، أو من جزء (يُدعى الكلّ).

الإصحاح الثلاثون

٤٨: ٢٦ هذه: **في تقيُّئه**. هو الترجيع.

٤٨: ٢٨ وكونوا **مثل حمامة تجعل عشَّها في طرف الجبل**، أي أسكنوا في المغاور وفي الأمكنة الرفيعة لكي تختبئوا من قدَّام أعدائكم، مثل الطائر الذي يجعل عشَّه في طرف الجبل بسبب الضعف والخوف الملتصقين به.

٤٨: ٣٣ هذه: **يعبر الفرح والبهجة من أرض الكرمل**. يجب أن نقرأ "ك ر م ا" (الكرم)، لأنَّ الكرمل هو (أرض) الفلسطيّين.

٤٨: ٣٤ حتَّى برج آلس. عجلة مثلَّثة (أي بنت ٣ سنوات)، أي تشبه بازدهارها عجلة بنت ثلاث سنوات، لحمها مشتهى وهنيء للأكل.

٤٨: ٤٥ هذه: **تأكل زاوية (موآب)**، أي جاهها وزينتها.

* * *

٤٩: ٤ كيف تسبّحين بوديانك وتتَّكلين على عقائقك (وديان صغيرة). دعا **الوديان** الحفر التي تحيط بالمدن، أي هي تفتخر بها. قالت: لا تُقهَر من قبل البابليّين. دعا **عقائق** (الأهراء، بيت الخزن) التي في داخل المدينة حيث يُوضَع الخبز والمأكل للذين يحاربون ويحرسون

المدينة. (وقال) آخرون: دُعيَتْ **الوديان** السهول حين تُقابَل بالجبال والتلال. **عقائق**، ميراث إنسان فإنسان وأماكن خصبة جدًّا بالزروع والغرسات. أشار بكلِّ هذا إلى الغلاّت السمينة التي تُجمَع من الأرض.

٤٩: ١٢ ها أولئك الذين وجب أن لا يشربوا الكأس شربوا. ما قال (الله) هذا من أجل الشعب، لا لأنَّه لم يكن مذنبًا، لكن لأنَّهم له. قال: إن لم آخذ بوجه (أي أتسامح) شعبي، فكم أقلّ (أتسامح) معك. **الكأس**. دعا (هكذا) الخراب والسبي – جميع المعلِّمين يكمِّلون (الكلام): إنَّ الأدوميِّين ضُربوا بيد الشعب بعد العودة. الأدوميُّون، كان خرابهم مرَّتين: الواحدة من قبل البابليِّين، والأخرى من قِبَل الشعب بعد العودة.

٤٩: ١٩ ديار أتان. واحدة من مدن الأدوميِّين، أو ربَّما كان في القديم بيت مسكَن أتان ذاك الحكيم المشرقيّ.

٤٩: ١٤ أرسل المرسال إلى الشعوب، أي خرج الأمرُ من الربِّ بيد الملاك ليجمع البابليِّين على الأدوميِّين.

٤٩: ١٩ ها مثل أسد يصعد على وفرة (أو: عظمة) الأردنّ، إلى ديار أتان، أي صعد البابليّ على الأدوميِّين من أرض الموعد حيث يعبر الأردنّ، وخرَّب أرضهم الخصبة مثل ديار أتان، الذي أخصبت دياره بكلِّ شيء بواسطة حكمته.

٤٩: ٢٠ هذه: **يجرُّهم صغار القطيع**. هذا لا يعارض هذه: الشباب يخرِّبونهم، ولكن، بعد أن يخرِّبوهم ويقتلعوا مدنهم، بقيَّتُهم (أي بقيَّة الأدوميِّين) تسلَّم إلى الضعفاء الذين في البابليِّين.

الإصحاح الحادي والثلاثون

٤٩: ٢٣ في البحر مخافته، وراحةً ما وَجد: دعا (هكذا) **البحر** بسبب كثرة جيشه. (قال) آخرون: **البحر** هو البابليُّون، أي: (البحر) خافه.

٤٩: ٢٨ بنو قيدار وبنو المشرق. دعا هكذا العرب الإسماعيليِّين.

٤٩: ٣٢ بيت مقصوصي الذقون. أقواهم أي: إلى العرب (بيت طيء). (قال) آخرون: دعا **الذقون** الشعر الذي هو فوق الذقن وتحت الفم. ودُعوا (العرب) **مقصوصي الذقون** لأنَّهم يحلقون ويزيلون (قسمًا) من لحيتهم.

٤٩: ٣٠ حصور، هي قائمة حتَّى اليوم في برِّيَّة العرب.

٤٩: ٣٥ هذه: **قوس عيلام رأس جبروتهم**. رمز **بالقوس** إلى كلِّ عدَّة سلاحهم التي بها ينتصرون. **رأس جبروتهم**. يبدو أنَّ الهوزيِّين (شعب من عيلام) اشتهروا كثيرًا بالتعامل بالقوس.

٥٠: ٢ بيل ومردوك هما صنمان (لدى) البابليِّين.

الإصحاح الثاني والثلاثون

٥٠: ٤٣[٤٤] ها مثل أسد يصعد من عظمة الأردنّ إلى ديار أتان. (تكلَّم هكذا) بسبب أرض الموعد حيث يعبر الأردنّ، ودعا **ديار أتان** بابل، بسبب خصبها.

٥٠: ٤٤[٤٥] صغار القطيع. المادايُّون الذين كانوا أضعف من كلِّ الشعوب.

٥١: ١ القلب. به قال عن نفوس البابليِّين. **الروح**: إرادتهم الكريهة.

٥١: ٩ هذه: **لأنَّ دينونته اقتربت من السماء**. هذا يشبه: صراخ سدوم وعمورة دخل لديَّ (تك ١٧: ٢٠). وهذه: "خطئتُ في السماء وقدَّامك" (لو ١٥: ١٨، ٢١).

الإصحاح الثالث والثلاثون

٥١: ٢٥ وأقلبك من الصخر. لأنَّه يدعو **الجبل المفسد** الملك، بسبب عظمته وقوَّته. ويسمِّي أيضًا **الصخر** جيوشه. وحين تنقلب الصخور أي تُقتلَع، من الواضح أيضًا أنَّ الجبل لا يكون قائمًا.

٥١: ٢٧ أروط. قردو. لأنَّ في سفر الملوك بالنسبة إلى هرب ابني سنحاريب قال (الكتاب) في موضع: إلى أرض أراراط. وفي وقت إلى قردو. **أشكناز** في أرمينيا أو: داران (قرب الخليج الفارسيّ). أو: سيسحان.

٥١: ٣٠ سكّان مصروط: المادايُّون ومساعدوهم.

٥١: ٣٨ يصرُّون مثل جراء (الأسد). أي يصرُّون ويزأرون.

٥١: ٤٦ هذه: **يأتي في تلك السنة خبر** الاضطراب، لأنَّ داريوس المادايي يمتلك بابل. **وفي السنة التي بعدها خبر آخر**. حين كورش الفارسيّ اختطف المُلك من يد المادايِّين وملك مكانهم. آخرون يقولون: الكلمة **سنة وسنة بعدها**، أي وقت كما هو، حسب عادة الكتب (المقدَّسة)، أي: خبران مبلبلان أتيا على (بابل) بشكل دائم.

٥١: ٤٤ هذه: **انتقد بيل في بابل**. **بيل** هو كوكب واحد من سبعة. ويُسمَّى لدى الوثنيِّين "سيِّد الآلهة". واليونان دعوه زوش (أو: زيوس)، والفرس: هرميزد. يروي عليه الكلدانيُّون: مع أنَّه مسلَّط في الأرض كلِّها، فرأسه قائم في بابل وذنبه في عيلام ويمينه أشور وشماله مصر.

الإصحاح الرابع والثلاثون

٥٢ ستّة ملوك من أشور ومن بابل صعدوا على فلسطين، وقليلاً قليلاً ضربوها بالتمام. الأوَّل هو فول الذي صعد على السامرة وأخذ من ملكها مناحيم ألف وزنة من الفضَّة ومضى (٢ مل ١٥: ١٠-١١). والثاني هو تغلت فلاسَّر. والثالث، شلمنصَّر. والرابع سنحاريب. والخامس مرودك بَلَدَان بن بلدان الذي أرسل قرابين لله وهدايا لحزقيّا. وبعد أن مات حزقيّا صعد على أورشليم وسبى منسَّى. ولبث منسَّى سبع عشرة سنة في بابل ثمَّ عاد إلى أورشليم. حُبس يوياكين في بابل سبعًا وثلاثين سنة حتَّى مات نبوخذنصَّر. وملك أويل مرودك ابنُه بعده. ثمَّ أخرجه (= يواكيم) وأكرمه بالنظر إلى المحبَّة التي اقتنى لديه في السجن.

٥٢: ١١ حين اقتلع نبوخذنصَّر عيني صدقيّا، أدار الرحى في بابل. وحين مات ألقوا جثَّته وراء سور المدينة وتمَّت فيه النبوءة.

٥٢: ٩ دبلت هي دفنة، قرب أنطاكية.

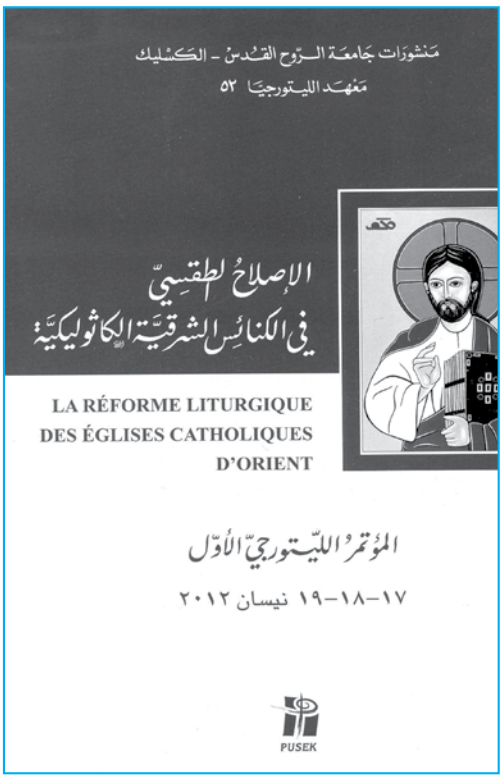

جريدة بيبليا

الموضوعات

١ – في جذور البيبليا:
الينبوع... العِطاش... وفِعلُ التاريخ!

٢ – البيبليا على عتبة الألف الثالث:
من الأسطورة... إلى تاريخ الخلاص

٣ – بُولُس مِن مُوسى... إلى يَسوع

٤ – عن يسوع الإنسان. "والكلمة صار بشرًا فسكن بيننا"

٥ – أيّ كنيسة نحن؟ أيّ كنيسة نريد؟
الكنيسة أمام تجربة صعبة: الخيار بين جديد يسوع، والرجوع إلى الهيكل

٦ – أيّوب الألم والإيمان
قصّة الإنسَان الحائِر أمام الإله الطيّب

٧ – أشعيا السياسيّ الرائيّ ونبيّ الساعة

٨ – حول الأناجيل المنحولة والأناجيل القانونيّة:
الأناجيل المنحولة حنينٌ إلى ميتولوجيّات الشرق القديم!

٩ – "المؤتمر البيبليّ الأوّل"... وندوة "الليتورجيّا والبيبليا"
الكنيسة: من الكلمة النبويّة... إلى كلمة الحياة والخلاص!

١٠ – مالَ على صَدر يسوع... وَوَقف عند الصّليب:
روعة الحياة الإلهيّة في إنجيل يوحنّا

١١ – في سبيل خلاص البشريّة من الخوف:
الرؤيا، كتاب حَول نهاية العالم... أم حول المسيح؟

١٢ – مخطوطات البحر الميت مفترق في تاريخ الأديان
"كنيسة قمران" و"كنيسة يسوع"
الشريعة القاتلة... والمحبّة الخلاّقة

١٣ – مَلَكوت جديد... شرعته الحُبّ
الإنسان والكنيسة بين العُنف واللاّعنف
أضواء على المسيح والعنف الثوريّ

١٤ – البيبليا... والعَلمَنة:
علمَنةٌ جديدة تغيّرُ مفهومَ القدْسيّات
يسوعُ رائدُ العَلْمَنَة!

١٥ – الفقر والفقراء في البيبليا:
أُرسِل إلى الفقراء... وصار فقيرًا من أجلنا!
"بأيّ حقّ تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين"؟

١٦ – أنبياء البيبليا وقضايانا المعاصرَة
إرميا نبيّ في زمن المحنَة
السّينودس: رؤية جديدة... أم "حقّ قانونيّ" آخَر؟

١٧ – تأثير الحضارة الكنعانيّة على الحضارة البيبليّة
لبنان في البيبليا
دور المرأة الفينيقيّة–اللبنانيّة في انفتاح المسيحيّة على الأمم!

١٨ – نشيد الأناشيد
أجملُ نشيدٍ في الكَون
كتاب عشقٍ تحتضنُه البيبليا

١٩ – حول جديد العهدَيْن في البيبليا:
"المسيح رجاؤنا: بروحه نتجدّد"
جديد البيبليا: من الأنبياء... إلى المسيح!

٢٠ – الأناجيل تحت مجهر علم التحليل
المسيحُ أمام السّؤال: إسرائيلُ أَم العالَمُ؟
في الرغبة يولَد الفرح... وبه الحَبّ... ومعه الحرّيّة!

٢١ – المؤتمر البيبليّ الثاني في جبَيل–بيبلوس
تأثير الحضارات والديانات القديمة على البيبليا
البيبليا: حَدث تاريخيّ مُلْهَم من صنع البشر

٢٢ – وإن كان المسيح مَا قَام فباطل إيماننا
ما تقول البيبليا عن "ما بعدَ الموت"؟
هل مِن بَديلٍ عن الرّجَاء المسيحيّ؟

٢٣ – حاربَ البعل وَألْهَمَ "البقيّة الباقية" مِن شعب الله:
إيليّا النبيّ: من تجربة الكرمل... إلى نداء حوريب!
هل يزال حيًّا... وفي أيّ سَمَاءٍ هو؟

٢٤ – أخي الإنسان في هذا الشرق هو المحوَر:
كلمات يسوع المشكّكة في الإنجيل تركِّز الملكوت!
نحو مفهوم جديد لشخصيّة المسيح ورسالته التحريريّة

٢٥ – الرجُل والمرأة: مساواة في الخلق... ومع المسيح!
المرأة في البيبليا... وفي الكنيسة
حان الوقت لتؤدّي المرأة رسالَتها كاملة

٢٦ – الفرّيسيّون: أتقياء... أم مراوِئن؟
محاور الصّراع بين يسوع والشريعة
الفرّيسيّون والكنيسة الناشئة والمعاصرة!

٢٧ – في الأمثال تجلّى الله أبًا... ولا لقب آخَرَ له
أمثال يسوع في الإنجيل
من نسقٍ في التّعليم إلى نسقٍ في رؤية الملكوت

٢٨ – نحن تجاهَ المظلومين، إمّا فرعون... وإمّا موسى!
سفر الخروج هو إنجيل العهد القديم إذ يعلن البشارة
شعبُ مُسْتَعْبَدٌ يترَقّب زمن التحرير

٢٩ – من فصح اليهود... إلى فصح المسيح!
سفر الخروج على محكّ اللاّهوت الحديث
العبور الحقيقيّ ليس عبور البحر، بل التحوّل في العلاقة بالله!

٣٠ – الشيطان يغويه بالملكيّة والسُّلطة والقدرة!
هزم يسوع الشيطان وشقّ طريقه إلى الآب!
وأعطى بُعْدًا جديدًا للبيبليا... والهيكل... والأرض!

٣١ – لا سلام خارج الحقيقة والعدل والحرّيّة
إنّ الأمانة للإنجيل هي الأمانة للسّلام
التربية على السّلام تبدأ بتثقيف المرأة

٣٢ – شَغَل الأديان والفلاسفة والحضارات
ما يقول الناسُ فيّ؟ مَن أنا؟
نظرة جديدة إلى يسوع بدون مراقبة

٣٣ – حُرّيّة أبناء الله، ما هي؟ وأين هي؟
السّلطة في الكنيسة
الخلاص بالإنسان لا بالشريعة، وبالحرّيّة لا بالسّلطة!

٣٤ – كيف تُوَضِّح الاكتشافات الأثريّة اللاّهوت البيبليّ؟
البيبليا على ضوء علم الآثار
"إذا ضاع الأصلُ... ضاع التاريخ معها!"

٣٥ – سيتنبّأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبّانكم رؤى!
أين الأنبياء في كنيستي
ليت كلّ الشعب أنبياء يحلُّ الرّوح عليهم!

٣٦ – هوشَع نبيّ الحُبّ وعاموس نبيّ العدالة
الحُبّ قديمٌ قِدَم الله
حُبّ وعدالة حتّى السينودس من أجل لبنان

٣٧ – المعجزات: آياتٌ فعّالة ومواهب مجّانيّة
العجائب في البيبليا
الأعجوبة بين العلم والإيمان

٣٨ – أدبُ أوغاريت والبيبليا: إرثٌ حضاريّ مشترك
البيبليا على ضوء مكتشفات أوغاريت
من بعل... إلى إيل... إلى يَهْوَه... إلى الثالوث!

٣٩ – بين رسالته ودوره التربويّ معادلة كاملة:
يسوع المربّي
وَضَع بتعليمه حَدًّا بين الإنسان القديم والإنسان الجديد!

٤٠ – دعا شعبه إلى بناء المستقبل:
حزقيّال: شعب الله، من الأوهام... إلى الحقائق!
بشّر برجاء بَلغ ملء كمَاله بيسوع

٤١ – أحداث الكتاب المقدّس على مِحَكّ البحث العلميّ:
البيبليا والتاريخ –١–
الأنبياء بين غائيّة الوحي ومُستلزمات التأريخ

٤٢ – يسوع كتب لنا الحياة وإن لمْ يُدوِّن شيئًا:
البيبليا والتاريخ –٢–
في المسيح محوَر الإنجيل وبهاؤه ووحدته

٤٣ – إفتتح الزمان ببادرة خير... فكانت الخليقة
رواية الخلق على مِحَكّ الإيمان والعلم
الحقيقة خالدة، أمّا الصُّوَر فمُتَغيّرة مع الذهنيّات والزمن

٤٤ – لويس خليفة:
لاهوت الإنسان... والحرّيّة!

٤٥ – أبْرَزَ الوَعْد التاريخيّ ببشارة مريم وميلاد يسوع:
لوقا: إنجيل الهوّيّة: والخلاص؟
عَمِل وبولس للخُروج من إسرائيل: إلى العالم؟

٤٦ – الإيمان ثقة ورجاء... ولو كان الرجاء غير منظور!
مسيرة الإيمان: من إبراهيم... إلى يعقوب...
الله أمينٌ على وُعُودِه، ولا بُدّ أن تتحقّق

٤٧–٤٨ – جنى ثماني سنوات مِن عمْر "بيبليا"
فهارس: موضوعات، محرّرون، أعداد، إفتتاحيّات، كلمَات...

٤٩ – الإنجيلُ الأحَبّ والأكثر حظوةً في تاريخ الكنيسة!
تواصلُ البحث حول أقدميّة إنجيل متّى...
إنجيل الجماعَة المسيحيَّة الأولى: "الإنجيل الكنسيّ"

٥٠ – إذهبوا إذًا، فتَلْمذوا جميع الأُمم وعَمّدوهم... وعَلِّموهم...
خاتمة الإنجيل بحسَب متّى فاتحةُ رجاء
وها أنَا معكم كلّ الأيّام إلى نهاية العالم

٥١ – سِفْرٌ يَشْملُ التوراة، ويَكتمل بالإنجيل
المَزامير صورةٌ لواقع وجوديّ، ومدرسة صلاة...
محوره الإنسان لأنّه صُورة الله في الخَلق!

٥٢ – كان كتابَ القراءَة الأولى، والصَّلاة الدائمة
المزاميرُ مذكّراتُ شعبٍ حَوّلها إلى فِعْلِ عبادة
مزاميرُ الاستغاثة والتمجِّيد تشهدُ لرحمة الله

٥٣ – في البدءِ كان روح الله يَرِفّ على المياه
هو الرّوح المُحيي الناطق في الأنبياء والرسل
الرُّوح يقول: "تعالَ! خُذْ ماء الحياة مجّانًا!"

٥٤ – أبوّةُ الله في التاريخ طريقُ أُخُوّةٍ وسلام!
محبّة الله الآب لنا تجلّت بابنه الوحيد
حياتنا المسيحيّة مسيرةٌ متواصلةٌ نحو بيت الآب